

(٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١ - ١٤٩٢م)

تأليف

جهاد غالب مصطفى الزغول

(ماجستير في التاريخ الإسلامي الجامعة الأردنية)

اربد - الأردن

٢٠٠١م

الحِرَف والصناعات في الأندلس

منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة

الحِرَف والصناعات في الأندلس

منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة

(٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)

تـــأليف

جهاد غالب مصطفى الزغول

(ماجستير في التاريخ الإسلامي الجامعة الأردنية)

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ-٢٠٠١م

مركـــز الأفـــق

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ ٢٠٠١م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطني
(٢٠٠١/١/٢٢٦)

رقم التصنيف: ٩٥٦,٠٤٤١

المؤلف ومن هو في حكمه: جهاد غالب الزغول

عنوان الكتاب: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م)

الموضوع الرئيسي: ١. تاريخ الأندلس
٢. حضارة إسلامية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: ٢٠٠١/١/٣١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: " وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً"

صدق الله العظيم

الإهـــداء

إلى والـــــــــديّ   تقديراً وعرفاناً

إلى جميـــــــع أخوتي وأخـــــــواتي . . . .

إلى أخـــــــي أسامة . . .

إلى كل القلوب المؤمنة بالعلـم   . والإيمـــان .

إليهـم جميعا . . . أهدي هذا العمل العلمي المتواضع .

آملا أن أكون قد وفيتهـم بعض حقهـم علـــــي . . .

الرموز المستخدمة في الهوامش وفي قائمة المصادر والمراجع

ج : جزء

د.ت : دون تاريخ

هـ : هجري

ط:طبعة

م : ميلادي

مج: مجلد

مخ : مخطوط

س: السفر ، السنة

ع: العدد

ص: الصفحة

ق: القسم ، القرن

ت: توفي

***: استخدمت للتعريف ببعض المصطلحات .**

المحتويـــات

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الثاني
أنواع الحرف والصناعات الأندلسية

الباب الثالث
الحالة الاجتماعية للعاملين في الحرف والصناعات

المقـدمة

فتح المسلمون الأندلس عام ٩٢هـ/ ٧١١م، واستقروا فيها نحو ثمانية قرون. وشملت الأندلس الهضبة العظيمة التي يتكون منها الجزء الأكبر من شبه جزيرة أيبيريا (هضبة الميزيتا)، وأجزاء من هذه الهضبة ينفصل بعضها عن بعض بأودية عديدة، وتجري فيها أنهار كثيرة بعضها يصب غرباً في المحيط الأطلسي كنهر الوادي الكبير، وبعضها يصب شرقاً في البحر الأبيض المتوسط مثل نهر إيره.

أما مناخ الأندلس ففي جملته معتدل الحرارة صيفاً وشتاءً، وهي غزيرة الأمطار، كثيرة المياه، خصبة التربة، متنوعة المعادن، وقد كان لهذه الميزات أثر بارز في توجيه حضارتها.

والحضارة الإسلامية في الأندلس، كانت في كثير من جوانبها امتداداً للحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي، وكانت أيضاً الأساس القوي الذي بنى عليه الأوروبيون حضارتهم، والمنطلق الذي بدأوا منه لتطوير علومهم وصناعاتهم. الحضارة الإسلامية في الأندلس شغلت المؤرخين والباحثين والدارسين، ولكن اهتمامهم بجوانبها المختلفة لم يكن متساوياً، بل إن بعض هذه الجوانب لم يحظ إلا باليسير من الدراسات، وحتى هذه الدراسات على قلتها لم تكن متخصصة في جانب محدد تختاره، وتسلط عليه الأضواء لتسبر غوره، وتكشف دقائقه، وتظهر خفاياه.

لقد كثرت الدراسات التي تناولت تاريخ الأندلس، والحضارة الإسلامية فيها، وما يشمل ذلك من نواحي سياسية وعسكرية واجتماعية وأدبية. وأما الدراسات الاقتصادية فكانت نادرة، مما حرم المكتبة العربية من هذا النوع من هذه الدراسات الهامة، وجعلها مفتقرة إليه، وقد دفعني ذلك إلى تجشم الصعاب، وتجاوز العقبات، للقيام بدراسة علمية متخصصة تتناول جانباً من جوانب الحضارة الإسلامية في الأندلس ألا وهو الجانب الاقتصادي وتجتزئ الدراسة من هذا الموضوع الواسع: (الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة). (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م)، لتبحثها بدقة وعمق، وخاصة أن الحرف والصناعات كان لها دور مهم في حياة المجتمع الأندلسي، ولعبت دوراً مميزاً في تنشيط الاقتصاد، وإشاعة الرخاء والاستقرار بين الأندلسيين، مما مكنهم من السير قدماً نحو التقدم والازدهار.

لقد عالجت هذه الدراسة موضوع الحرف والصناعات في الأندلس على مدى ثمانية قرون، إذ لم يكن ممكناً حصر هذا الموضوع في إطار زمني محدود أو مكاني محدد، لأن المعلومات قليلة ومتناثرة في بطون المصادر والمراجع على اختلاف أنواعها.

ومن أجل إعطاء الصورة الواضحة لموضوع البحث، كان لا بد للباحث من تتبع نشأة وتطور كل صناعة منذ فتح الأندلس حتى سقوط غرناطة، أينما توافرت المادة العلمية، وكان عليه لهذه الغاية أن يطلع على جميع المصادر المتوافرة، المتعلقة بتاريخ الأندلس وحضارتها، وقد بذل البحث ما وسعه الجهد في هذا المجال، واطلع على المصادر العديدة سواء المخطوطة منها أو المطبوعة، كما أطلع على كثير من المراجع والدوريات المتخصصة، وحاول تتبع كل معلومة في مظانها، وبعد أن تجمع لديه ما اعتقد أنه يفي بالغرض، ويحقق المطلوب، عكف على إعداد هذه الدراسة، لوضع مضمونها في إطاره.

وقد جاءت هذه الدراسة في: تمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة. إضافة إلى هذه المقدمة التي سيليها تحليل لأهم المصادر والمراجع.

وقد تناول الباحث في التمهيد: تعريف الحرفة والصناعة لغةً واصطلاحاً، كما تناول أهمية الحرف والصناعات، وتنوعها في المجتمع الإسلامي، وعناية المفكرين المسلمين بها، حيث حاولوا تصنيفها وفق أسس متعددة ومختلفة، ومن أهم هؤلاء والذي تناول الباحث آرائهم – بالعرض والتحليل إخوان الصفا، والغزالي، والدمشقي، وابن خلدون.

الباب الأول:

وتناول الباب الأول: المواد الأولية الداخلة في الصناعات الأندلسية، ومناطق توزيعها وانتشارها، وذلك في فصلين: خصص الأول منهما للمواد الأولية من أصل نباتي وحيواني، حيث تحدث عن المحاصيل الزراعية: أي الحبوب، والأشجار والنباتات المثمرة والفواكه، كالزيتون والتوت وإنتاج الحرير، والقطن والكتان، والزعفران والعصفر، وقصب السكر، والتين، والعنب، والتفاح، والرمان، والكمثرى، والقراسيا، والموز، وغيرها. وعن النباتات العطرية والطبية والأفاوية. كما تناول: الغابات، والثروة الحيوانية، والثروة المائية من: أسماك، وعنبر ولؤلؤ، ومرجان.

وخصص الفصل الثاني للمواد الأولية من أصل مغدني وصخري، فتناول المناجم والمواد المعدنية الفلزية كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير، والمواد المعدنية غير الفلزية كالزئبق والكحل والكبريت والتُوتيا، والزاج والشب، والزنجفور، والطَفل، والزجاج والبلور، والأحجار الكريمة، والملح، وغيرها. كما تناول مقاطع الرخام والحجر.

الباب الثاني:

أما الباب الثاني فقد تضمن أنواع الحرف والصناعات الأندلسية، ولذلك جاء مطولاً بعض الشيء، حيث وقع في تمهيد وأربعة فصول.

وفي التمهيد تم استعراض التأثيرات السياسية على الاقتصاد منذ بداية الفتح، مع إشارة إلى ما وجده المسلمون في المدن الأندلسية من ذخائر وتحف مصنوعة من الذهب والفضة، مرصعة بأنواع الأحجار الكريمة. وقد أعطى هذا التمهيد فكرة عن تأثر الأندلس بالحضارة الشامية في عهد الولاة، ثم استقلالها التدريجي عن المشرق منذ قيام الإمارة الأموية فيها، وترسخ حضارتها بعد ذلك، وتأثر هذه الحضارة وتأثيرها في أهل البلاد من الأسبان.

وتناول الفصل الأول من هذا الباب: الصناعات النسيجية والجلدية والخشبية، وقد فصل الباحث القول في كل من هذه الأقسام الثلاثة، حيث استعرض في مجال الصناعات النسيجية: المنسوجات الحريرية، والقطنية والكتانية والصوفية، وصناعة البسط والسجاد، كما استعرض بالتفصيل كلاً من الصناعات الجلدية والخشبية.

وتناول الفصل الثاني: الصناعات المعدنية والكيماوية. حيث تحدث عن صناعات الذهب والفضة اللذين كانا من أهم المعادن التي استغلت في إسبانيا على نطاق واسع قبل الفتح الإسلامي وبعده، كما تناول صناعة النحاس والصُفر والبرونز، والحدادة وأعمال الحديد. وتم التركيز على الصناعات الكيماوية: مثل صناعة الأصباغ، والورق، والزيوت والصابون، والخزف، والزجاج.

وتحدث الفصل الثالث عن الصناعات الغذائية، فتناول طحن الحبوب، وصناعة السكر، والخمور، والطباخة.

وأُفردت صناعة السفن والأساطيل الحربية، وصناعة الأسلحة، وسك النقود، والعاج، والطِراز، والرخام، في الفصل الأخير من هذا الباب نظراً لأهميتها، إذ كانت هذه الصناعات تخضع لإشراف الدولة ورقابتها المباشرة، وقد أولاها الأمراء والخلفاء

في العصور المختلفة جل اهتمامهم وعنايتهم. وقد اتخذت هذه الصناعات طابعاً رسمياً ولذا أطلقت عليها اسم " الصناعات الرسمية ".

الباب الثالث:

وأما الباب الثالث من هذه الدراسة فموضوعة تحدث عن الحالة الاجتماعية للعاملين في الحرف والصناعات. وقد جاء في ثلاثة فصول، تناول الأول منها: شرائح المجتمع الأندلسي الحرفية، وتتمثل هذه الشرائح في: العرب، والبربر، وأهل البلاد الأصليين، والموالي، والصقالبة، واليهود ومواليهم، وأخيراً: المرأة الأندلسية التي لعبت دوراً مهماً في الصناعة.

وتناول الفصل الثاني من هذا الباب: التسمي بالحرف والصناعات والانتساب إليها، حيث تحدث عن التعصب للحرفة والاعتزاز بها، وعن أعداد العاملين في كل حرفة وصناعة، وعن أجور العاملين في هذه الحرف والصناعات. كما تحدث عن اتخاذ أهل الحرف ملابس تميز بعضهم عن بعض.

وتناول الفصل الثالث علاقة الدول بأصحاب الحرف والصناعات وذلك من حيث: تنظيم الأسواق على أساس التخصص الحرفي، والأسواق الجامعة، والتنظيمات الحرفية، والإشراف والرقابة على الأسواق.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر الأولية والمراجع الحديثة، وكانت هذه المصادر متنوعة إذ كان منها التاريخي والجغرافي والأدبي والفقهي، إضافة إلى كتب التراجم، وقد اقتضت طبيعة البحث، ومحاولة الإحاطة بجزيئاته الرجوع إلى هذا الكم الكبير من المصادر.

١. تحليل أهم المصادر والمراجع

وفيما يلي يقدم الباحث: تحليلاً لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة، موضحاً مدى الإفادة منها:

أولاً: كتب التاريخ

• **كتاب " المقتبس "**لابن حيان، أبي مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (٣٧٧-٤٦٩هـ/ ٩٨٧-١٠٨٦م): يعد هذا الكتاب من أهم المصادر الأندلسية التي أفدت منها في هذه الدراسة، إذ يتناول جانباً من تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، وبخاصة ما يتعلق منها في القرن الرابع الهجري، حيث وصلت الأندلس إلى درجة عالية من

الإزدهار والرقي، وقد زودني هذا الكتاب بإشارات اقتصادية قيمة عند حديثي عن صناعة المنسوجات القطنية والكتانية، وصناعة الطراز، وصناعة السفن والأساطيل الحربية، وصناعة الذهب والفضة. ومما تفرّد به ابن حيان في كتابه هذا أنه قدم معلومات عن دار السكة التي أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر في مدينة قرطبة سنة(٣١٦هـ/ ٩٢٨م)، كما أشار إلى حرص الخليفة على ضرب العملة من خالص الذهب والفضة، وحمايتها من الغش والتدليس، وذكر أسماء بعض الأشخاص الذين أسندت إليهم مهمة الإشراف على دار السكة في عهد الناصر وخلفه الحكم المستنصر. كما أفادت الدراسات من إشارة ابن حيان إلى بعض أسواق قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وقد استقى ابن حيان معلوماته عن معاصرين للاحداث، منهم: أحمد بن محمد الرازي (ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م). وعيسى بن أحمد الرازي (ت٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، ومعاوية بن هشام، وصاعد البغدادي وغيرهم. "ومما يعطي معلوماته قيمة تاريخية واقتصادية كبيرة أنه تميز بصواب نظرته وطريقة تحليله وأصالة رأيه وعدالة نقده ونزاهة حكمه، وهو يتحرى الدقة والأمانة فيما ينقل. وقد بلغت دقته في رواياته أنه لا يكتفي بتعيين يوم الحادثة التي يذكرها، بل يذكر الساعة، كما يعطي أحياناً التاريخ الهجري ومقابله الميلادي" *.

* **كتاب المن بالإمامة**، لأبن صاحب الصلاة، أبي مروان عبد الملك بن محمد الباجي (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٧م): ويتناول هذا الكتاب جانباً مهماً من تاريخ الدولة الموحدية. وهذا الكتاب لم يصل إلينا كاملاً، ولا يعرف منه حتى الآن غير سفر من الجزء الثاني يعالج الفترة الواقعة ما بين سنة (٥٥٤-٥٦٩هـ/ ١١٥٩-١١٧٣م)، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه قد استفاد من عمله الرسمي في الدولة الموحدية، وذكر معلومات كثيرة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، معتمداً في ذلك كله على مشاهداته وروايات المشاركين بالأحداث، بالإضافة إلى الرسائل والوثائق الرسمية التي أورد منها قدراً كبيراً. وقد أفادنا كثيراً في معرفة بعض الجوانب المتعلقة بالحرف والصناعات، من مثل صناعة تسفير الكتب والمصاحف، وصناعة المنابر الخشبية ومدى اتقان

* أنظر: ابن حيان، المقتبس، ج٥، اعتنى بنشره: ب، شمالْيتا وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة. مدريد، ١٩٧٩م، مقدمة الناشر. سيشار لهذا المصدر فيما بعد. ابن حيان، المقتبس، ج٥.

الأندلسيين لهذه الصناعة، وصناعة السفن والأساطيل الحربية، مع الإشارة إلى بعض أنواع السفن ومراكز صناعتها، كما ذكر بعض أنواع الأسلحة المستعلمة في عصر الموحدين. وانفرد ابن صاحب الصلاة في الإشارة إلى الأرحاء الهوائية المستخدمة لطحن الأقوات في مدينة جبل طارق، كما أورد بعض المعلومات عن لباس أهل الحرف والصناعات، وعن اهتمام الدولة الموحدية بشؤون الأسواق وتنظيمها على أساس التخصص الحرفي.

- **كتاب تاريخ إسبانية الإسلامية** أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لابن الخطيب، لسان الدين بن محمد (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٦م): يبحث هذا الكتاب في تاريخ الأمراء والخلفاء بالأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل (١٣٨-١٧٣هـ/ ٧٥٥-٧٨٩م) وحتى عهد الأمير محمد بن يوسف بن نصر (٧٥٥-٧٦٠هـ/ ١٣٥٤-١٣٥٨م)، كما يتناول التعريف ببعض ملوك النصارى الإسبان.

وقد قدم لنا معلومات على درجة كبيرة من الأهمية وخاصة ما يتعلق منها بالصناعات العسكرية في عصر الخلافة، كصناعة الأرحاء التي تدار بقوة الحيوانات، وصناعة الأخبية (الخيام) الكتانية، وما كان ينتج منها في كل عام، وصناعة السفن الحربية، وصناعة الأسلحة بمختلف أنواعها، مع الإشارة إلى أهم مراكز إنتاجها وهي: قرطبة والزهراء والزاهرة ومدينة سالم. وانفرد ابن الخطيب بما قدمه من معلومات عن إنتاج معامل السلاح، فذكر أن دار الترّاسين كانت تنتج في كل عام ثلاثة عشر ألف ترس، وأثنى عشر ألف قوس، وفي كل شهر عشرين ألفاً من أصناف النبال. وقد استمد ابن الخطيب معلوماته التي أوردها من روايات ابن حيان.

- **كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس** في القديم المسمى ب" بيوتات فاس الكبرى ". لمؤلف مجهول. ويتضمن هذا الكتاب معلومات تاريخية وحضارية قيمة لا نكاد نجدها في مصدر آخر، إذ يتحدث مؤلفه عن ثلاثة وثمانين بيتاً من مشاهير بيوتات فاس، أولها بيت بني فذّة، وآخرها بيت بني المسونيين. أما أهميته بالنسبة لهذه الدراسة فبرزت عند حديثه عن بيت بني شيبون إذ نجد المؤلف يتحفنا باستطراد فريد في بابه، وهو جمعه لعناصر السكان في المجتمع الأندلسي، من عرب وبربر وموال، ويهود، إضافة إلى أهل البلاد الأصليين (الأسبان)، وما كان لكل عنصر من حرف وصناعات وأعمال، سواء

أكانت أعمالاً حرة أم رسمية في نطاق الدولة، مما أثرى هذه الدراسة بمعلومات فريـــدة من نوعها.

ومن المصادر التاريخية الأخرى التي أفادت الدراسة: * كتـــاب المعجـب فـــي تلخيص أخبار المغرب، لمحي الدين بن محمد بن عبد الواحد بن علي المراكشي (عـــاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي).وهو يتناول تاريخ المغرب والأندلـــس منذ فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبـــار الولاة، والوزراء والقضاة، والشعراء وأعيان الكتاب. ويتضمن الكتاب معلومات جغرافية واقتصادية واجتماعية قيمة، ويعالج المؤلف الأحداث بصورة مختصرة، غير أن أخبـــاره عن الموحدين قد اتسمت بشيء من التفصيل، مما يجعله مصـــدراً أساســـياً لا يمكـــن أن يستغني عنه باحث في تلك الحقبة من تاريخ المغرب والأندلس، وخاصة إذا ما عرفنـا أن المراكشي قد اعتمد في رواياته عن الدولـــة الموحديـــة علـــى ملاحظاتـــه ومشـــاهداته الشخصية. بينما ارتـــكز في معلوماته السابقة على كثير من المؤرخيـــن المعـــاصرين للأحداث مثل ابن حزم (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، وابـــن أبـــي الفيـاض (ت ٤٥٩هــــ/ ١٠٦٦م)، وابن حيان (ت٤٦٩هـــــ/ ١٠٧٦م)، والحميـــدي (ت ٤٨٨هــــ/ ١٠٩٥م)، وغيرهم. وقد زودنا بمعلومات قيمة عن معادن الاندلس ومناطق انتشارها، وعن حـــرف المرأة الأندلسية وصناعة الوراقة.

- **كما أفادت الدراسة من كتاب البيان المغرب** في أخبار الأندلـــس والمغـــرب، لابـــن عذاري، أبي العباس أحمد ابن محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢هــ/١٣١٢م). وقد ذكر فيه أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القـــرن الســـابع الـــهجري / الثالث عشر الميلادي، متبعاً في ذلك منهج تسلسل الأحداث على أساس الســـنين. وتبـــدو أهمية الكتاب من اقتباسات مؤلفه الكثيرة عن روايات معاصرة للأحداث، إذ أشـــار فـــي مقدمة كتابه إلى اعتماده على عدد كبير من المؤرخين الذين سبقوه، أمثال عبد الملك بـــن حبيب (ت ٢٣٨هــ / ٨٥٢م)، والطبري (ت ٣١٠هــ / ٩٢٢م)، وعريـــب بـــن ســـعد (ت٣٦٩هــ / ٩٧٩م)، والبكري (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م)، وابن حيان، كما أكثر من النقـــل عن الرازي وعن ابن صاحب الصلاة. وقد استفادت الدراسة منه عنـــد الحديـــث عـــن **صناعة** الطِّراز، وصناعة سك النقود، وصناعة الذهب والفضـــة، وصناعـــة النحـــاس، ومنتجات دار الصناعة في قرطبة، وصناعة السفن والأسلحة، وصناعة الرخام، وأجـــور العاملين في الحرف والصناعات، وتنظيم الأسواق الأندلسية.

• **كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول** (عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) وهو يتناول تاريخ المغرب منذ تأسيس مدينة فاس إلى أواخر القرن الثامن الهجري، وقد أمدنا بمعلومات تاريخية واقتصادية قيمة عن عصري المرابطين والموحدين في الأندلس، وخاصة فيما يتعلق منها بصناعة المنابر والمقصورات الخشبية، وصناعة الأسلحة بمختلف أنواعها مع الإشارة إلى بعض مراكز إنتاجها، إضافة لصناعة الأرحاء الهوائية.

ثانياً: كتب الجغرافية

وهي من أهم المصادر التي لا يمكن للباحث في التاريخ، وعلى الأخص التاريخ الاقتصادي، الاستغناء عنها، نظراً لما تقدمه من معلومات جغرافية واقتصادية ذات فائدة علمية كبيرة، فهذه المصادر أمدتنا بمعلومات قيمة عن مواقع المدن الأندلسية، وما اشتهرت به كل مدينة من حاصلات زراعية، وغابات، وثروات حيوانية ومائية، ومعادن.

كما أمدتنا بمعلومات مهمة عن مقاطع الحجر والرخام، وعن تنوع الصناعات والحرف الأندلسية وتعددها، وما كان لكل مدينة من صناعات خاصة بها، ويمكن للقارئ أن يلحظ ذلك من خلال تتبعه لصفحات هذه الدراسة، حيث أفدت كثيراً من المصادر الجغرافية في البابين الأول والثاني.

ومن أهم هذه المصادر **كتاب صورة الأرض**، لابن حوقل النصيبي (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) الذي زار الأندلس في أواسط القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. **وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، للمقدسي، أبي عبد الله محمد (ت٣٨٠/ ٩٩٠م). وقد قدم المصدران معلومات متميزة عن عصر الخلافة.

وأفادت الدراسة من كتاب **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، لأحمد بن عمر بن أنس العذري الدلائي (٣٩٣-٤٧٨هـ/ ١٠٠٢-١٠٨٥م). وهو كتاب جغرافي تاريخي، يتضمن معلومات اقتصادية على جانب كبير من الأهمية، أفاد منها البحث في جوانب عديدة، وتكمن أهمية الكتاب في أن مؤلفه اعتمد على العديد من المؤرخين الذين سبقوه مثل أحمد بن محمد الرازي، وعيسى بن أحمد الرازي.

وقدّم كتاب **جغرافية الأندلس، وأوروبا من كتاب المسالك والممالك** لأبـــي عبيـد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هــ / ١٠٩٤م) معلومات مهمة ومميـزة عـن بعض المواد الأولية الداخلة في الصناعات ومناطق توزيعها وانتشارها فـــي الأراضـي الأندلسية، كما قدم معلومات جيدة عن صناعة الأصباغ، وأهم المراكز التـــي اشـتهرت بإنتاجها.

وأفادت الدراسة كثيراً من كتاب الجعرافية، لمؤلفه الزهري، أبـــي عبـــد الله محمد بن أبي بكر (ت ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)، ومن كتاب **نزهة المشـــتاق فـي اخـتراق الآفاق** لمؤلفه الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد الحسني (ت٥٦٠هـــــ/ ١١٩٤م). وقد اهتم كلا المصدرين اهتماماً بالغاً بمظاهر النشاط الاقتصادي بالأندلس، وبخاصة فـي عصري المرابطين والموحدين. وتميز الإدريسي بصورة خاصة بدقـــة مـا أورده مـن معلومات عن المحاصيل الزراعية والمعادن والغابات والصناعات، وذلك بفضل زيارتـــه للأندلس، وتجواله في بعض جهاتها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

كما أفادت الدراسة من كتاب " **فرحة الأنفس** " لابن غالب، محمـــد بـن أيـوب الغرناطي (عاش في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي). ويتنـــاول الكتـاب جغرافية الأندلس وتقسيمها الإداري إلى كور، يذكر في كل منها ما تشـــمله مـــن مـدن وحصون وقرى، وما تتميز به من خصائص، والمسافة بين المدن، وما اشتهرت به كـل منها من منتجات زراعية ومعادن وصناعات، ويفصّل القول عــــن قرطبـــة ومسـجدها الجامع ومقصورته ومحرابه ومنبره. ويتحدث عن بناء مدينـــة الزهــراء ومـــا حوتــه قصورها من مظاهر الأبهَة والترف، ثم يتطرق إلى تحديد الأندلس، ويأتي علـــى ذكـر جبالها وأنهارها وما اشتهرت به من المعادن والأشجار ومقــاطع الرخـام، والأحجـار الكريمة بصورة عامة. ويعتمد ابن غالب على مصادر متقدمة مثل: أحمـــد بـن محمـد الرازي، وعبد الله بن عبد الحكم بن النظام، وأحمد بن أبي الفياض، وابن حيـــان، ولـذا كان من أهم المصادر التي افادت البحث في جوانب عديدة.

وقدم كتاب الجغرافيا لابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٨٥هــ/ ١٢٨٦م) بعــض المعلومات عن صناعة الحرير الموشى بالذهب في كل من مالقـــة والمريـــة ومرسـية، وبعض المعلومات عن صادرات الأندلس ووارداتها، وبالإضافة إلى مشاهدات ابن سـعيد عن الأندلس فقد أفاد من مصادر سبقته مثل البكري وابن اليشع وغيرهما.

كما اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر الجغرافية الاخرى وأهمها كتاب تقويم البلدان، لأبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **وكتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **وكتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، للحميري، محمد عبد المنعم، (توفي في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي)، **وكتاب أوضح المسالك في معرفة البلدان والممالك**، للسباهي، محمد بن علي زادة (ت ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨)، وقد وجد الباحث أن هذه المصادر اعتمدت فيما أوردته من معلومات على مصادر جغرافية سابقة، فانحصر دورها في تكرار المصادر السابقة.

ثالثاً: الكتب الأدبية

تعد الكتب الأدبية من المصادر المهمة في توضيح بعض جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية. فقد عنى مؤلفو هذه الكتب بمناحي الحياة المختلفة، في حين طغت الاهتمامات السياسية على المؤرخين. ومن بين المصادر الأدبية العديدة التي اعتمدت عليها الدراسة:

كتاب لحن العوام، لابي بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩). **وكتاب المدخل إلى تقويم اللسان**، لابن هشام اللخمي، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م). وهذان الكتابان صحبا البحث عبر صفحاته، وقد اختص الأول منهما بالقرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وأتمه الثاني حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وبينا ملامح المجتمع الأندلسي خلال هذه الفترة فزودانا بمعلومات وافية عن مجالات العمل التي كان يتعاطاها كل من الرجل والمرأة في البيئة الأندلسية على اختلاف فئاتهم الاجتماعية، إذ التصق كثير من أسماء هذه الحرف بأسماء بعض العوائل الأندلسية. وحفل الكتابان بألفاظ دلتنا على أنواع الملابس وأدوات الزينة وأصناف الحلي والعطور والأصباغ والمنسوجات، كما أن فيهما إشارات إلى الصناعات البحرية كالسفن التجارية والأساطيل الحربية، وأنواع المأكولات المتعددة.

وكتاب روضة المحاسن وعمدة المحاسن " ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بالجزّار السرقسطي وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المصر، " صنعه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مطروح السرقسطي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) وقد زاوج ابن مطروح في صناعته لكتابه بين ديوان الجزار السرقسطي (توفي في النصف الأول

من القرن السادس الهجري) الموسوم بـ"روضة المحاسن" وكتابه الآخر بادرة العصر. والجزّار عاش في سرقسطة أثناء حكم بني هود لها، وكان فقير الحال يعمل بالقصابة. وديوانه المذكور عبارة عن رسالة ذكر فيها مثالب الفرائين إذ رد به على أبي الحسن علي بن عبد الرحمن البرجي (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) الذي كان يتجر بالفراء، فساق الجزار حججه وأقواله في رسالته هذه، وهي ذات قيمة عالية للبحث، إذ بينت لنا بعض الحرف والصناعات الشائعة في عصره. وأوضح الكتاب كذلك اعتزاز وافتخار الحرفيين بحرفهم وتعصبهم لها، كاعتزاز الجزار السرقسطي هذا بالقصابة إذ رد على وزير ابن هود حسداي بن شبروط الذي عاب عليه حرفة القصابة بقصيدة بين فيها فضل القصابة على الحجابة.

وكتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م). وهو كتاب تعاقبت أسرة آل سعيد القاطنة في قلعة يحصب (قلعة بني سعيد) على إتمامه، إذ وضع نواته محمد ابن عبد الله بن إبراهيم الحجاري بعنوان "**المسهب في غرائب المغرب**"، وقدمه هدية للأمير عبد الملك بن سعيد، ودون فيه تاريخ الأدب الأندلسي حتى سنة (٥٣٠هـ/ ١١٣٥م)، وقد أُخرج على صيغته النهائية سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) بعد أن أضاف إليه الشيء الكثير. وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات متنوعة عن المنسوجات الحريرية والصوفية. والصناعات الغذائية، وصناعة الخمور وصناعة السفن والأسلحة، وأكد ابن سعيد أن صناعة الزجاج قد استنبطها عباس بن فرناس (ت ٢٧٤هـ / ٨٨٧م) من الحجارة. ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها بالإضافة إلى الحجاري، أحمد الرازي، وابن فرج الجياني (٣٤٤هـ/ ٩٩٥م).

وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م). ويعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية التي تتحدث عن الأندلس في عهد دولة بني الأحمر وخاصة عن غرناطة، إذ أمدنا حول غرناطة فيما يخدم البحث بمعلومات مهمة عن المواد الخام التي تمتلكها وعن صناعاتها المختلفة كالمنسوجات الصوفية والصناعات الذهبية والفضية، والعملة المتداولة بين الناس في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، والكتابات المنقوشة عليها. وأكد ابن الخطيب على سبق الأندلسيين في اكتشافهم الآلات النارية التي استعملوها أثناء حروبهم مع النصارى الإسبان، والتي افزعتهم، كما أكدت على ذلك الحوليات الإسبانية التي تؤرخ للفترة نفسها.

وكتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، لمؤلفه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بالمقرّي (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م). نسبة إلى مقَرة موطن أسرته القديم، وهي من أعمال قسنطينة، ولقد ولد المقَري في تلمسان سنة (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، ثم رحل إلى المشرق سنة (١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م) وزار مصر والحجاز ودمشق، والتقى بجلة علمائها، والقى الدروس عن الأندلس وتاريخها ورجالاتها. وفي دمشق شجعه صديقه المولى أحمد بن شاهين أن يضع كتاباً للتعريف بوزيرها ابن الخطيب، وعاد إلى القاهرة، ووضع الكتاب، ولكنه عاد ومهد لكتابه بذكر الأندلس وتاريخها ومحاسنها وذكرياتها. ويعد هذا الكتاب موسوعة ضخمة حول الأندلس وتاريخها وجغرافيتها وآدابها، وهو من أقيم المصادر العربية عن تاريخ الأندلس وحضارتها، وقد رافق هذا الكتاب معظم صفحات الدراسة، إذ أنه من المصادر القليلة التي غطت تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى السقوط، ويحوي من المعلومات الاقتصادية الكثيفة ما أفاد البحث في شتى مناحيه. وتكمن أهمية الكتاب في تعدد مصادره وتنوعها، وحفظه للعديد من المصادر التي لا زالت مفقودة حتى اليوم.

رابعاً: كتب الفقه

وقدمت كتب الفقه معلومات اقتصادية ذات قيمة علمية عالية، كان لها الأثر البالغ في إثراء بعض جوانب هذه الدراسة. وكانت هذه الكتب عل ضربين:

الأول: كتب الفتاوى، ومن أهمها: كتاب الوثائق والسجلات، لابن العطار محمد بن أحمد الأموي (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، وكتاب فتاوى ابن رشد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد القرطبي المالكي (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م). ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة التي خدمت البحث، إذ قدم لنا نصاً يصف فيه كيفية بناء الأرحاء الأندلسية، ومقاييس أحجارها وأخشابها، ومادة دواليبها، كما قدم لنا معلومات مهمة عن بعض أنواع العملة المتداولة في المجتمع الأندلسي أيام المرابطين، وعن صناعة الأصباغ وأسعارها.

وأفدت كثيراً من **كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقة والأندلس والمغرب**، لأحمد بن يحيي الونشريسى (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، إذ زودني بإشارات مفيدة عن ضرب النقود في عصر ملوك الطوائف، وعن المصنوعات النحاسية في عهد المرابطين، وقدم إشارة مفيدة عن صناعة الورق واستخدامه في الأندلس في عهد دولة بني الأحمر.

الثاني: كتب الحسبة، ومن أهمها

كتاب " أحكام السوق "، ليحيى بن عمر الكناني الأندلسي (ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م) وكتاب السقطي: "في آداب الحسبة" ورسالة ابن عبدون "في القضاء والحسبة" ورسالة ابن عبد الرؤوف في "آداب الحسبة والمحتسب" ورسالة الجرسيفي "في الحسبة"[١] وقد أمدتني هذه المصادر بمعلومات قيمة عن مظاهر النشاط الاقتصادي، وأفدت منها كثيراً في الحديث عن الصناعات الغذائية، وصناعة الخزف والزجاج، وصناعة الورق والأصباغ، وفي الحديث عن الحرف التي مارستها المرأة الأندلسية، وعن تنظيم أسواق المدن الأندلسية ومراعاة التخصص الحرفي في ذلك. وزودتنا ببعض المعلومات عن التنظيم الإداري للحرف والصناعات تبين منها أنها كانت في غاية الدقة والاتقان، إذ نجد في كل حرفة ما يسمى بـ "الأمين" و"العريف"، وبحثت هذه المصادر في الرقابة والإشراف على الأسواق وأفادت الدراسات بمعلومات على درجة كبيرة من الأهمية خاصة ما يتعلق منها بالمحتسب، وما يجب أن يتوافر فيه من خصائص وصفات تؤهله للقيام بعمله على خير وجه، بالإضافة إلى مهام المحتسب وواجباته ودوره في مراقبَة الأسواق وضبط عمليات الغش والتدليس التي كانت تمارس من أهل الحرف. كما زودتنا بمعلومات عن أعوان المحتسب الذين كانوا يساعدونه في عملية ضبط الأسواق، وملاحقة المخالفين من أهل الحرف والصنائع المختلفة.

خامساً: كتب التراجم

لقد تعددت كتب التراجم في الأندلس وخصوصاً ما يتعلق منها بتراجم العلماء الذين عاشوا فيها، وزودتنا هذه الكتب بمعلومات اقتصادية، ولكنها كانت يسيرة، فهي مجرد إشارات للعلماء الذين التصقت بهم أسماء حرفهم، وعدا عن هذا فقد جاءت هذه الإشارات عرضاً في بعض التراجم كذكر الأسواق وأمكنتها، وأفادتنا في تبيان شرائح المجتمع الأندلسي المختلفة والتي من ضمنها أهل الحرف والصناعات، وركزت هذه الكتب على الورق وصناعته ومن عمل وراقاً. وأهم هذه المصادر:

- كتاب تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م).

---

[١] يتميز ابن عبدون والسقطي بالاهتمام بالجانب العملي، في حين تهتم بقية المصادر بالجانب النظري.

- كتاب جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، للحميدي، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م).

- كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م).

- كتاب الصلة لابن بشكوال، أبي القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م).

- كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، أحمد بن يحيى (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م).

- كتاب الحلة السيراء، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).

- كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، للمراكشي، أبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م).

- كتاب صلة الصلة، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس، لابن الزبير، أبي جعفر أحمد (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م).

الدراسات الحديثة

إن الدراسات الحديثة في موضوع البحث نادرة، إذ لم تحظ النواحي الاقتصادية وخاصة المتعلقة منها بالحرف والصناعات بدراسة مستقلة كاملة تعالج جميع فترات الحكم الإسلامي الأندلسي، وإنما جاءت هذه الدراسات على أشكال متعددة:

فمنها ما كانت مقتصرة على فترة محدودة حيث عجزت عن إعطاء صورة متكاملة عن الوضع الاقتصادي العام في الأندلس، ومن هذه الدراسات:

عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ومحمد أبو الفضل: تاريخ مدنية المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها (٣٤٤-٤٨٤هـ/ ٩٥٥-١٠٩١م)، وكذلك S.M.IMAMUDDIN, THE ECONOMIC HISTORY OF SPIN UNDER THE UMAYYADS. 711-1031. A.C

وقد استفدت من كل منها في مجاله وحسب الفترة التي عالجها، ومنها ما كان بحثاً عاماً في حضارة الأندلس دون تفصيل وتوضيح دقيق للنشاط الاقتصادي كدراسة محمد عبده حتاملة: ملامح حضارية في الأندلس، وعبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة العرب في الأندلس، وجاك: س. ريسلر: الحضارة العربية، وجاءت هذه الدراسات

لتبحث في حضارة المسلمين بشكل عام دون التركيز على جانب معين، ومـــا اســتفدناه منها جاء عاماً ومختصراً.

ومنها ما كان يبحث في منطقة جغرافية معينة كدراسة عبد العزيز سالم: قرطبـــة حاضرة الخلافة في الأندلس، ودراسة أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي تــاريخ وحضارة ودراسة يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية، ومحمد شبانة: يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة. وقد زودتنا هـــذه الدراســات بمعلومات عن الصناعات المختلفة وذلك حسب تخصصها بمدينة معينة أو عصر معين.

وعدا عن هذه الدراسات فقد أفادنا ليفي بروفنسال في كتابه: سلسلة عامة فــي أدب الأندلس وتاريخها ومحمود شبيب هياجنة في رسالته: الوضع الزراعي في الأندلس منــذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين. إضافة إلى العديد من المراجع والمقـــالات التي وردت في نهاية الدراسة.

٣. تمهيد

أ- تعريف الحرفة والصناعة

الحرفة في اللغة اسم من الاحتراف وهو الاكتساب، يقـــال هـــو يحـــرف لعيالـــه ويحترف، بمعنى يكتسب من هاهنا وها هنا[١] وقيل الحرفة هي الصناعة، والمحــــترف هو الصانع، وفلان حريفي؛ أي معاملي[٢]. وحرفة الرجل ضيعته، أو صنعتــه،وحــرف لأهله واحترف، بمعنى كسب وطلب واحتال، وقيل: الاحتراف: هو الاكتساب أياًكان.[١]

---

[١] الأزهري أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ / ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تحقيـــق عبـــد الله دوريـــش، مراجعة محمد علي النجار، ج٥، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت). ص١٦. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الأزهري، تهذيب اللغة؛ أنظر: ابن منظور، أبو الفضل جمـــال الدين بن مكرم (ت٧١١هــــ/ ١٣١١م)، لسان العرب، مج٩، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦م، سيشار لــهذا المصدر فيما بعد: ابن منظور، لسان العرب؛ أنظر كذلك: الخزاعي، علي بن محمد بن أحمـــد بـــن موســـى (ت٧٨٩هــ/ ١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وســـلم مـــن الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بـــيروت: لبنـــان، ط١، ١٩٨٥م. ص ٧٧٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الخزاعي، تخريج الدلالات.

[٢] الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت٣٨٩هــ/ ١٠٠١م)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور وعطار، ج٤، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، ١٩٨٤م. ص١٣٤٣، سيشار لهذا المصدر

=

أما الحرفة في المعنى الإصطلاحي، فهي: الطُعمة والصناعة التي يرتزق منـــها، وهي جهة الكسب. وكل ما اشتغل الإنسان به، فإنه عند العرب يسمى صنعـــة وحرفـــة، لأنه ينحرف إليها، يقولون: صنعه فلان أن يعمل كذا، وحرفة فلان أن يفعل كـــذا، وقـــد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:" إني لأرى الرجـــل فيعجبنـــي، فأقول:هل له حرفة ؟ فإن قالوا:لا، سقط من عيني"[٢].

فالحرفة اذن تطلق على كل عمل يقوم به الإنسان، فهي طريقة الكســب ووســيلة المعاش، والصناعة مأخوذة من الفعل: صنع، وقال ابن سيدة: صنع الشيء يصنعه صنعاً فهو مصنوع، وصنيع. واستصنعت الأمر دعوت إلى صنعه، والصناعة مـــا تســتصنع من أمر، وقد صنعته فهو صناعتي؛ أي اتخذته صناعة[٣].

والصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة[٤]، ورجل صنيع اليدين؛ وصنع اليديـــن "أي صانع حاذق بعمل اليدين. وامرأة صناع اليدين؛ أي حاذقة ماهرة بعمـــل اليديـــن[٥]، والصنّاع (جمع صانع): هم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم[٦].

=

فيما بعد: الجوهري، الصحاح؛ انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج٩؛ ص٤٤ الخزاعي؛ تخريج الــدلالات، ص٧٧٥.

(١) ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص٤٤؛ الخزاعي، تخريج الدلالات، ص٧٧٥.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: تحقيق عبد الفتــاح الحلــو. مراجعة مصطفى حجازي، ج٢٣، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦م، ص١٣٣-١٣٤، سيشار لهذا المصـــدر فيما بعد: الزبيدي، تاج العروس؛ أنظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإســلام، ج٧، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٨م. ص٥٠٥، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: جواد علــي. المفصل.

(٣) ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، المخصص، مــج٣، س١٢، المكتــب التجاري للطباعة والنشر ولتوزيع: بيروت، (د.ت). ص ٢٥٧. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابـــن ســيدة، المخصص.

(٤) الجوهري، الصحاح، ج٣، ص١٢٤٥؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٨، ص٢٠٩؛ الخزاعـــي، تخريـــج الدلالات، ص٧٧٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢١، ص٣٦٤.

(٥) الجوهري، الصحاح، ج٣، ١٢٤٦؛ ابن منظور، لسان العرب، مـــج٨، ص٢٠ن٩؛ الخزاعـــي، تخريـــج الدلالات،ص٧٧٦.

(٦) الأزهري، تهذيب اللغة، ج٢، ص٣٨؛ ابن سيدة، المخصص، مج٣، س١٢، ص٢٥٧.

أما الصنعة فهي ما ينتج من عمل الصانع، كالسيف والسكين من عمل الحداد، والخزانة والصندوق من عمل النجار.

فالصناعة بالمعنى الاصطلاحي: "عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع، كالطحانة والخبازة والطباخة، أو في صفته كالنجارة والحدادة والصياغة. وفي هذه وأمثالها يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته"(١) ويبدو أن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، حيث يدخل في نطاق الحرفة، كل عمل يقوم به الإنسان؛ فالحرفة هي "الطعمةُ والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب" و"الاحتراف هو الاكتساب أياً كان"(٢)، وبهذا تكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب فيه الإنسان ويتصرف للكسب، حتى تشمل التجارة، والزراعة، وتعليم العلوم، والسمسرة، والطبابة، والقبالة، والصيدلة، والطباخة في الأسواق، والتجارة والخياطة، والصباغة، والدباغة، والوراقة، والحدادة، والصياغة، والبناء(٣).

أما الصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها، وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية من حاصلات زراعية، وأخشاب ومعادن وغيرها، وتسخيرها لخدمة الصناعة، كاستغلال القطن والحرير والكتان في صناعة المنسوجات واستغلال الأخشاب في صناعة السفن، وأعمال النجارة، واستغلال المعادن في صناعات الحدادة والصياغة وغيرها. وهذه الصناعات التحويلية يمكن أن نطلق عليها اسم " الحرف الصناعية "، وهي بمفهومها هذا تدخل في نطاق مفهوم الحرفة. ونجد في مصادرنا ما يشير إلى ذلك، فهذا المجيلدي (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م) يشير إلى " أهل الحرف والصنائع "، ويذكر منهم: الدباغ، والسمسار، والخرّاز*، والبنّاء، والكاتب،

---

(١) ظاهر خير الله الشويري، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، مج٢٩، ج١، يناير ١٩٠٤، ص٥٧-٥٨، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: الشويري، الحرفة وتوابعها.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص٤٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢٣. ص١٣٣.

(٣) الشويري، الحرفة وتوابعها، ص٥٧.

* الخرّاز: محترف صناعة الخرازة، وهي صناعة الجلد والأحذية، المجيلدي، أحمد بن سعيد (ت ١٠٩٤هـ / ١٦٨٢م)، التيسير في أحكام التسعير، تحقيق: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠م. ص٩٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير.

والصائغ، والشرّاط*، والخيّاط، والبرّام، والصفّار* والقـــوّاس، والخـــرّاط*، والفخّـــار، والحائك، والنجّار، والرمّاح، والحدّاد[١]. ويشير في موضع آخر إلى أهل الحرف ويذكـــر منهم الخرّاز والحدّاد[٢].

وكذلك نجـــد إشارات تذكر أهل (الصناعات والحـــرف)[٣]، و(أهـــل الصنـــائع والحرف)[٤]، و(أصحاب الصنائع والمهن)[٥] و(أهل الصنائع)[٦]. و(أرباب الصنـــائع)[٧]، و(أصحاب الصناعات)[٨]. وهذه الإشارات تشعرنا بوجود فارق بين الحرفة والصناعة.

---

* الشراط: صانع شريط الدوم المستعمل لربط البضائع، والجمع: الشراطون، عبد القـــادر زمامـــة، أســـماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، كانون الثاني " يناير " ١٩٧٣. ص١١٦، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس.

* الصفّار: صانع الصفر، والنحاس الأحمر من الصفر والفلز، والصفر جنس يجمـــع النحـــاس واللاطـــون، والفلز: النحاس الأبيض. ابن سيدة، المخصص، مج٣، س٥، ص٢٥.

* الخرّاط: محترف خرط الأعواد والأخشاب وحرفته متممة للنجارة، زمامة، أسماء الحرف المعروفـــة فـــي مدينة فاس، ص١١١.

(١) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير ص٨٣.

(٢) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص٥٥.

(٣) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـــ / ١١١١م)، إحيـــاء علـــوم الديـــن، ج٢، دار المعرفـــة للطبـــاعة والنشر، بيروت: لبنان (د.ت).ص٨٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الغزالي، إحياء علوم الدين.

(٤) المكناسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان (ت ١٢١٤هـــ / ١٨٠٠م)، الإكسير فـــي فكـــاك الأسير، تحقيق: محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي: الربـــاط، ١٩٦٥م. ص١٦١، سيشـــار لـــهذا المصدر فيما بعد: المكناسي، الإكسير.

(٥) ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى شهاب الدين (ت ٧٤٩هـــ / ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممـــالك الأمصار، ج٥، مخطوط في مكتبة الجامعة الأردنية، ميكرو فيلم رقم (١٠٣٨): ص١٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ.

(٦) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، (ت ٣٨٠هـــ / ٩٩٠م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحيـــاة: بيروت (د.ت)، ق١، ص١٠٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن حوقل، صورة الأرض.

(٧) السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي (ت في نهاية ق٥ هـــــ / ١١م أو أوائـــل ق ٦هــــ / ١٢م)، في آداب الحسبة؛ باعتناء كون وليفي بروفنسال، باريز، ١٩٣١م، ص٩، سيشار لهذا المصدر فيمـــا بعد: السقطي، في آداب الحسبة.

(٨) ابن حيان، أبو مروان القرطبي (ت ٤٦٩هـــ / ١٠٧٦م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيـــق: عبـــد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت: لبنان (د، ت).ص٢٠، ٤٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن حيـــان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس.

ب- تنوع الحرف والصناعات في المجتمع الإسلامي

تعتبر الحرف والصناعات من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في المجتمع الإسلامي، لذلك أولاها المفكرون المسلمون جانباً من اهتمامهم وعنايتهم، وحاولوا تصنيفها وتبيان أنواعها وفق أسس متعددة ومختلفة، وهذا ما نجده في (رسائل إخوان الصفا) (ق ٤هـ/١٠م)، وفي كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي (ت٥٠٥ هـ/ ١١١١م)، وفي كتاب (الإشارة إلى محاسن التجارة) للدمشقي (ت بعد ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) وفي (مقدمة ابن خلدون) (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).

أما (رسائل إخوان الصفا)[١]، فقد وجهت عناية خاصة إلى العمل وإلى الصناع، وأثنت في رسالة خاصة على الصناع، وأشارت إلى شرف الصنائع[٢] ووصفت من لا صناعة له بأنه " لا يتعلم الصناعة لكبر نفسه مثل أولاد الملوك.. (أو) لزهده وورعه ورضاه بقليل من أمور الدنيا، وإقباله على طلب الآخرة مثل الأنبياء عليهم السلام.. (أو) لكسله وثقل طبيعته عن الحركة، ويرضى بالذل والهوان في طلب المعيشة كالمكدّين والسؤّال (أو) من أجل مهانته، واسترخاء طبيعته، وقلة فهمه، مثل النساء وأمثالهن من الرجا "[٣].

ويلاحظ أن إخوان الصفا في تصنيفهم لطبقات المجتمع، قد صنفوا الناس على أساس مادي حسب عملهم ودخلهم، فالناس في نظرهم كلهم صنّاع وتجار، أغنياء وفقراء. فالصناع: هم الذين يعملون بأبدانهم وأدواتهم، يعيشون من بيع ما ينتجون. والتجار: هم الذين يتبايعون بالأخذ والإعطاء، وغرضهم طلب الزيادة فيما يأخذونه على ما يعطون.

---

(١) إخوان الصفا: جمعية سرية بدأت فعالياتها في البصرة أو بغداد، وانتشرت في مختلف البلدان، وكانت تشتغل ضد الخلافة العباسية وتسعى للتهذيب العام، جاعلة ذلك وسيلة لإحداث ثورة سياسية دينية عامة، ولهذا الغرض ألفوا رسائلهم المشهورة بـ (رسائل إخوان الصفا) وعددها بين إحدى وخمسين وثلاث وخمسين رسالة، وتناولوا فيها كل نواحي المعرفة التي يحتاجها الفرد المثقف في القرن الرابع الهجري، أنظر: عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٢، دار المشرق، بيروت: لبنان، ١٩٧٤م. ص٨٥، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي.

(٢) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مج١، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر: بيروت، ١٩٥٧، ص٢٨٧، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٨٦.

(٣) إخوان الصفا، رسائل، مج١، ص٢٩١. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٨٦.

والأغنياء: هم الذين يملكون المواد الأولية، والمنتجات الصناعية، والفقراء هم المحتاجون إليها وطلبهم الغنى[1].

أما الحرف والصنائع، فقد صنفها إخوان الصفا وفق أسس متعددة ومختلفة. فصنفوها حسب موضوع الصناعة إلى نوعين:

أ-الصنائع الروحانية: وتشمل المهن الفكرية (العلمية).

ب-الصنائع الجسمانية: وتشمل الحرف اليدوية (العملية). وهذه صنفوها إلى:

١. صنائع يكون موضوعها بسيطاً: كالماء (مثل صناعة الملاحين، والسقائين، والروائين، والسباحين، الخ)، والتراب (مثل صناعة حفار الآبار، والأنهار، والقني، والقبور، والمعادن، الخ)، والنار (مثل النفاطين، والوقادين، والمشعلين)، والهواء (مثل الزمارين، والبواقين، والنفاخين أجمع)، والماء والتراب معاً (مثل الفخارين، والغضارين، والقدوريين وضرّابي اللبن، وكل من يبل التراب).

٢. صنائع يكون موضوعها مركباً، وهي ثلاثة أنواع: الأول، الأجسام المعدنية (مثل صناعة الحدادين، والصفّارين، والزجّاجين، والصوّاغين)، الثاني: النباتات، والصناعات من هذا النوع إما أن تتناول أصول النبات من الأشجار والقضبان والأوراق، مثل (صناعة النجّارين، والخوّاصين، والحصريين، والبوارين، والأقفاصيين ومن شاكلهم)، أو تتناول لحاء النبات (مثل الكتانين ومن يعمل القنب، والكاغد ومن شاكلهم)، أو تتناول ورق الأشجار والحشائش وزهر النباتات ونورها وعروقها وقشورها. أو تتناول ثمر الأشجار وحب النبات مثل (الدقاقين، والرزازين، والعصارين، وكل من يخرج الأدهان من ثمر الشجر وحب النبات)، الثالث: الحيوان (مثل صناعة الصادين، ورعاة الغنم، والبقر، والبياطرة، الخ). أو تتناول إنتاج الحيوان (مثل صناعة القصابين، والشوائين، والدباغين، والأساكفة، والخرازين). أو مقادير الأجسام (مثل الوزانين والكيالين). ومن الصنائع ما موضوعها أجساد الناس كصناعة الطب والمزينين، ونفوس الناس كصناعة المعلمين[2].

---

[1] إخوان الصفا، رسائل، مج١، ص٢٨٥-٢٨٦؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٨٦.

[2] إخوان الصفا، رسائل، مج١، ص٢٨٥-٢٨٦؛ أنظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٨٦؛ صباح إبراهيم الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها، دار الحرية للطباعة: بغداد، ١٩٧٦م، ص٢٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: صباح الشيخلي، الأصناف.

وصنف إخوان الصفا الصنائع حسب فائدتها وأهميتها للمجتمع، كما يلي:

أ. صنائع ضرورية: كالزراعة والحياكة والبناء.

ب. صنائع تابعة لها وخادمة (أي للصنائع الضرورية)، أو متممة ومكملة لها. فمثلاً صناعة الحياكة ضرورية ومهمة للإنسان، إلا أنها لا تتم إلا بضاعة الغزل، وصناعة الغزل لا تتم إلا بصناعة الحلج، فصارت صناعة الغزل وصناعة الحلج تابعة وخادمة للحياكة.

ج. صنائع للجمال والزينة، كصناعة الديباج، والحرير، وصناعة العطور[1]. وصنفوا الصنائع تصنيفاً ثالثاً حسب استخدام الصناعة للنار، كصناعة الحدادين والصفارين، والزجاجين، والجرارين، والغضارين، والطباخين، والشوائين، والخبازين[2]. وصنفوها تصنيفاً رابعاً حسب الآلات والأدوات المستعملة فيها. وخامساً حسب قيمة إنتاجها مثل صناعة الذين يعملون آلات الرصد كالأسطرلاب، فإن قطعة من الصفر قيمتها خمسة دراهم، إذا عمل منها اسطرلاب يساوي مائة درهم[3]. ويشير الدكتور الدوري إلى أهمية هذه التصنيفات "لأنها تدل على نطاق الصناعات الموجودة في القرن الرابع الهجري، وعن التخصص المتقدم فيها، كما إنها تلقي ضوءاً على الفكر الاقتصادي في تلك الفترة"[4].

ومن الجدير بالذكر أن رسائل إخوان الصفا أدخلت الأندلس في القرن (٥هـ/ ١١م) فيذكر ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) أثناء ترجمته للكرماني[5] (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) بأنه جلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا، ولا نعلم

---

(١) إخوان الصفا، رسائل، مج١، ص٢٨٤-٢٨٥؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٩٨.

(٢) إخوان الصفا، رسائل، مج١، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه، مج١، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٩٩.

(٥) الكرماني: هو أبو الحكم عمرو بن أحمد بن علي من أهل قرطبة، وهو أحد الراسخين في علم العدد والهندسة، رحل إلى ديار المشرق وانتهى منها إلى حران من بلاد الجزيرة، وعني هناك بطلب الهندسة والطب، ثم رجع إلى الأندلس وجلب معه رسائل إخوان الصفا، توفي بسرقسطة سنة ٤٥٨هـ وقد بلغ تسعين سنة، أنظر: ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، ١٩٦٥م، ص٤٨٤-٤٨٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء.

أحداً أدخلها الأندلس قبله"[1] ولا شك في أن الأندلسيين قد درسوها، وأفادوا منها في شتى مجالات الحياة.

أما الغزالي فقد قسم "الصناعات والحرف" إلى: صناعات ضرورية (مهمة)، وصناعات غير ضرورية (كمالية)، وهي ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين في الدنيا، كصناعة النقش، والصياغة، وتشييد البنيان بالجص، وصنفها من ناحية النظرة الاجتماعية إلى: صناعات مستحبة (كالخياطة، والنجارة، والحدادة، والتجارة، والوارقة). وصناعات غير مستحبة (كالدباغة، والحجامة، والكناسة، والدلالة، الخ)[2].

وأما الدمشقي فقد صنف الصنائع إلى:

أ- صنائع علمية، وتشمل المهن الفكرية (كالفقه والنحو والهندسة).

ب- صنائع عملية، وتشمل المهن اليدوية (كالحياكة، والفلاحة، ومشط الصوف والكتان)، وهذه يمكن أن تمارس بعد تدريب بسيط.

ج- صنائع مركبة منهما (أي علمية وعملية)، كالطب والفروسية والكتابة.[3] ومن ناحية صحية صنفها إلى: صنائع مضرة بالعقول والآراء، وهي التي يخالط فيها الصنّاع النساء والصبيان. وصنائع مضرة بالأدمغة والأجسام، مثل الأشياء المنتنة والسمك والغبار، كصناعة الكيال والمغربل، والأعمال الشاقة مثل حمل الأثقال.[4] كما صنفها من ناحية النظرة الاجتماعية إلى: صنائع شريفة، وصنائع قبيحة[5].

وأما ابن خلدون، فقد قسم الصنائع حسب ضرورتها إلى:

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٨٤-٤٨٥.

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص٨٣-٨٤؛ أنظر: صباح الشيخلي، الأصناف، ص٣٠.

(3) الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي (ت ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض ورديها وغشوش المدلسين فيها (ضمن كتاب دراسة في الفكرة الاقتصادي العربي، لمحمد عاشور)، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط١، ١٩٧٣م. ص٣٨، ٤١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة.

(4) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤١-٤٢.

(5) المصدر نفسه، ص٤٠.

صنائع بسيطة، وهي الصنائع الضرورية التي يحتاجها المجتمع الحضري والبدوي على حدٍ سواء كالخياطة، والحدادة، والنجارة، والحياكة، والجزارة. وصنائع مركبة، وهي الصنائع الكمالية التي أوجدتها أحوال النعيم والترف، وهذه تنفرد بها المجتمعات المتقدمة والمتحضرة، فيقول ابن خلدون: "فإذا تمدنت المدينة وتزايدت فيها الأعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف زائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش"[١]. وفي موضع آخر يقول:

"وما يستدعى لعوائد الترف وأحواله فإنما يوجد في المدن المستبعدة في العمارة، والآخذة في عوائد الترف والحضارة، مثل الزجاج، والصائغ، والدّهان، والطبّاخ، والصفّار، والفرّاش، والدبّاج، وأمثال هذه، وهي متفاوته، وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة، وتستدعي أحوال الترف، تحدث صنائع لذلك النوع"[٢].

كما أشار ابن خلدون إلى (أمهات الصنائع)، وصنفها إلى نوعين: صنائع ضرورية في العمران كالفلاحة، والبناء، والخياطة، والنجارة، والحياكة. وصنائع شريفة بالموضوع كالتوليد والكتابة، والوراقة، والغناء، والطب، وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتممة لها[٣].

---

[١] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق؛ عبد الواحد وافي، ج٣، ط١، لجنة البيان العربي، ١٩٦٠م، ص٩٢٣-٩٢٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة؛ انظر كذلك، صباح الشيخلي، الأصناف، ص٣٠.

[٢] ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٨٨٤-٨٨٥.

[٣] المصدر نفسه، ج٣، ص٩٣١.

الباب الأول

المواد الأولية الداخلة في الصناعات الأندلسية ومناطق توزيعها وانتشارها

الفصل الأول

المواد الأولية من أصل نباتي وحيواني

1. المحاصيل الزراعية:

أ. الحبوب:

أولى الأندلسيون زراعة الحبوب جانباً كبيراً من اهتمامهم وعنايتهم، نظراً لأهمية هذا المحصول وضرورته في الحياة اليومية، إذ يستفاد من القمح والشعير والفول والحمص والعدس والأرز وسائر أنواع الحبوب في مجالات الصناعة الغذائية التي لا غنى للإنسان عنها. كما أن للقمح والشعير أهمية خاصة، باعتبارهما من المحاصيل الأساسية التي يعتمد عليها اقتصاد الدولة، إذ كانت تشكل مورداً مهماً من موارد الأندلس المالية[1].

وقد انتشرت زراعة الحبوب في أنحاء مختلفة من الأراضي الأندلسية. فاشتهرت قرطبة[2] (CORDOBA) وجيّان[3] (JEAN) بزراعة القمح والشعير وسائر أنواع الحبوب.

---

[1] العذري، أبو العباس أحمد بن عمر (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق؛ عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥. ص١٢٤-١٢٧، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: العذري، ترصيع الأخبار؛ أنظر كذلك: البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٦٤)، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، ط١، تحقيق، عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ص١٠٥. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: البكري، جغرافية الأندلس؛ ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي (عاش في ق ٦هـ/ ١٢م)، قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج٢، ربيع الأول ١٣٧٥هـ/ نوفمبر ١٩٥٥م، ص٣٠٦. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن غالب، فرحة الأنفس؛ هياجنة، محمود حسين شبيب، الوضع الزراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، محرم ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص١٤٢، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس.

[2] كما اشتهرت زراعة القمح والشعير في بعض الأقاليم التابعة لقرطبة، ومثال ذلك إقليم المدور، القصب، لورة، الصدف، بني مسرة، منيانه، كرتش، القتل أو (القشتل) الهزهاز، الملاحة، الشعراء، وإقليم أولية السلهة، أنظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص١٢٤-١٢٧؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٥؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تقديم حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج١٣، ١٩٦٥-١٩٦٦م.ص١٧٩-١٨١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية.

[3] الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسيني (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٥، تحقيق: شيرولي وآخرون، نابولي، بروستات أبود ي.ج.بريل، لوجدوني باتا فورم، ١٩٧٥م،

=

وكثرت زراعة الحبوب في أرجوانة[1] (ARJONA)، حيث وصفها المقدسي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) بـ"بلد الحبوب"[2]. وفي غرناطة والمناطق التابعة لها [3].

وفي سهول الكنبانية[4] والبراجلات[5]، إذ ذكر ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) أنهما "بحر من بحار الحنطة ومعدن من معادن الحبوب المفضلة "[6].

=

ص٥٦٨. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الإدريسي، نزهة المشتاق؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ص٣٦؛ الحميري، محمد عبد المنعم (عاش في ق ٩هـ/ ١٥م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان ودار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥، ص١٨٣. سيشار لهذا المصدر فيما بعد؛ الحميري، الروض المعطار.

(١) أرجونة: بلد من ناحية جيان بالأندلس، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص١٤٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ياقوت الحموي، معجم البلدان.

(٢) المقدسي، أبو عبد الله محمد (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ١٩٠٦م، ص٢٣٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: المقدسي، أحسن التقاسيم.

(٣) في فحص غرناطة مثلاً، كان يزرع القمح والشعير والذرة العربية، وأصناف القطاني التي تشمل: العدس والكرسنة والفول والحمص. انظر: القزويني، محمد بن محمود، (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر دار بيروت، ١٩٦٩م.ص٥٠٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: القزويني، آثار البلاد؛ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني، (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج١، تحقيق: محمد عنان، دار المعارف، مصر (د.ت).ص٩٦،١١٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، الإحاطة؛ مؤلف مجهول، (من أهل ق ٨هـ/١٤م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٩م. ص٩١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، الحلل الموشية؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٤٣.

(٤) الكنبانية : كلمة مشتقة من كلمة Campo القشتالية، ومعناها هنا البسيط أو السهل من الأرض، وتقع شمال غرب غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة، مج١،ص٩٦؛ ويشير الإدريسي إلى إقليم الكنبانية، الذي يضم المدن التالية: قرطبة، الزهراء، إستجّه، بيانة، قبرة، واليشانة، بالإضافة إلى جملة حصون وقرى. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٣٦.

(٥) البراجلات: جميع برجلة وهو تحريف للكلمة الإسبانية Parcela، أي قطعة من الأرض، وتقع البراجلات شمال شرق غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٩٦.

(٦) ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.ص٢٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، اللمحة البدرية.

وكثرت غلات القمح والشعير في مدينة أُبَّـذة[1] (UBEDA)، وأُنْـدَة[2] (ONDA) وبرشلونه[3] (BARCELONA). ومن المناطق التي اشتهرت بزراعة القمح مدينة شُـيُرُب (SEGORBE) مـن أعمـال بلنسـية[4]. والمُنكَّـب*،[5] (ALMUNECAR)، ومُرْسِـيه[6] (MURCIA)، التي تميز قمحها بكثرة الناتج من الحبـة الواحدة، حيث ذكر الزهري أنـها تنبت مائة سنبلة، وفي كل سنبلة ثمانون حبة ومائة حبة طيبة[7].

واشتهرت طُليطُلة[8] (TOLEDO) بزراعة الحنطة المتميزة بجودتها، كما اشـتهرت بحفظها لفترات طويلة[1]، فحنطتها " لا تتغير ولا تسوس على مر السنين، يتوارثهـا

---

[1] أبذة: تقع شرق بياسة وتبعد عنها سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة بالقرب من نهر الوادي الكبير. أنظـر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، عني بنشرها، إ.لافي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٨.ص١١، سيشـار لهذا المصدر فيما بعد، صفة جزيرة الأندلس.

[2] أندة: من أعمال كورة بلنسية، تقع شرق قرطبة وتدمير. أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٥؛ ابـن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٦.

[3] تقع في الركن الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة الأندلسية، بينها وبين طركونه خمسون ميلاً. الحمـيري، الروض المعطار، ص١٦٤.

[4] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٥.

* والمنكَب: بلد على ساحل جزيرة الأندلس، من أعمال البيرة، بينه وبين غرناطـة أربعـون ميـلاً أنظـر: البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مراصد الإطـلاع علـى أسـماء الأمكنة والبقاع، ط١، ج٣، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد علي البـاجي، دار إحيـاء الكتـب العربيـة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ص١٣٢٤. سيشار لهذا المصدر فيما بعـد: البغـدادي، مرصـد الإطلاع.

[5] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله) نشـر وتحقيق: أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨. ص٨٠. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين.

[6] مرسية: من أعمال تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط.(٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧).

[7] الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)، الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صـادق، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية: دمشق، ١٩٦٨.ص١٠٠، سيشار لهذا المصدر فيمـا بعـد: الزهـري، الجغرافية.

[8] طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، تقع على شاطئ نهر تاجه، ويتصل عملها بعمـل وادي الحجارة، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس. أخذها النصارى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) أنظـر: يـاقوت

=

الخلف عن السلف[٢] ". كما اشتهرت سرقسطة[٣] (ZARAGOZA) بحفظ القمح والفول والحمص وسائر أنواع الحبوب لفترات طويلة دون أن تصاب بالتسوس[٤].

وتوحي هذه الإشارة بأن زراعة الفول والحمص قد انفردت بها سرقسطة، ولكن هذا لا يعني عدم زراعتهما في مناطق الأندلس الأخرى[٥]، إذ أن كتب الفلاحة الأندلسية تشير إلى زراعة القمح والشعير والحمص والفول والعدس، واللوبيا، والذرة، وغيرها من أنواع الحبوب، وأصناف القطاني في الأندلس حيث التربة المناسبة والمناخ الملائم[٦].

كما انتشرت زراعة الحنطة والشعير في مدينة قرمونه[٧] (CARMONA) وحصن بيانة[١] (BAENA). وحصن سهيل*[٢] (FUENGIROLA)، وشريش[٣] (JEREZDE LA

=

الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٢، ص٨٩٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ١٣٠-١٣٥.

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٠؛ أنظر: الزهري، الجعرافية، ص٨٢.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص٨٨؛ أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢١.

(٣) سرقسطة: تقع في شرق الأندلس، وتعرف بالمدينة البيضاء، لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض، وقيل سميت بذلك لكثرة جصّها وجيّارها. وأخذ النصارى سرقسطة من أيدي المسلمين سنة (٥١٢هـ/ ١١١٨م) أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٦-٩٧.

(٤) الزهري، الجعرافية، ص٨١؛ المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ص١٩٧. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: المقري، نفح الطيب.

(٥) حتاملة، محمد عبده، ملامح حضارية في الأندلس، منشور ضمن كتاب (بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبه بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩، ص١٨٩. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: حتاملة، ملامح حضارية.

(٦) ابن بصال، عبد الله محمد بن ابراهيم الطليطلي (عاش في ق ٥هـ/١١م)، كتاب الفلاحة، نشر وترجمة: خوسي ماريه مياس بييكروسا، ومحمد عزيمان، معهد مولاي حسن، تطوان، ١٩٥٥م. ص١٠٩-١١٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن بصال، الفلاحة، انظر: ابن حجاج الاشبيلي، أبو عمرو أحمد بن محمد (عاش في ق ٥هـ/١١م)، المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار، وجاسر أبو صفية، تدقيق واشراف: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.ص١٤، سيشار له فيما بعد: ابن حجاج الاشبيلي المقنع في الفلاحة؛ ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد (عاش في ق٦هـ/ ١٢م)، كتاب الفلاحة، مدريد، ١٨٠٢م.ص٩٤-٩٦، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن العوام، الفلاحة.

(٧) قرمونة: مدينة بالأندلس، تقع شرقي إشبيلية وغرب قرطبة. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥،ص٥٧٢؛ ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، صلة السمط وسمة المرط، تحقيق:

=

(FRONTERA) وشـــنترة[٤] (CINTRA)، وطركونـــة [٥] (TARRAGONE)، وتطيلـــــه[٦] (TUDELA)، ووادي الحجارة (GUDALAJARA)، وتدمـــير[٧] (TUDMIR) التـــي تقـــع شرقي قرطبة[٨]، وإستجه[٩] (ECIJA)، ومدينة المرية (ALMERIA) التي يخـــــتزن بـــها الشعير لفترة طويلة دون أن يتسوس[١٠]. كما أن سنقير، وهو مكان قريب من المريــــة،

=

أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص١٨٣.سيشار لهذا المصدر فيما بعـــد: ابن الشباط، صلة السمط.

(١) بيّانة: قصبة كورة قبرة، وهي كبيرة حصينة، يكتنفها اشجار وأنهار، بينها وبين قرطبـــة ثلاثـــون ميـــلاً. أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٧؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص٢٣٦.

(٢) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبـــة الخـــانجي: القـــاهرة، ١٩٨١.ص٢٨٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، ريحانة الكتاب.* حصن سهيل: يقـــع غربـــي مالقة، وهو عمل عظيم كثير الضياع، وفيه جبل سهيل، لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلا منه، المقري، نفـــح الطيب، مج١،ص١٦٤.

(٣) شريش: من كورة شذونة بالأندلس، تقع على مقربة من البحر؛ بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميـــلاً. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٣.

(٤) شنترة: من مدن غرب الأندلس، تابعة لمدينة الأشبونة، وتقع على مقربة من البحر. ومـــن خواصـــها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان بعد (٤٠)يوماً. أنظر: الحميري، صفة جزيـــرة الأندلـــس، ص١١٢؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٤.

(٥) طركونة: مدينة أولية، تقع على شاطئ البحر المتوسط، بين مدينة طرطوشة وبرشلونة، أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٦؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥.

(٦) تطيلة، مدينة من المدن الشمالية الإسبانية، تقع على وادي الأبرو على بعد ٧٨ كيلو متراً، شـــمال غـــرب سرقسطة، أنظر: ابن الكربدوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (عاش في أواخر ق ٦هـــ/ ١٢م)، قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإســـلامية، مدريـــد، ١٩٧١، ص٩٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء؛ الحميري، صفـــة جزيرة الأندلس، ص٦٤.

(٧) وادي الحجارة: مدينة بالأندلس، تقع شمال شرق مدريد، وكانت تعـــرف بمدينـــة الفـــرج. أنظـــر: ابـــن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٧٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس،ص١٩٢.

(٨) العذري، ترصيع الأخبار، ص٥؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤.

(٩) إستجه: اسم لكورة بالأندلس من أعمال ريُة، تقع على نهر غرناطة المسمى شنيل أو (سنجل)، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٧٤.

(١٠) الزهري، الجعرافية، ص١٠١.

اشتهر بزراعة القمح الفائق الجودة، الذي تنبت الحبة الواحدة منه مائة وثمانين سنبلة، وفي كل سنبلة ثمانون حبة(١).

وكثرت زراعة القمح والشعير في شنترين(٢) (SANTAREM)، وأورية(٣) (ORENSE)، وإلبيرة(٤) (ELIVIRA)، ومدينة لورقة(٥) (LORCA) التي امتازت بخصوبة أرضها وطيب مزروعاتها ووفرة إنتاجها من الحبوب(٦). واشتهرت مدينة يبَورة(٧) ومنطقة فحص بلاطة(٨) بزراعة الحنطة الجيدة.

أما زراعة الأرز(٩)، فقد انتشرت في المناطق الجنوبية والشرقية من الأندلس(١٠).

ويشار إلى مدينة بلنسية(١) (VALENCIA)، التي اشتهرت بإنتاج الأرز بكميات كبيرة، حتى أنها كانت تصدره إلى جميع بلاد الأندلس(٢).

---

(١) الزهري، المصدر نفسه، ص١٠٠؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٤٤.

(٢) شنترين: تقع على نهر تاجه، بالقرب من مدينة الأشبونة. أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩١؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٢.

(٣) أورية: مدينة بالأندلس، وهي قصبة كورة جيان، وقيل: من قرى دانية بالأندلس، البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١٣٠؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٦؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩٢.

(٤) إلبيرة، كورة كبيرة من كور الأندلس، تقع جنوب شرق قرطبة، ومن أشهر مدنها مدينة غرناطة: أنظر ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١١١؛ ابن الخطيب، شاهدات لسان الدين، ص٤٠، ٨٤؛ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩١.

(٥) لورقة: مدينة كبيرة بالأندلس، وهي قاعدة كورة تدمير. القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥.

(٦) القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٤٥.

(٧) يبورة: تقع شرق بطليوس على بعد مرحلتين منها. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٤.

(٨) فحص بلاطة: يقع بين مدينة لشبونة وشنترين. ويذكر الإدريسي أن الحنطة تزرع في هذا الفحص فتقيم في الأرض أربعين يوماً فتحصد، وأن الكيل الواحد منها يعطي مائة كيل. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٩-٥٥٠.

(٩) أدخل المسلمون زراعة الأرز إلى الأندلس بعد الفتح الإسلامي، ومنها انتقلت زراعته إلى بقية بلاد أوروبا.أنظر: أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والإجتماعية، والاقتصادية، والفنية، دار الفكر، ١٩٨٢. ص٢٩٤، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه.

(١٠) أحمد بدر، الحضارة العربية الإسلامية، المطبعة التعاونية: دمشق،١٩٨١-١٩٨٢. ص٢٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: أحمد بدر، الحضارة العربية.

ب. الأشجار والنباتات المثمرة والفواكه

١. الزيتون

زرعت مناطق شاسعة من الأراضي الأندلسية بأشجار الزيتون، واشتهرت منطقة جبل الشرف[٣] (AJARAFE) التي تقع غربي إشبيلية [٤] (SEVILLA)، والمتميزة بتربتها الخصبة، وفوائدها الجمة، ومساحتها الواسعة[٥]، بزراعة أشجار الزيتون بكثرة، حتى أن المسافر كان يمشي في ظلها مسافة أربعين ميلاً طولاً واثني عشر ميلاً عرضاً. وتمتد هذه المنطقة من مدينة إشبيلية إلى مدينة لبلة [٦] (NIEBLA) [٧].وقد أشار البكري إلى كثافة أشجار الزيتون التي تغطي جبل الشرف لدرجة أنه لا تكاد تشمس منه بقعة

=

[١] بلنسية: من مدن شرق الأندلس، تقع شرقي مرسية وقرطبة وغربي طرطوشة. أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٥؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٢٠؛ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ-١٣٣١م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه: رينود، والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م. ص١٧٩. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: أبو الفداء، تقويم البلدان.

[٢] العذري، ترصيع الأخبار،ص١٧.

[٣] جبل الشرف: تل تراب أحمر يشرف على مدينة إشبيلية، ويوصف بأنه شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً وعرضه من الشرق إلى الغرب اثنا عشر ميلاً. أنظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٥. البكري، جغرافية الأندلس ص١١٥.الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤١. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١،ص١٩٥، الشقندي، اسماعيل بن محمد (ت٦٢٩ هـ/١٢٣١م)، فضائل الأندلس وأهلها، لابن حزم وابن سعيد والشقندي. نشرها وقدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٦٨م.ص٥١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٩.

[٤]تقع إشبيلية شرق لبله وغرب قرطبة، وهي عروس بلاد الأندلس، اشتهرت بحفظ الزيتون تحت الأرض لفترة طويلة. أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس،ص٢٩٢. المقري، نفح الطيب،مج١، ص٢٠٨.

[٥] البكري، جغرافية الأندلس، ص١١٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤١.ابن الشباط، صلة السمط، ص١٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس،ص١٩.

[٦] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤١؛ ابن الوردي، سراج الدين (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر: القاهرة، ط٢،١٩٣٩.ص٢١. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الوردي، خريدة العجائب؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٩.

[٧]لبلة: من مدن غرب الأندلس. تبعد عن المحيط الأطلسي ستة أميال. أنظر الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٨.

لالتفاف زيتونة واشتباك غصونه[1].واشتهر زيتون جبل الشرف بأنه "كثير الريع عند العصر، لا يتغير على طول الدهر"[2]، لذا كان أهل إشبيلية يتاجرون بالزيت، حيث كان الفائض منه يصدر إلى بلدان المشرق والمغرب[3].

وكثرت زراعة أشجار الزيتون في قرطبة[4](CORDOBA)، وشوذر [5] (JODAR)، التي تبعد ثمانية عشر ميلاً عن قرطبة، ومارتش[6] (MARTOS)، وحصن بلكونة[7] (PORCUNA)، وحصن ببشتر [8] (BOBASTRO)، وقرسيس[9]، ووادي الرمان[10]، وبيغو[11] (PRIEGO)، ومنتيشة[12] (MENTESA)، ومنية نصر[13] ومورور (MORON)

---

[1] البكري، جغرافية الأندلس، ١١٥؛ أنظر: ابن العوام، الفلاحة، ص٢٣٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢١.

[2] ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، القدمة ص(ب)؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٩؛ الباكوي، عبد الرشيد صالح بن نوري (عاش في ق ٩هـ/ ١٥م)، تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمة: ضياء الدين بويناتوف، إدارة التحرير الرئيسية للآداب الشرقية، موسكو، ١٩٧١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الباكوي، تلخيص الآثار.

[3] العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤١؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها ص٥١؛ خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص٢١، الحميري، الروض المعطار، ص٥٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٨.

[4] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٤-٢٣٥.

[5] شوذر: حصن يقع شرقي جيان، وقبالة بيّاسة، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٩.

[6] مارتش: تبعد خمسة عشر ميلاً عن قرطبة. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٣،٢٣٥.

[7] حصن بلكونة، يبعد أربعين ميلاً عن قرطبة. المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

[8] حصن ببشتر: يبعد ثمانين ميلاً ع قرطبة، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣٧.

[9] قرسيس: مدينة سهلية، تبعد ستين ميلاً عن قرطبة. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٤.

[10] وادي الرمان: منطقة سهلية كثيرة التين والأعناب والزيتون، تبعد أربعين ميلاً عن قرطبة، المصدر نفسه، ص٢٣٤.

[11] بيغو: بلدة بالأندلس من أعمال جيّان كثيرة المياه والزيتون والفواكه. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٣٢.

[12] منتيشة: مدينة بالأندلس من أعمال جيان، وقيل إنها من قرى شاطبة. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٧-٢٠٨.

[13] منية نصر: قرية بالأندلس، تقع شرقي قرطبة، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٧.

والمناطق التابعة لها [١].واشتهرت قبرة (CABRA) وأعمالـــها [٢]، وشـــريش[٣]، ولبلـــه والمناطق التابعة لها [٤]، بكثرة أشجار الزيتون.

وانتشرت زراعة الزيتون في بجانة[٥] (PECHINA)، وإلبيـــرة[٦]، وغرناطـة[٧]، ووادي آش[٨] (GUADIX)، وبلشانة[٩]، وحصـــن بيانـــة[١٠]، وبســطة [١١]، (BAZA)، وأركش (ARCOS) التي تقع على وادي لكة[١٢].

كما انتشرت زراعة الزيتون في قمارش (COMARES) التي تقـــع شمال شـــرق مالقة[١٣]، وفي المرية[١٤]، وطبرنيش، التي تقع شرق المرية[١٥]، وتدمـــير [١]، وألــش[٢]

---

[١] مورور: من مدن قرطبة بين الغرب والجنوب، تبعد عن قرطبة ستين ميلاً. ابن غالب، فرحـــة الأنفـس، ص٢٩٣.

[٢] قبرة: تقع جنوب قرطبة، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً. أنظر. ابن غـــالب، فرحـــة الأنفـس، ص٢٨٢؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٠٦٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٣.

[٣] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٢.

[٤] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٢؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٤٥؛ ابن سعيد، المغرب فـــي حلـى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ج١، ط٢. دار المعارف: مصر، ١٩٦٤م. ص٣٣٩، سيشار لهذا المصـــدر فيما بعد: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٨.

[٥] بجانة: مدينة بالأندلس من أعمال كورة إلبير، خربت وانتقل أهلها إلى المرية. انظر: العــذري، ترصيــع الأخبار، ص٨٧؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص١٦٣؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الديـــن، ص٤٧؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٦١.

[٦] العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٣.

[٧] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١١٥؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٩١.

[٨] وادي آش: مدينة بالأندلس، قريبة من غرناطة، أنظر، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٢.

[٩] بلشانه: حصن كبير عامر يحيط به شجر الزيتون، يبعد عن حصن أشونة الذي يقع جنوب إستجه عشــرين ميلاً. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ٥٧٢؛ ابن فضل الله العمري، مســالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٧.

[١٠] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مـــخ، ج٢، ص٣٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٥٩.

[١١] بسطة: من أعمال جيان، تقع بالقرب من وادي آش. ياقوت الحمــوي، معجـم البلـدان، ج١، ص٤٢٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٤٥.

[١٢] المصدر نفسه، ص١٤.

[١٣] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ص٢٨٧؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٧٩.

[١٤] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٣؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩١.

[١٥] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩١.

(ELCHE)، وقربليا[٣] (CREVILLENTE)، ودانية [٤] (DENIA)، وحصـــن مربيطــر[٥] (MURVIEDRO)، الذي يقع قــرب طرطوشـــة[٦] (TORTOSA)، وإقليــم سرقســطة[٧]، وحصن يلوية[٨]، وفحص البلــوط[٩] (LOS PEDROCHES)، وإفراغــة[١٠] (FRAGA)، وقسطيلة[١١]، وإقليم الزيتون[١٢]. ولورقة التي اشتهرت بتصديره إلى ســائر البـــلاد[١٣]. ويلاحظ أن زراعة الزيتون تركزت في المناطق الجنوبية والشرقية من الأندلس.

=

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص٥، ٨.

(٢) ألش، مدينة بالأندلس، من أعمال تدمير، القزويني، آثار البلاد، ص٥١٣؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١١١.

(٣) قربليان: مدينة بالأندلس، بينها وبين أريولة عشرون ميلاً. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ١٥١.

(٤) دانية: مدينة كبيرة شرق الأندلس، وهي مشتقة من: دنايدنو: إذا قرب: ابن دحية، أبو الخطاب عمــر بــن حسن (ت ٦٣٣هــ/ ١٢٣٥م) المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع (د.ت). ص١٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن دحية، المطرب؛ ابن غـــالب، فرحـــة الأنفــس، ص٢٨٥.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٠-١٨١.

(٦) طرطوشـــة: تقع على ساحل البحر المتوسط، شرق بلنسية وقرطبة، أنظر: ابن غـــالب فرحـــة الأنفــس، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٧) العذري، توصيع الأخبار، ص٥٦.

(٨) حصن يلوية: من أعمال مدينة وشقة، التي تقع شرقي سرقسطة. العذري، ترصيع الأخبار، ص٥٥-٥٦.

(٩) فحص البلوط: ناحية بالأندلس تتصل بجوف أوريط، ويقع شمال قرطبة، ينسب إليه القــاضي منــذر بــن سعــدي البلوطي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ٤٩٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلـــس، ص١٤٠-١٤١.

(١٠) إفراغة: مدينة بالأندلس من أعمال ماردة، البغدادي، مراصد الإطلاع، ص٩٩.

(١١) قسطيلة: تبعد ثلاثة عشر ميلاً عن أرجونة، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٣.

(١٢) إقليم الزيتون: يضم المناطق التالية: جافة، لاردة، مكناسة، وإفراغة، أنظر: الإدريسي، نزهة المشـــتاق، ج٥، ص٥٣٨.

(١٣) الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢هــ/ ١١٤٧)، كتاب اقتباس الأنوار، تحقيق: إيميليومولينا وخاثينتوبوســك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ١٩٩٠م، ص٥٢. سيثار لـــهذا المصدر فيما بعد: الرشاطي، اقتباس الأنوار. أنظر: ابن الخراط أبو محمد الاشبيلي (ت٥٨١هــ/ ١١٨٦م)، كتاب اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق: إيميليو وخاثينتوبوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معـــهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ١٩٩٠، ص١٥٦، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخـــراط، اختصـــار اقتباس الأنوار.

٢. التوت وإنتاج الحرير

تعتبر شجرة التوت من أهم الغلات الزراعية، ذات الفائدة الاقتصادية الكبيرة، إذ يستفاد منها في تربية دودة القز، التي تستخرج من شرانقها الخيوط التي تستخدم في صناعة المنسوجات الحريرية.

وقد كثرت زراعة التوت في منطقة بيغو[١] (PRIEGO) وأشكوني[٢]. واشتهرت مناطق حصن شنش[٣] ووادي آش[٤] وفنيانة[٥] (FINANA)، بزراعة أشجار التوت وإنتاج الحرير. كما اشتهرت بذلك مرسية حتى أن أكثر ما في بساتينها "شجر التوت المعد لعلف الحرير"[٦]، ومنها كان الحرير يصدر إلى غرناطة[٧].

وتعد مدينة جيان من أشهر المدن الأندلسية في إنتاج الحرير[٨]، حتى أنها كانت تعرف بـ"جيان الحرير" لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بتربية دودة الحرير[١]. وقد كان

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٣٥.

(٢) أشكوني: بالأندلس من أعمال تدمير. ويذكر الحميري أن شجر التوت ينبت في أرضها من غير غراسه ولا اعتمال. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٢.

(٣) حصن شنش: يقع على بعد مرحلة من المرية. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٢٥، المقرّي، نفح الطيب، مج١، ص١٦٤.

(٤) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٩٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٩٥؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٢.

(٥) فنيانة: قرية بقرب وادي آش من الأندلس. ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٣.

(٦) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٦٠.

(٧) المصدر نفسه، ص١٦٠.

(٨) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، فتاوى ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ج١، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، ١٩٨٧م. ص٣٢٩-٣٣٠م، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن رشد، فتاوى؛ أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٧٧؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٦. القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط١، ج٥، تحقيق: نبيل غالب الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٢١. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: القلقشندي، صبح الأعشى؛ ابن السباهي، محمد بن علي زادة (ت٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، ميكروفيلم، شريط رقم ٥٥٩، ص٤٣/ ب، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن السباهي، أوضح المسالك.

يتبعها أكثر من ثلاثة آلاف قرية كلها تربي هذه الدودة[٢].واشتهرت إلبيرة والمناطق التابعة لها بإنتاج الحرير الجيد "الذي ينتشر في البلاد ويعم الآفاق"[٣]. ويكثر الحرير في منطقة جبل شلير[٤] والقرى المتصلة به[٥].وفي برجة (BORJA) التي تقع شمال غرب المرية[٦]. وفي دلاية[٧] (DALIAS)، والمرية[٨]، وأندرش[٩] (ANDARAX)، ومالقة (ALAGA) وأعمالها[١]، وغرناطة، وبسطة[٢].كما توصف سهول الكنبانية، والبراجلات[٣]، وإقليم بشرة بني حسان وشبالش[٤] بأنها معدن من معادن الحرير.

=

[١] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٥١؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٧.

[٢] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٨؛ أنظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤١.

[٣] الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (عاش في النصف الأول من ق٤هـ/ ١٠م)، كتاب مسالك الممالك، إز انتشارات كتابخانة صدر، لوجدوني باتافورم، ابود، ي.ج.بريل، ١٩٢٧م. ص٤٤. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الأصطخري، مسالك الممالك؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤.

[٤] جبل شلير: يقع جنوبي غرناطة بالقرب من البحر المتوسط، ويتصل بالجزيرة الخضراء. وتغطية الثلوج شتاءً وصيفاً، لذا يعرف بـ " جبل الثلج ". أنظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص٨٤ ٨٥؛ الزهري، الجغرافية، ص٩٣، ابن غالب، فرحة الأندلس، ص٣٠٧.

[٥] البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٤-٨٥. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٢.

[٦] ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٨٩؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨١-٨٢.

[٧] دلاية: قرية أندلسية صغيرة تقع على مقربة من غربي المرية، أنظر: ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩٠؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٢.

[٨] الزهري، الجغرافية، ص١٠٢؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ط١، تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٤٠. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن سعيد، الجغرافيا؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٢-١٦٣.

[٩] أندرش: بلدة أندلسية صغيرة من أعمال المرية، تقع على النهر الأحمر على مقربة من البحر المتوسط، وتشتهر في التاريخ بأنها كانت مقام أبي عبد الله محمد آخر ملوك الأندلس، وبلاطه الصغير عقب سقوط غرناطة. أنظر: ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩٤؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين.ص٨٨.

[١] الزهري، الجعرافية، ص٩٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٧٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٢.

[٢] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١١٥؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٩١؛ المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٦٠-١٨٢.

(ALAGA) وأعمالـها[1]، وغرناطـة، وبسـطة[2].كمـا توصـف سـهول الكنبانيـة، والبراجلات[3]، وإقليم بشرة بني حسان وشبالش[4] بأنها معدن من معادن الحرير.

. **القطن والكتان**

كانت النبات والأعشاب التي تدخل في صناعة الأقمشة والمنسوجات، تزرع فـي الأندلس على نطاق واسع، كـالقطن والكتـان، والزعفـران، والعصفـر، والكمـون، والكـزبرة والفوّة والحنّاء[5].

أما زراعة القطن[6] فقد اشتهرت في مدينة إشبيلية التي تقـع على نهر الـوادي الكبير[7] (GUADL QUIVIR) حيث التربة الخصبة والمياه الوفيرة. وامتاز إنتاجـها مـن

---

(1) الزهري، الجعرافية، ص٩٣؛ أبو الفداء، تقويم البلـدان، ص١٧٥؛ القلقشـندي، صبـح الأعشـى، ج٥، ص٢١٢.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١١٥؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٩١؛ المكناسي، الإكسير فـي فكاك الأسير، ص١٦٠-١٨٢.

(3) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٢٢.

(4) إقليم بشرة بني حسان: من أقاليم غرناطة، ويضم المناطق التالية: حصن برجة والعذراء والقليعة، وحصن شبالش، ودلاية، أنظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٢٩؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الديـن، ص٨٨؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩٤.

(5) كولان، ج.س، الأندلس، ط١، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشـيد وآخـرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٠٢، سيشار لهذا المرجع فيمـا بعـد كولان، الأندلس.

(6) أدخل العرب زراعة القطن إلى الأندلس بعد الفتح من المشرق الإسلامي، ومنها انتقلـت زراعتـه إلـى المناطق المجاورة. أنظر: علي محمد حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتـاب العربي، ط١، ١٩٥٧ص، ٢١٧. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: حمودة، تاريخ الأندلس السياسي؛ الرفـاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص٢٩٤.

(7) نهر الوادي الكبير: يعرف بأسماء متعددة منها: " نهر بيطي ". " ونهر قرطبـة ". " ونـهر إشـبيلية ". " وتوفير ". ينبع من جبال شقورة ويصب في المحيط الأطلسي، ويبلغ طوله من منبعـه إلـى مصبـه (٣١٠) أميال. ومن أشهر المدن الواقعة عليه: مدينة قرطبة، وإشبيلية الواقعة على ضفته الشرقية، والتي تبعد مسـافة خمسين ميلاً عن مصبه. أنظر: أورسيوس، (ولد بين ٣٧٥-٣٨٠م)، تاريخ العالم، تحقيـق: عبـد الرحمـن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٢. ص٧٦ سيشار لهذا المصدر فيما بعد: أورسيوس، تاريخ العالم؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦١؛ الزهري، الجعرافية، ص٩٧-٩٨؛ ابن غالب، فرحـة الأنفس، ص٣٠٧؛ السباهي، أوضح المسالك، مخ، ص٩/أ.

القطن بالوفرة والجودة العالية[١]، وكان الفائض منه يصدر إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب[٢]. وكثرت زراعة القطن في كورة[٣] رندة[٤]، ومنطقة وادي آش[٥].

أما زراعة الكتان[٦] فقد كثرت في منطقة إلبيرة وأعمالها[٧]، وكان كتانها رفيعاً متميزاً بجودته[٨]. وامتازت منطقة فحص إلبيرة بإنتاج الكتان الجيد، الذي كان يصدر إلى أقاصي بلاد المسلمين[٩]. واشتهرت منطقة جبل شلير والقرى المتصلة بها بزراعة "الكتان الذي يفضل كتان الفيوم"[١٠].

ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بزراعة الكتان: مدينة لاردة [١١] (LERIDA) التي كانت تصدره إلى جميع الثغور الأندلسية[١٢]. ومدينة شبروب من أعمال

---

[١] العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢١.

[٢] كان القطن يصدر إلى إفريقية، والقيروان، وسجلماسة، أنظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢١.

[٣] الكورة: هي عبارة عن الصقع أو الناحية، وتطلق أيضاً على المدينة. ابن الشباط، صلة السمط، ص١٧١.

[٤] رندة: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٧٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ج١، ص٣٢٩.

[٥] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٢.

[٦] تحدث أبو الخير الأندلسي مسهباً عن كيفية زراعة الكتان في الأندلس، أنظر: أبو الخير الأندلسي، كتاب في الفلاحة المطبعة الجديدة: فاس، ط١، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م ص١٣٩-١٤١. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: أبو الخير الأندلسي، الفلاحة.

[٧] يشير ابن سعيد هنا إلى مملكة إلبيرة التي تقع بين مملكتي قرطبة والمرية، ومملكتي جيان ومالقة. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩١؛ أنظر: ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١١٥؛ المؤلف مجهول، الحل الموشية، ص٩١.

[٨] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤.

[٩] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٤.

[١٠] البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٢.

[١١] لاردة: مدينة مشهورة بالأندلس، تقع شرقي قرطبة، وتتصل أعمالها بأعمال طركونة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٧.

[١٢] الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧.

بلنسية[١]، وباجة[٢] (BEJA)، وأندرش[٣] وبجانة[٤]، ووادي آش[٥]، والمرية التي وصفها ابن الخطيب بأنها "بلد الكتان"[٦] ومدينة فرّيش الواقعة شمال غرب قرطبة[٧].

٤. الزعفران والعصفر

وتميزت الأندلس بزراعة الزعفران والعصفر[٨]. وهما من النباتات التي تدخل في صناعة الأصباغ[٩]. فاشتهرت طليطلة بزراعة الزعفران الفائق الجودة[١٠] "الذي يعم البلاد ويتجهز به إلى الآفاق"[١١].

وكثرت غلات الزعفران[١٢] في منطقة وادي الحجارة التي تقع شرقي طليطلة، ومنها كان يصدر إلى سائر الجهات الأندلسية[١]. وبلنسية التي يزكو بها ويجود[٢]. وأبّد (UBEDA). حيث تكثر مياه الري لسقي[٣].

---

[١] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٥.

[٢] باجه: تقع غرب قرطبة وجنوب شرقي الأشبونة. أنظر: الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٢٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص١٥٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٩.

[٣] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣٢.

[٤] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٤٧.

[٥] الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٩٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٩٥.

[٦] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٣.

[٧] ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٥.

[٨] ابن بصال، الفلاحة، ص١١٦؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٤،١٩٩.

[٩] الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، كتاب النبات، (الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس)، تحقيق: برنهارد لقين، دار النشر: فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤. ص١٦٧-١٧٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: النبات، ج٣.

[١٠] ابن حيان، المقتبس، ج٥، اعتنى بنشره: ب. شالميتا وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م. ص٣١٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن حيان، المقتبس؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩-٤٠.

[١١] البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص٨٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

[١٢] للزعفران استعمالات أخرى، فهو يدخل في تحضير العقاقير الطبية المفيدة في علاج خفقان القلب والتهاب الطحال، كما يستخدم في علاج مرض الظلمة الذي يؤدي إلى ضعف الإبصار ليلاً. انظر: هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٧٩.

وفي بيّاسة[٤] (BAEZA) كان يزرع الزعفران ومنها يصدر براً وبحراً إلى الخارج[٥]. ويكثر الزعفران في مدينة باغة (PRIEGO) من أعمال غرناطة[٦].

أما بسطة فقد اختص أهلها "بمعالجة الزعفران"[٧]، فكانت تنتج منه ما يكفي لسد حاجة مسلمي الأندلس[٨]، وكانت زراعة العصفر[٩] تجود في كورة إلبيرة [١٠]، وكورة

=

[١] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٣؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٦.

[٢] العذري، ترصيع الأخبار، ص١٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥١٣؛ الباكوي، تلخيص الأثار، ص١٢٢.

[٣] أبده: مدينة أندلسية بناها الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، وهي مجاورة لبياسة، لكنها لا تقع على الوادي الكبير، أنظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢ ص٧٥؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٦٧؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٧٩.

[٤] بياسة: مدينة أندلسية من أعمال جيان، تقع على نهر الوادي الكبير، قرب إشبيلية. استولى عليها النصارى، سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م). أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٢١؛ السباهي، أوضح المسالك، مخ، ص٣٥/ ب.

[٥] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٧١؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٥-٥٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٢١؛ الحميري الروض المعطار، ص١٢١؛ السباهي، أوضح المسالك، مخ، ص٣٥/ب؛ المقري، نفح الطيب. مج٣، ص٢١٧.

[٦] كانت باغة تصدر الزعفران خارج الأندلس. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٢٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٥٤؛ أبو الفداء، تقويم البلدان،ص١٧٧.

[٧] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٣١؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٥١.

[٨] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٤.

[٩] العصفر: وهو القرطم الذي يصبغ به، وهو نوعان بري، وريفي، وهذا الأخير في البساتين. انظر الدينوري، النبات، ج٣، ص١٦٧-١٧١؛ ابن الحشاء، أبو جعفر أحمد بن محمد (د.ت)، مفيد العلوم ومبيد الهموم، ص١١٠. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الحشاء، مفيد العلوم.

[١٠] العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٣.

لبلة[١]، وإشبيلية التي تميزت بإنتاج العصفر المفضل على غيره، وكان الفائض منه يصدر إلى سائر الأقطار[٢].

ومن النباتات الأخرى التي تدخل في صناعة الاصباغ: الفوة[٣] والبقم[٤] اللذان يستخلص من بذرهما وعروقهما اللون الأحمر الذي تصبغ به الثياب[٥]. والنيلج الذي يستخرج منه اللون الأزرق[٦].

١. قصب السكر

عرفت الأندلس زراعة قصب السكر (الطبرزد) [٧] في المناطق الساحلية، وبالقرب من شواطئ الأنهار، حيث الأرض الرملية الرطبة، والمياه الغزيرة، والحرارة العالية. إذ إن المناطق الباردة لا تناسبه [٨].

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٠؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٤٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٨؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٣٥.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٩.

(٣) الفوه: نبات دقيق في رأسه حب شديد الحمرة كثير الماء، تطبخ عروقه ويصبغ بمائها. والفوه أصناف بعضها ما نواره أصفر، وبعضها ما نواره أبيض. والذي تصبغ به الثياب هو الذي يزرع في البساتين، أنظر: الدينوري، كتاب النبات، ق٢، جمع: محمد حميد الله، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٩٤-١٩٥. سيشار لهذا المصدر فيما بعد، الدينوري، النبات، ق٢.

(٤) البقم: شجر ضخم أحمر يصبغ بطبيخه، ورقة مثل ورق اللوز، أما السيقان والأغصان، فهي ذات لون أحمر. الدينوري، النبات (ليدن ١٩٥٣)، ص٥٢.

(٥) الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج (٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط١، ١٩٦٤. ص٦٣-١٠٧. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الزبيدي، لحن العوام. انظر كذلك: ابن هشام اللخمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الإشبيلي، (ت٥٧٧/١١٨١م)، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، مج٢، تحقيق: خوسية بيريث لاثارو، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي: مدريد ١٩٩٠.ص٢٠١،٣٣٠. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن هشام اللخمي، المدخل؛ عبد العلي الودخيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، من خلال نصوص لحن العامة، مجلة البحث العلمي: الرباط، ع٣٧، ١٩٨٧.ص١٧٧. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: الودخيري، ملامح من المجتمع الأندلسي.

(٦) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢،ص١٤٣؛ الودخيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص١٧٧.

(٧) الزبيدي، لحن العوام، ص١٤٣؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٤٩.

(٨) ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص٦٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٠.

وتعد مدينة المنكّب من أوسع المناطق الأندلسية زراعة لقصب السكر. حتى أنها تعتبر مركزاً مهماً لتصديره إلى مختلف البلدان[١].وتجود زراعة قصب السكر في مناطق شَلْوبين [٢] (شلوبينية SALO BRENA) وإشبيلية[٣] وإلبيرة[٤]، وسهول غرناطة (الكنبانية والبراجلات)[٥]، والمرية[٦]، وشَمَجَلَة[٧]. هذا ويلاحظ تركز زراعة قصب السكر في مناطق الأندلس الجنوبية.

٦. التين

اشتهرت الأندلس بزراعة التين بكثرة وخاصة في منطقة مالقة، التي ينسب إليها التين الريّي[٨]، وهو من أجود أنواع التين وأطيبها طعماً ومذاقاً[٩]. وتعد مالقة وأعمالها من أوسع المناطق الأندلسية زراعةً لأشجار التين، حتى أن المنطقة الساحلية

---

[١] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٠؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٨٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ص٢١١؛ الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ج١٠، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي: بيروت. ١٩٨١.ص٢٩٨-٢٩٩. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الونشريسي، المعيار المغرب؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٠.

[٢] شلوبينيه قرية على شاطئ البحر المتوسط بينها وبين المنكب عشرة أميال. أنظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١١.

[٣] كان قصب السكر يزرع جنوبي مدينة إشبيلية في بساتين تعرف بجنات المصلى، انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ص٢١.

[٤] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ القزويني. آثار البلاد، ص٥٠٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٩٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٤.

[٥] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٢٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٩٦.

[٦] العذري، ترصيع الأخبار، ص٨٥.

[٧] شمجلة، مدينة بالأندلس من أعمال ريُة، ويقال لها شمجيلة، وهي قرية قريبة من البحر المتوسط، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦١.

[٨] نسبة إلى ريّه، وهي كورة من كور الأندلس، جنوبي قرطبة، نزلها جند الأردن من العرب، وكانت مالقة تابعة لها. أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٠-٥٧١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥،ص٤٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٩.

[٩] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٥؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٧؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٥؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٩.

الواقعة بين حصن سهيل وبليش من أعمال مالقة كلها كانت مغروسة بأشجاره[١]. لذا فقد اشتهرت مالقة بتجارة التين، فكان يصدر منها إلى مصر والشام والعراق، وربما وصل إلى الهند والصين، وذلك لجودته وحلاوته[٢].

كما اشتهرت منطقة جبل الشرف التابعة لإشبيلية بزراعة التين القوطي والشعري، وهما صنفان تميزت بهما إشبيلية عن بقية المناطق الأندلسية[٣]. وكان التين يحمل منها إلى سبتة وسلا وغيرهما من بلاد المغرب[٤].وانتشرت زراعة التين بكثرة في بلنسية التي بلغت أنواعه فيها ستين نوعا لا يشبه بعضها بعضاً لا في الطعم ولا في اللون[٥]. وفي أندة من أعمال بلنسية[١]، ودانية[٢]، ولقنت[٣] (ALICANTE)، ومرسية[٤]، وتدمير[٥]، وأشكوني[٦]، وسرقسطة التي اشتهرت بحفظ التين اليابس[٧].

---

(١) يذكر الشقندي أن المسافة بين حصن سهيل وبليش تقدر بثلاثة أيام. أنظر الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٧ ٥٨؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٩.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٥؛ ابن سعيد، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماديس، تطوان: المغرب، ١٩٥٨. ص٧٦، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن سعيد، بسط الأرض، ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٤؛ ابن بطوطة، محمد عبد الله (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق: طلال حرب، دار الكتب العلمية بيروت: لبنان، ط١، ١٩٨٧م. ص٦٧٩. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن بطوطة، تحفة النظار؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٢؛ ابن السباهي، أوضح المسالك، مخ، ص٨٧ / أ.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ٥١-٥٢؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢١؛ القزويني، آثار البلاد، ص٤٩٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٩، ٢٠٠.

(٤) ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج٣، ص١٤٥٢؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، مج٧، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م. ص١١٩. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان.

(٥) الزهري، الجعرافية، ص١٠٢.

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٦.

(٣) لقنت: مدينة صغيرة عامرة، تقع على ساحل الأندلس الشرقي، بينها وبين دانية سبعون ميلاً. أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥،ص٥٥٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٧٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٠.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٣.

وفي أندة من أعمال بلنسية[1]، ودانية[2]، ولقنت[3] (ALICANTE)، ومرسية[4]، وتدمير[5]، وأشكوني[6]، وسرقسطة التي اشتهرت بحفظ التين اليابس[7].

وكثرت زراعة التين في الشنيدة[8]، ووادي الرمان، وبيغو، ومارتش، وبياسة[9]، وغرناطة[10]، وقمارش[11]، ومَرْبلّة (MARBELLA)[12]، وبلّش (VELEZ)[13] وهي من أكثر بلدان الأندلس تينا[14]، وفي شريش[15]، والجزيرة الخضراء[16] (ALGECIRAS)، وحصن قسطلة[17]، وشنتمرية[18] (SANTAMARIEA)، وطليطلة[19]، وإقليم الشنشين الذي يضم مدينة شلب، ومنه يصدر التين إلى أقطار الغرب[1]، ومن الجدير بالذكر أن

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص264.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص434؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص76.

(3) لقنت: مدينة صغيرة عامرة، تقع على ساحل الأندلس الشرقي، بينها وبين دانية سبعون ميلاً. أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج5،ص558؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص274؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج2، ص33؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص170.

(4) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص183.

(5) العذري، ترصيع الأخبار، ص8.

(6) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص22.

(7) الزهري، الجعرافية، ص81؛ المقري، نفح الطيب، مج1، ص197.

(8) الشنيدة: من المدن التابعة لقرطبة، على بعد يومين منها. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص234.

(9) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص234-235.

(10) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص40؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص209.

(11) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص79؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج2، ص288.

(12) مربلة: تقع غربي مالقة على بعد أربعين ميلاً، وجنوبي ببشتر. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج5، ص570.

(13) بلش: تقع غرب مدينة المنكب. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص211.

(14) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص211.

(15) الإدريس، نزهة المشتاق، ج5، ص573؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص102.

(16) الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس، أعمالها متصلة بأعمال شذونة، تقع شرقي شذونة جنوبي قرطبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص136؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص73.

(17) حصن قسطلة: يقع شمالي شلطيش على بعد ثمانية عشر ميلاً. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج5، ص542.

(18) شنتمرية: وهي شنتمرية الغرب، مدينة في الأندلس من مدن أكشونبة، تقع على ساحل المحيط الأطلسي. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج5، ص543؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص114-115.

(19) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص9.

الذي يضم مدينة شلب، ومنه يصدر التين إلى أقطار الغرب[١]، ومن الجدير بالذكر أن الخمور في الأندلس كانت تصنع من ثمار التين والعنب[٢].

٧. العنب

والعنب كثرت زراعته في أبدة من أعمال جيان، حتى أنه لكثرته فيها يكاد "لا يباع ولا يشترى"[٣]. وفي مالقة التي تتميز أعنابها بكبر الحبة وحلاوة الطعم[٤]. وأشار ابن بطوطة الذي زار الأندلس في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي إلى كثرة أعنابها بقوله: "إن العنب يباع في اسواقها بحساب ثماينة أرطال بدرهم صغير"[٥].

وانتشرت زراعة العنب بكثرة في قرطبة، والجفر[٦]، والشنيدة، ووادي الرملن، وقرسيس[٧]، وإشبيلية التي كانت تصدره إلى بلاد المغرب[٨]، وغرناطة التي كان أهلها يدخرون العنب "سليماً من الفساد إلى ثلثي العام"[٩].

وقمارش[١٠]. وتعد بلش من أكثر بلدان الأندلس عنبا[١١]. كما اشتهرت شاط[١٢]، وباغة[١٣]، وبرجة[١٤]، والمرية[١]، وبجانة[٢]، ووادي آش[٣]، بزراعة الأعناب بكثرة.

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق،ج٥، ص٥٤٣.

(٢) المقري، نفح الطيب، مج٣،ص٢١٤.

(٣) الشقندي: فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٦؛ المقري، نفح الطيب، مج٣،ص٢١٧.

(٤) الزهري، الجعرافية، ص٨١؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٥٥.

(٥) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٦٧٩.

(٦) الجفر: تقع على بعد عشرة أميال من مدينة جيان، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٣٤.

(٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١١٩.

(٩) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٩.

(١٠) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٧٩؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٨٨.

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١١.

(١٢) شاط: قرية تقع على ساحل البحر المتوسط، وتبعد عن مدينة المنكب إثني عشر ميلاً. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٤-٥٦٥.

(١٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٥٤؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٦٧.

(١٤) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨١؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٠٨٩.

ومن المناطق الأندلسية التي اشتهرت بأعنابها: دانيــة[٤]، وألــش[٥]، ولقنــت[٦]، وحصن مربيطر[٧]، ومرسية[٨]، وسرقسطة[٩]، وجزيــرة يابســة[١٠]، وشــنتمرية [١١]، ولبلة[١٢]، وقورية[١٣] (CORIA)، ولورقة[١٤].

٨. التفاح

وزرعت أشجار التفاح بكثرة في غرناطة[١٥]، التي اشتهرت بحفظــه[١٦]. وفــي حصن جليانة (JULIANA) من أعمال وادي آش. وينسب إليه التفاح الجلياني الذي يمتــاز بالنقاء، وكبر الحجم، وحلاوة الطعم، وذكاء الرائحة[١٧].كما انتشرت زراعة التفاح فــي منطقة جبل شلير[١٨]، وتدمير[١٩]، وأشكوني[٢٠]، ووشــقة[١] (HUESCA)، ولورقــة[٢]،

=

[١] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٣؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩١.

[٢] المصدر نفسه، ص٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١١.

[٣] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٢.

[٤] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٤.

[٥] القزويني، آثار البلاد، ص٥١٣.

[٦] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٨؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مــخ، ج٢، ص٣٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٠.

[٧] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨١.

[٨] المصدر نفسه، ص١٨٣.

[٩] الزهري، الجغرافية، ص٨١؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ١٩٧.

[١٠] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٨.

[١١] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٥.

[١٢] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٩.

[١٣] قورية. تقع بالقرب من مدينة ماردة. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٤.

[١٤] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٦؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٦.

[١٥] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٩.

[١٦] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠.

[١٧] المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٩.

[١٨] الزهري، الجعرافية، ص٩٣.

[١٩] العذري، ترصيع الأخبار، ص٨.

[٢٠] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٢.

وسرقسطة[٣]، التي تميزت بوفرة إنتاجها من التفاح، فانعكس ذلك على أسعاره، حتى أنه كان يباع بأرخص الأثمان[٤]، لذا فإنهم كانوا يتخذونه سماداً للأرض كما يذكر الحميري[٥].واشتهرت شلب [٦] (SILVES) وقلمرية [٧] (COIMBRA) والأشبونة[٨] (لشبونة LISBONNE) بكثرة أشجار التفاح.

٩. الرمان

انتشرت زراعة الرمان في مالقة، التي وصف رمانها بأنه "لا نظير له في الدنيا"[٩]. وفي غرناطة، التي اشتهرت بحفظه[١٠]، وطليطلة التي تميزت بزراعة عدة

=

[١] وشقة: تقع شرقي سرقسطة، على بعد خمسين ميلاً. العذري، ترصيع الأخبار، ص٥٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٤.

[٢] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٢.

[٣] الزهري، الجعرافية، ص٨١؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٧.

[٤] يشير إلى ذلك الحميري فيقول " وربما بيع فيها وسق التفاح بما تباع به الأرطال اليسيرة في غيرها ". هذا مع العلم أن الوسق يساوي (٦٠) صاعاً. انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس.ص٩٧؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٥٨.

[٥] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٧.

[٦] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٦؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٣٠.

[٧] قلمرية: من بلاد برتقال، بينها وبين قورية أربعة أيام، وتبعد عن (المحيط الأطلسي) إثنى عشر ميلاً.الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٤.

[٨] أشبونة: تقع غربي باجة، على ساحل المحيط الأطلسي، ويذكر الزهري: أن تفاح مدينة لشبونة كتفاح أرمينية، دور التفاحة منه ثلاثة أشبار وأقل وأكثر " الزهري، الجعرافية، ص٨٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦.

[٩] ابن بطوطة، تحفة النظار. ص٦٧٩.

[١٠] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠.

أنواع منه[١]، وأشكوني[٢]، ولورقة[٣]، وتدمير[٤]، ومنطقة وادي الرمان، التي تقع على بعد أربعين ميلاً من قرطبة[٥].

وقد اشتهرت الأندلس بزراعة عدة أنواع من الرمان كان من بينها، الأمليسي[٦]، والمرسي[٧]، والشعري، والقسطيسي، والعدسي، والشحي، والخرابنسي، والترجيسي[٨]، والسفري، والسفري[٩]. ويعد هذا الأخير من أشهر أنواع الرمان وأكثرها انتشاراً في الأندلس. ويمتاز هذا النوع بعذوبة الطعم، وغزارة الماء، وحسن الصورة، ورقة النواة. ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن قشور الرمان كانت تستعمل في صناعة الأصباغ[١٠].

١٠. الكمثرى والقراسيا والموز

تميزت مناطق شرق الأندلس بزراعة الكمثرى، حيث كانت تزرع في تدمير[١١]، وبلنسية[١٢]، وأشكوني[١]، ووشقة[٢]، وركلة[٣]، (RICLA)، ولورقة[٤]، كما زرعت في شنترة[٥]، والأشبونة[٦] من مناطق غرب الأندلس.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٢٠.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧٢.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢، ٨.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٤.

(٦) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢١٦.

(٧) ابن بطوطة، تحفة النظار، ٦٧٩

(٨) ابن العوام، الفلاحة، ص٢٧٣.

(٩) الرمان السفري: نسبة إلى سفر بن عبد الله، وكان من رجال عبد الرحمن الداخل. وكان عبد الرحمن قد وجه هدية إلى عمته بالشام من الأندلس، فوجهت إليه من طرائف الشام وفواكهه، فكان فيما وجهت له رمان شام، فلم يصل للأندلس إلا وقد فسد، فأعطى عبد الرحمن رجاله من تلك الهدية، وقسم عليهم من ذلك الرمان، فأخذه سفر بن عبد الله فغرسه فنبت فأخذه الناس من عنده وزرعوه ونسبوه إليه. أنظر: ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢١٦-٢١٧.

(١٠) السقطي، في آداب الحسبة، ص٤١؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٠٧.

(١١) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢، ٨.

(١٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١١١.

أما القراسيا (القراصيا)، فقد زرعت في سهول وجبال بلنسية[٧]، التي اشتهرت بزراعة الأنواع الجيدة منها[٨]. وفي قلمرية[٩]، وسرقسطة التي اشتهرت بحفظها[١٠]. كما عرفت غرناطة زراعة القراصيا البعلبكية[١١] التي تمتاز بجمال مظهرها وحلاوة مذاقها[١٢].أما الموز فقد انتشرت زراعته في سواحل الأندلس الدافئة[١٣]، وساحل إلبيرة[١٤]، وغرناطة[١٥]، وشلوبينية[١٦]، والمرية[١٧]،وشمجلة[١٨]، والمنكّب، التي لا يوجد الموز إلا بها كما يذكر القلقشندي[١٩].

١١. أنواع أخرى

=

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٢.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٥٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٥.

(٣) ركلة: مدينة بالأندلس، قرب سرقسطة وقلعة أيوب. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٨ ٧٩.

(٤) المصدر نفسه ص١٧٢.

(٥) المصدر نفسه ص١١٣.

(٦) العذري، ترصيع الأخبار ص١١٠-١١١.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٠.

(٨) يذكر الزهري: أن فيها كثيراً من حب الملوك (القراسيا). الذي لا يوجد مثله في غيرها من البلاد. الزهري. الجعرافية، ص١٠٢.

(٩) الحميري، الروض المعطار، ص١٦٤.

(١٠) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٧.

(١١) القراصيا البعلبكية: الإشارة هنا إلى بعلبك الشام، وتدل على أن العرب نقلوها من الشام إلى الأندلس. حتاملة، ملامح حضارية، ص١٨٨.

(١٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٩.

(١٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٠.

(١٤) القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١١٩.

(١٥) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٥٦.

(١٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١١.

(١٧) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨٥.

(١٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦١.

(١٩) ربما يقصد بذلك الأنواع الجيدة من الموز. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١١.

وانتشرت زراعة الخوخ والقسطل في غرناطة[١]، ومنطقة جبل شـــلير[٢]، كمـــا اشتهرت سرقسطة بحفظ الخوخ والإجاص[٣]. وتدمير الأنواع الجيدة مـــن الســـفرجل[٤]. ولبلة بزراعة العناب[٥].

ومن الأشجار المثمرة الأخرى، التي انتشرت زراعتـــها فـــي الأندلـــس الجـــوز واللوز[٦]، حيث كثرت زراعتهما فـــي غرناطـــة[٧]، وإلبـــيرة[٨]، وحصـــن فريـــرة[٩]، ودانية[١٠]، التي اشتهرت بتصدير اللوز إلى بلاد المغرب والمشرق[١١].

أما أشجار النخيـــل فقـــد زرعـــت فـــي قرطبـــة[١٢] وجيـــان[١٣]، والجزيـــرة الخضـــراء[١٤]، والمرية[١٥]، وأورية[١٦]، وفرّيش[١٧]. بينما يذكر القزويني أن النخيل لـــم تنجح زراعته في جميع بلاد الأندلس إلا في مدينة ألش، التي تقع بالقرب من تدمـــير[١٨]. هذا، ويستفاد من ورق النخيل (الخوص) في صناعة السلال والحصر وما شاكلها[١٩].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٩.

(٢) الزهري، الجعرافية، ص٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٨١؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٧.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص١١١.

(٦) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٠.

(٧) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص٤٣.

(٨) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤.

(٩) حصن فريرة: حصن مجاور لجبل شلير، ينسب إليه الجوز، وذلك أن به من الجوز شيئاً ينفرك من غير رض ولا يعدله في طعمه جوز. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٧.

(١٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٤.

(١١) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٧٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٢.

(١٢) ابن سعد، بسط الأرض، ص٧٤، ص٧٤؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٦٧٩.

(١٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢١١.

(١٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٢.

(١٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص١١٧-١١٨.

(١٦) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٦٦.

(١٧) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٥.

(١٨) القزويني، آثار البلاد، ص٥١؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١١١.

(١٩) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٣١.

ج. النبات العطرية والطبية والأفاوية

وزرع الأندلسيون النباتات العطرية والطبية والأفاوية، في مناطق متعددة من الأراضي الأندلسية، مثل: الورد الذكي العطر في جبل شَقُورة[1]، لذا كانت شَقُورة من المناطق المختصة في صناعة العطور بالأندلس[2]. والنرجس، والورد وأصناف الأزهار في مدينة قبرة وجبل شيبة المجاورة لها[3]. والبنفسج في شنترة[4] والأشبونة[5]، وجبال قرطبة التي ينبت فيها كذلك الورد والسوسن[6]. وأصناف الرياحين في غرناطة[7]. وعود اليلنجوج (الألنجوج)[8] في ناحية دلاية، وهو العود الذي لا يقل ذكاءً وعطراً عن العود الهندي[9]. وأنواع الرياحين والمشمومات في مدنية بلنسية، التي اشتهرت بكثرة أشجارها وطيب ريحها، ولذا كان أهل الأندلس يدعونها (مطيب الأندلس)[10]. وقد أشار البكري إلى جبل في ناحية أكشونبة[11] (Ocsonoba)، وذكر أنه كثيراً ما تفوح منه رائحة العطر إذا ما اشتعلت فيه النار[12].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٥.

(٢) حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩١.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٣.

(٥) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٧٧.

(٦) القرطبي، عريب بن سعيد، (ت٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)، تقويم قرطبة، نشرة مع ترجمة فرنسية: رينهارت دوزي، ليدن، بريل ١٩٦١م، ص٦١، ٧٥، ١٨٥. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: القرطبي، تقويم قرطبة.

(٧) القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٧.

(٨) اليلنجوج.اسم يطلق على العود الذي يتبخر به. الدينوري، النبات (ليدن ١٩٥٣) ص٣٩.

(٩) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤١.

(١٠) والمطيب عندهم: حزمة يعملونها من أنواع الرياحين ويجعلون فيها النرجس والآس وغير ذلك من أنواع المشمومات. أنظر: المراكشي، عبد الواحد (من أهل ق ٧هـ/ ١٣م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد العريان ومحمد العلمي، مطبعة الإستقامة بالقاهرة، ط١، ١٩٤٩. ص٣٧٠، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: المراكشي، المعجب.

(١١) أكشونبة (أكشونية): تقع غربي قرطبة بالقرب من مدينة الأشبونة. أنظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٠.

(١٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤١.

ومن أنواع الرياحين والأزهار الأخرى التي كانت تزرع في الأندلس، الآس والياسمين، والنسرين، والنيلوفر، والترنجان، والخيري، والحبق القرنفلي[١]، وغيرها.واشتهرت الأندلس بزراعة النباتات الطبية، وخاصة " نبات الجنطيانا " هو عقار[٢] طبي كانت تصدره الأندلس إلى جميع الأصقاع[٣]. وزرع هذا النوع من النبات في جبال غرناطة[٤]، وجبل شلير[٥]، ولبلة[٦].

ومن العقاقير الطبية الأخرى التي عرفتها الأندلس المرّ الطيب الذي اشتهرت به قلعة أيوب (Calataayub)[٧]. والكهرباء وهي عبارة عن مادة صمغية تدخل في تحضير بعض أنواع الأدوية، واشتهرت مدينة شذونة[٨] (Sedoma).

وذكر الحميري أن في غيران شنت مرتين" من جبل شقورة أشقاقل كبير قوي الفعل[٩]. وكثرت الأعشاب الطبية والعقاقير الدوائية في غرناطة، ومنطقة جبل شلير[١٠] وقبرة[١١].

أما الأفاوية (التوابل والبهارات) فقد زرعت على نطاق واسع في الأندلس، إذ ذكر المسعودي، أنهم زرعوا منها خمسة وعشرين صنفاً، من بينها السنبل، والقرنفل

---

(١) ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص١٢٠-١٢٢؛ ابن بصال، الفلاحة، ١٦٣-١٧٠.

(٢) العقار: هو اسم لكل ما يتداوى به من النبات والشجر. ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٣٦.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤١.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٢٣؛ ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص٣٠.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١،ص١٠٥.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥،ص١٠.

(٧) قلعة أيوب: مدينة عظيمة جليلة القدر من أعمال سرقسطة ولها عدة حصون، وبالقرب منها مدينة لبلة. البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٠؛ المقري، نفح الطيب،مج١، ص١٤١.

(٨) الكهرباء: مادة صمغية توجد عند سواحل البحر بالأندلس وخاصة عند أصول نبات الدوم، والنوع الأندلسي منه أصغر وأصلب من النوع المشرقي، وأطيب كهرباء الأرض بشذونه، البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤١.

(٩) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٥.

(١٠) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٢٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٠٥.

(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٩.

والصندل، والقرفة، والمحلب، والورس، والقسط، والذريرة (الذرة الصفراء)[١]. وغيرها. وأفضل أنواع الأفاوية هو المحلب، الذي يدخل في تحضير مادة الأشنان[٢]، وهي عبارة عن صنف من الأحماض تغسل بها الأيدي والثياب[٣]. وزرع السنبل الفائق الجودة في منطقة جبل شلير[٤] الذي اشتهر بمختلف أنواع الأفاوية الهندية[٥]، وفي إقليم الفندون التابع لمدينة قرطاجنة الحلفاء[٦] (Cartagena). كما ينبت السنبل الرومي الطيب في جبل شقورة[٧] والقرنفل في لبلة[٨] والقسط الطيب في أندة ومارتش[٩].

كما زرعت أنواع الأفاوية في جبال غرناطة[١٠]، وجبل شيبة المجاور لمدينة قيرة[١١].

٣. الغابات

تعتبر الغابات من أهم ثروات الأندلس الطبيعية، لكونها تشكل المصدر الرئيسي للأخشاب.

وقد تعددت الأشجار وتنوعت في الأندلس. إذ تشير كتب الفلاحة الأندلسية إلى أشجار (الصنوبر، والسرو، والبان[١]، والسبستان، والصفصاف[٢]، والعرعر[٣]،

---

(١) المسعودي، علي بن الحسن (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة بربية دي مينار وبافية دي كرتاي، عني بتنقيحها وتصحيحها: شارل بلاّ، ج١، منشورات الجامعة اللبنانية: بيروت، ١٩٦٥، ص١٩٤-١٩٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: المسعودي، مروج الذهب؛ انظر: المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٩، رواية: (المسعودي).

(٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٦؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٠.

(٣) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢،ص١٩٧؛ ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص٥.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٠٥.

(٥) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٠.

(٦) قرطاجنة الحلفاء: مدينة تابعة لكورة تدمير، تبعد عن مرسية أربعين ميلاً.أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥١.

(٧) المصدر نفسه، ص١٠٥.

(٨) المصدر نفسه، ص١٦٩.

(٩) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧.

(١٠) القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٧.

(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٩.

والحور، والخروب[٤]، إضافة إلى أشجار البقس والطخش والبلوط، التي تنتشر في مناطق مختلفة من الأراضي الأندلسية.

أما أشجار الصنوبر فقد كثرت في مناطق: القصر[٥] (Alcacer)، وشنتمرية الغرب[٦]، وشلطيش[٧] (Saltes)، وقادس[٨]، وبطللس بلّس[٩]، وجبل أطريجرش[١٠]، وجزيرة يابسة[١١]، وجبال طرطوشة، التي اشتهرت بإنتاج خشب الصنوبر الجيد. وهو

=

(١) البان: شجر ضخم، ليس لخشبة صلابة، وله هدب طويل أخضر شديد الخضرة، ينبت في الهضاب، وثمرته تشبه قرون اللوبيا، وفيها حب ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان. الدينوري، النبات (ليدن ١٩٥٣) ص٤٨.

(٢) الصفصاف: وهو الخلاف، ويسمى السوجر، وهو شجر ضخم، وأصنافه كثيرة، الدينوري، النبات (ليدن، ١٩٥٣) ص١٤٢.

(٣) العرعر: شجر ضخم من شجر الجبال، ومنه يتخذ أجود القطران. وللعرعر ورس تصبغ به الثياب. انظر: الدينوري، النبات، ق٢ (القاموس النباتي)، ص١٢٨،١٢٩؛ ابن هشام اللخمي، ص١٩٤.

(٤) أنظر: ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص٦٤، ٨٠ ٨١؛ ابن العوام، الفلاحة، ص٢٨٤، ٤٠١-٤٠٣؛ ابن بصال، الفلاحة، ص٨٤.

(٥) القصر: مدينة بالأندلس، بينها وبين شلب أربع مراحل، وهي مدينة حسنة تقع على ضفة النهر المسمى شطوبر.الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦١.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٥.

(٧) شلطيش: جزيرة تقع على ساحل المحيط الأطلسي، قرب مدينة لبلة.المصدر نفسه،.ص١١٠-١١١.

(٨) المصدر نفسه، ص١٤٥.

(٩) بطللس: من كورة تدمير على مقربة من لورقة. ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١١٩؛ ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى محمد (ت٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق: صلاح جرار، مج٢، دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م. ص٢٨١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد، ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا.

(١٠) يذكر الزهري، أن هذا الجبل المعروف بأطريجرش، هو الفاصل بين بلاد الأندلس وبلاد الأفرنج (فرنسا). والذي يبدو أن المقصود به جبل البرت الفاصل بين فرنسا وشمالي إسبانيا. الزهري، الجعرافية، ص٨٠.

(١١) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٨٢؛ الزهري، الجعرافية، ص١٢٨ ؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٩٠؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٤٧٠؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٨.

خشب أحمر صافي البشرة، يمتاز بالطول والعرض والقــدرة على مقاومة التلف الناشــئ عن التسوس[١]. ولشهرته يشار إليه بـــ"خشب الصنوبر الطرطوشي"[٢].

كما اشتهرت قلصة بكثرة أشجار الصنوبر، وهذا يعني كثرة إنتاجها من الخشـــب، إذ يذكر الإدريسي أن الخشب يقطع بها ويلقى في الماء، ويحمل إلى دانية وبلنســية فـــي البحر، وذلك بتسييره في النهر من قلصة إلى جزيـــرة شـــقر[٣] (Jucar) إلـــى حصـــن قليبيرة[٤] (Cullera) حيث يفرغ هناك.ثم ينقل بالمراكب إلى دانية وبلنسية[٥].ومن الجديـــر ذكره أنه يستخرج من أشجار الصنوبر مادة الزفت، التي تســـتخدم فـــي طـــلاء الســـفن لحمايتها من التلف[٦].وكانت الأخشاب توجد بكثرة، حيث تنتشر الغابـــات خاصـــة فـــي مناطق: جيان وأعمالها[٧]، حتى أن مدينة نَنْتَشْكه[٨] كانت تصدر الأخشاب إلـــى معظـــم أنحاء الأندلس[٩]. وفي حصن قيشاطة[١٠] وجبال شلب[١١].

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٥، ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٦؛ ابن الخـــراط، اختصـــار اقتباس الأنوار، ص١٤٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصـــار، مـــخ، ج٢،ص٣٢؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٢٤.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٤.

(٣) جزيرة شقر: تقع بين شاطبة وبلنسية وتبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلاً، ابن الخراط، اختصـــار اقتبـــاس الأنوار، ص١٣٤؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٠٢.

(٤) حصن قليبيرة: يقع على بعد خمسة وعشرين ميلاً من مدينة بلنسية، وهو حصن منيع على موقع نهر شقر. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٦.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٣.

(٦) الزبيدي، لحن العوام، ص١٣٢؛ الدينوري، النبات، ج٣، ص١٠٢-١٠٣.

(٧) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٩.

(٨) ننتشكة: من أعمال جيان. ابن غالب، فرحة الأنفس، ٢٨٤.

(٩) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص٢٨٤.

(١٠) قيشاطة: مدينة بالأندلس من أعمال جيان، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٩؛ البغدادي، مراصـــد الاطلاع، ج٣، ص٣٦.

(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٦.

ومن جبال اسكورة[1] (Sierra de Segura) وبيّاسة كان الخشب يقطع ويحمل إلى إشبيلية عبر نهر الوادي الكبير[2] (Ri0 Gadalquivir) وكانت أشجار البلوط هي الأكثر انتشاراً في الأندلس، حتى أنها وصفت بـ(بلاد البلوط)[3].

وقد انتشرت أشجار البلوط في مناطق متعددة، من بينها: فحص البلوط[4]، وغرناطة[5]، وجبال قرطبة[6]، وسهول جبال حصن بطروش[7] الذي اهتم أهله بحفظ البلوط وخدمته، إذ إنهم كانوا يستعملونه كغذاء في أوقات الشدة والمجاعة[8]. وكثرت أشجار البقس في جبال طرطوشة[9]، وأطريجرش[10]، وأشجار الطخش، التي كانت تستخدم أخشابها في صناعة القسي، في جبل شقورة [11]، وجبل أطريجرش الذي أشتهر بكثرة الأخشاب، ومنه كان يصدر خشب الطخش إلى مناطق الأندلس والمغرب[12].

ومن الأشجار الأخرى التي انتشرت في الأندلس: شجر الميس[13] والحور والدردار في برجة وغرناطة[1]. والسرول في بلنسية[2]. وشجر الثنثات في جزيرة قادس

---

(1) جبال أسكورة: (Sierra de Segura) وهي سلسلة جبال تمتد في شرقي ناحية جيان.المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص٦٨.

(2) وذلك لأن الوادي الكبير ينبع من جبال اسكورة وبياسة كما يذكر المكناسي. المصدر نفسه، ص٦٨.

(3) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٨٣.

(4) ينسب إلى البلوط، وفيه شجر البلوط الحلو اللذيذ الطعم. ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٩؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٢٠.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٩.

(6) ابن العوام، الفلاحة، ٢٥٩ ٢٦٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨٠.

(7) حصن بطروش: يقع شمال قرطبة، ويبعد عنها مسافة أربعين ميلاً، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨٠.

(8) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ،ج٢، ص٣٨-٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٤٥.

(9) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٦؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٤٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٤.

(10) الزهري، الجعرافية، ص٨٠.

(11) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠٥.

(12) الزهري، الجعرافية، ص٨٠.

(13) الميس: شجر ضخم، يمتاز بالطول والعرض، تصنع منه الموائد الواسعة، والرحال. انظر. الدينوري، النبات، ق٢ (القاموس النباتي)، ص٢٨٦.

قادس التي اشتهرت أيضاً بشجيرة تشبه فسيل النخل، تفرز مادة صمغية تستعمل في تصميغ الزجاج[٣].

واشتهرت شذونة بشجر المقل، الذي تصنع منه الغرابيل[٤]. وعرفت الأندلس شجر الخزم[٥]، الذي تصنع من لحائه الحبال[٦].

ومن نباتات الأندلس، نبات الحلفاء[٧] الذي اشتهرت به قرطاجنة الحلفاء[٨]، وشذونة[٩] وطالقة[١٠] (Italica) التي تقع بالقرب من مدينة إشبيلية[١١].

ومدينة لقنت التي كانت تصدره إلى جميع بلاد البحر كما يذكر الإدريسي[١٢].

وانتشرت نبات السمار[١٣]، والدوم[١٤] والأسل (الديس)[١]، والخيزران في الأراضي

=

(١) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨١-٨٢؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٨٩؛ مؤلف مجهول، (من أهل ق ٩هـ/ ١٥م)، آخر أيام غرناطة، وهو كتاب نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، لمؤلف أندلسي من رجال القرن التاسع الهجري، معاصر لسقوط غرناطة، ط١، تحقيق محمد رضوان، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤م، ص٤١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، نبذة العصر.

(٢) الزهري، الجعرافية، ص١٠٢.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٥؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٨٨.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠١.

(٥) الخزم: شجر يشبه الدوم غير أنه أقصر وأعرض، ويتخذ من جذوعه خلايا النحل، ومن خوصه الحبال. الدينوري، النبات (ليدن ١٩٥٣) ص١٤٤.

(٦) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٦٢.

(٧) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٦٢.

(٨) حلفاء: تنبت في بطون الأودية وبالقرب من مجاري الأودية والأنهار. الدينوري، النبات (ليدن ١٩٥٣)، ص١٢١

(٩) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤٠٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس.ص١٥١.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠١.

(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٢؛ الونشريسي، المعيار المغرب، ج١١، ص٩٧.

(١٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨٨؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٠.

(١٣) السمار: بكسر السين المهملة تطلقه العامة على ضرب من النبت تصنع منه الحصر. ابن الشباط، صلة السمط، ص١٧٠-١٧١.

(١٤) الدوم: وهي شجرة المقل، لها خوص كخوص النخل، يقال له الطفى والأبلم، وينسج من خوصها حصر تسمى الطفى باسم الخوص، الدينوري، النبت (طبعة ليدن ١٩٥٣). ص١٦٧.

الأندلسية وكانت هذه النباتات تنمو في بطون الأودية، وبالقرب من مجاري الأنهار ويستفاد منها في صناعة الحصر، والحبال، والأطباق، والسلال، وما شاكلها(٢).

٣. الثروة الحيوانية

كان لانتشار المراعي في سفوح الجبال والأودية، والمروج الأندلسية أثر كبير في نجاح تربية الحيوانات، وخاصة تربية الأغنام والأبقار، والخيل والبغال(٣). ولقد أولى الأندلسيون تربية الأغنام والأبقار عناية خاصة، نظراً لأهميتها وفائدتها الاقتصادية الكبيرة، إذ يستفاد منها في مجالات عديدة من بينها الصناعات الغذائية والجلدية والصوفية.

وازدهرت تربية الأغنام والأبقار في جبل الشّارات(٤)، الذي يقع شمالي مدينة طليطلة. وتمتاز أغنامه وأبقاره بالسمن، ويضرب بها في ذلك المثال في جميع أقطار الأندلس، ومنه كانت تصدّر إلى سائر البلاد(٥).

وتعد مدينة قرطبة من المناطق المشهورة بتربية الأغنام، والمتاجرة بها، إذ يذكر ابن النظّام(٦) أنه كان يدخلها من "جلائب الغنم في كل يوم أيام درور الجلائب بها وهي معلومة ما بين سبعين ألف رأس إلى مائة ألف رأس حاشا البقر"(٧).

=

(١) الأسل: من الأغلاث، وهو يخرج قضباناً دقاقاً ليس لها ورق ولا شوك، إلا أن أطرافها محددة وليس لها خشب، وقد يدقه الناس فيتخذونه من أرشية يستقون بها وحبالاً. وينبت الأسل في بطون الأودية وبالقرب من مجاري الأودية والأنهار، وتصنع منه الحصر والغرابيل، الدنيوري، النبات (ليدن ١٩٥٣)، ص٣٤.

(٢) الزبيدي، لحن العوام، ص٥٤؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٣٠-٣٣١.

(٣) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٨٦.

(٤) جبل الشارات: يقع شمالي مدينة طليطلة، ويمتد من ظهر مدينة سالم إلى أن يصل إلى قرب مدينة قلمرية في الجهة الغربية من الأندلس، انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٢٩.

(٥) الإدريسي، المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ ابن فضل الله العمري، المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٢ ١٣٣.

(٦) وهو أبو بكر عبد الله بن عبد الحكيم بن نظام الأخباري التاريخي، نقل عنه ابن حيان. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٦.

(٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ومن المناطق الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بتربية الأغنام والأبقار وسائر المواشي: جيان[1]، وإشبيلية[2]، وشذونة، والجزيرة الخضراء[3]، ولورقة[4] (Lorca) وتدمير[5]، (Tudmir)، وقلمرية[6]، وشلب[7]، وجزيرة قدس[8]، وميورقة[9] (Mallorca)، وقلعة رباح (Calt rava) التي تقع غربي طليطلة[10]. ومدينة سالم[11] (Medinaceli) التي اشتهر بتصدير الأغنام[12]. واستجه التي أغار عليها نصارى شمال إسبانيا سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) و غنموا منها حوالي خمسين ألف رأس من الغنم، ومائتي رأس من البقر[13]، مما يدل على كثرة أغنامها وأبقارها.

---

(1) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار الشروق، بيروت القاهرة، ١٩٨٣. ص١٩٩. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي.

(2) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٣؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص١٩٩.

(3) هياجنة، الوضع الزراعي، ص١٩١.

(4) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٥٢؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٥٦.

(5) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢.

(6) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٧.

(7) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص١٩٩.

(8) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٥.

(9) ميورقة، ومنورقة، ويابسة: هي أكبر جزائر الأندلس في البحر المتوسط، على ساحلها الشرقي، مصاقبة لقطلونيا وبلنسية، ويسميها الجغرافيون المحدثون: جزائر البليار. ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٠؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٩؛ المراكشي، المعجب، ص ، هامش ( ).

(10) ابن غالب فرحة الأنفس، ص٢٨٩؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٤١.

(11) مدينة سالم: مدينة كبيرة القطر والعمارات والبساتين والجنات، تقع شرقي وادي الحجارة على بعد خمسين ميلاً. انظر. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٣.

(12) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٩١.

(13) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٨)، المنُ بالإمامة (تاريخ بلاد الأندلس والمغرب في عهد الموحدين)، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، ١٩٨٧م. ص٤٢٨-٤٢٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة؛ انظر: عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص١٩٨.

أما تربية الخيل فقد اشتهرت في لبلة[1]، وقرطبة وأعمالها[2]، ودروقة[3] (Daroca)، التي عرفت تربية الخيول وتوليدها إذ " كان يخرج منها ألف فرس من كل لون من ألوان الخيل[4]. واختصت إشبيلية أكثر من غيرها في تربية الخيول وتوليدها[5].

واشتهرت تربية البغال في مدينة قرطبة، وهي البغال الموصوفة بحسن شكلها وألوانها وعلوها وصحة قوائمها، واشتهرت قرطبة بتصديرها والمتاجرة بها، إذ كانت تتراوح أثمانها بين المائة والمائتين والخمسمائة دينار[6].

---

(1) ابن حيان، المتقبس في أخبار بلد الأندلس، ص١١٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٢.

(2) محمد بن عبد الوهاب الغساني (ت١١١٩هـ/ ١٧٠٧م)، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، نشر: الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو (د.ت)، ص٢٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الغساني، رحلة الوزير.

(3) دروقة: مدينة بالأندلس، من عمل قلعة أيوب عظيمة في سفح جبل، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً: الحميري، الروض المعطار، ص٢٣٥.(4) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢.(5) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص١١٧؛ ابن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ط٢، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، آذار، ١٩٥٦، ص١٠٠، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٩٠.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٤؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٢.

واشتهرت منطقة المانشا الفاصلة بين الأندلس وقشتالة الجديدة، بتربيـــة البغـــال. وتميزت جزيرة ميورقة بتربية البغال[١]، التي تمتاز بحسن السير والسرعة والقدرة علـــى التحمل، واشتهرت بتصديرها إلى بلاد الأندلس[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن الخيل والبغال، كانت تستخدم في الأغـــراض العســكرية كوسيلة للنقل وحمل الأسلحة والمعدات الثقيلة، كما كانت تستخدم في إدارة الأرحاء التـــي تطحن الحبوب[٣].

ومن حيوانات الأندلس المشهورة، التي أفاد الأندلسيون مـــن جلودهـــا وأوبارهـــا وفرائها: حيوان السمُّور[٤]، وكان يوجد بكـــثرة فـــي جـــهات شـــلب[٥]، وتطيلـــة[٦]، وطرطوشة[٧]، وجزيرة بريطانية التي تميزت بتصدير جلوده إلى مدينـــة سرقســطة[٨]، وهي المدينة المختصة بصنعة ثياب السمّور[٩].

كما عرفت الأندلس حيوانات القَنْلية[١٠]، والغزلان، وحمار الوحش، والأيـــل[١١]، والتيوس البرية، التي تستخدم قرونها في صناعة القسي[١٢].واهتـــم الأندلســـيون بتربيـــة أنواع الطيور، كالدجاج والحمام والبط والإوز بغرض أكلها والمتاجرة بها والاستفادة من

---

(١) الغساني، رحلة الوزير، ص٢٣.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٠.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص. عز الدين موسى، النشاط الاقتصـــادي، ص٢٣٧؛ كـــولان، الأندلـــس، ص٩٩.

(٤) السمور: هو حيوان بري عيشه من الحوت والسمك النهري، يسبح عليه في الأنهار ويغوص فـــي طلبـــه، وخصيتاه هما الجندبادستر، ويتخذ من جلده فراء. انظر: ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص٣٠-٣١، ١١٨.

(٥) المصدر نفسه، ص٣١.

(٦) الإصطخري، المسالك والممالك، ص٤٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٩.

(٧) القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥.

(٨) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٧-١٩٨: (رواية الحجاري في المسهب).

(٩) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٢-٢١٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٧-٢٨٨.

(١٠) القنيلة: حيوان أدقُّ من الأرنب، وأطيب في الطعم وأحسن وبراً، وكثيراً ما يلبس فراؤها، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى. انظر: المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٨. رواية: (ابن سعيد)..

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥،ص٢٢٧.

(١٢) القرطبي، تقويم قرطبة، ص١٠٥.

زبلها في إصلاح الأرض[1]. وانتشرت أنواع الطيور البرية التي يستفاد من لحومها وجلودها وأرياشها في مناطق الجبال والغابات الأندلسية. كالشاذنقات البلنسية واللبلية، والبلرج واليمام، والطواويس، والفراطل، والحجل، والنعام، والبزاة، والنسور[2].

وكثرت البزاة في باجة[3]، والأشبونة، وتعد بزاة الأشبونة من أحسن البزاة[4]. كما كثرت النسور في منطقة الجزيرة الخضراء. التي تعد من المناطق المشهورة بتصدير جلودها والمتاجرة بها، إذ كانت هنالك مناطق خاصة لصيد الطيور كما يذكر العذري[5].واعتنى الأندلسيون بتربية النحل من أجل إنتاج العسل، وذلك في مناطق إشبيلية[6]، وباجه[7]، وأوريه[8]، وبليش[9]. وقُنْتُورية[10] (Cantoria)، وجيان، وقرمونة[11]، ولشبونة (الأشبونة)[12]، وقصر أبي دانس[13] (Alcacer do sal)، وشلب[14]، وبرشلونه[1].

---

[1] ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص٧٧٦؛ أبو الخير الأندلسي، الفلاحة، ص٧٢-٧٦؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٠٢ ؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٩٣.

[2] القرطبي، تقويم قرطبة، ص٣٧، ٦١، ٦٣، ٧٧، ٩١، ١٠٥، ١١٩، ١٣٣، ١٤٥.

[3] الزهري، الجعرافية، ص٨٥.

[4] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩١.

[5] يذكر العذري: أنه يوجد في ساحل الجزيرة موضع معروف على البحر لصيد الطير، يأتيه في كل أوان من العام جنس من الطير لا يأتي في غيره، وتلك المواضع مستملكة عندهم يكتبونها في صدقات نسائهم، ويتبايعونها بالأثمان الكبار، ومن عندهم يجلب جلد النسر العجيب إلى أكثر بلاد الأندلس. وتفيد هذه العبارة أن الصيد كان يمارس كحرفة يعتمد عليها بعض السكان في معيشتهم. انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص١٢٧-١٢٨.

[6] العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص٤٩٧.

[7] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٠٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٦٨.

[8] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٦؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩٢.

[9] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٦؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٩٣.

[10] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٥.

[11] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٠٣.

[12] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩١؛ القزويني. آثار البلاد، ص٥٥٥.

[13] قصر أبي دانس: من مناطق غربي الأندلس. الحميري، الروض المعطار، ص٤٧٥.

[14] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٠٣.

٤. الثروة المائية

تشتهر الأندلس بطول سواحلها وكثرة أنهارها[٢]، لذا فإنها كانت غنية بمنتجاتها وخاصة من الأسماك، والعنبر والمرجان، واللؤلؤ.

١. الأسماك

كان السمك والحوت أكثر ما يصاد في سواحل الأندلس[٣]، خاصة في مناطق المنكَّب[٤]، وبِزلْيَانَة[٥] (Bezmiliana)، وشذونة[٦]، ومربلّة[٧]، وجزيرة شلطيش[٨]، وفي الأنهار مثل نهر الإبْرُه[٩] (Ebro)، والوادي الكبير[١٠]، ووادي طرطوشه[١١] ووادي يانة[١٢] (Guadianan). وكان السمك يحمل من السواحل إلى المناطق الداخلية، حيث كان يباع في أسواق قرطبة[١٣]، وإشبيلية[١]، ومُنْدوجَر[٢] (Mondujar) وغيرها.

=

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٤٢.

(٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٣١-١٣٢.

(٣) ابن سعيد، بسط الأرض، ص٤٥.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٤.

(٥) بزليانة: قرية على ساحل البحر قريبة من مالقة. يصطاد بها الحوت الكثير ويحمل منها إلى المناطق المجاورة. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٤٤.

(٦) ويوجد في ساحلها حوت التن، الذي تميزت به عن غيرها. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠١.

(٧) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٧٥.

(٨) ومنها يحمل السمك مملحاً إلى إشبيلية. المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٧-١٦٨.

(٩) نهر الإبره: ينبع من جبال البرت، ويجري من الشمال إلى الجنوب، ويصب في البحر المتوسط بالقرب من طرطوشه، ويبلغ طوله أربعمائة ميل ونيف. ويوجد فيه صنف من السمك يقال له الترحته، وهو سمك أبيض ليس له إلا شوكه واحدة. انظر: الزهري، الجعرافية، ص٨٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٨؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٥.

(١٠) وفيه من السمك والحيتان الغليظة كالبوريات والشوابلات. الزهري، الجعرافية، ص٨٨.

(١١) وفيه الحوت الطيب من البوري والشوري. القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥.

(١٢) وادي يانة (آنه): ينبع من المنطقة الواقعة غربي جبل شلير، ويصب في المحيط الأطلسي، ويبلغ طوله ثلثمائة ميل. وفيه حيتان كثيرة صفر الألوان. انظر ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٨؛ الزهري، الجعرافية، ص٩٧.

(١٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٦؛ ابن الخطيب. أعمال الأعلام، ص١٠٤.

وتجدر الإشارة إلى أن اصطياد السمك كان يمارس كحرفة تشكل مصدر رزق لبعض السكان. وكان صيادو السمك يستعملون شباك الحرير والصنانير الحادة في عملية الصيد(٣).

٢. العنبر

وكان العنبر(٤) يستخرج بكثرة من سواحل الأندلس الغربية(٥)، وقد اشتهرت به مدينة شلب(٦).

والأشبونة (لشبونة)(٧)، وأكشونبة (أكشونية)(٨) وشنترة إذ وجد في سواحلها العنبر الذي لا يقل جودة عن العنبر الهندي(٩).

=

(١) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٨.

(٢) مندوجر: حصن يقع بالقرب من المرية، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٦؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ص١٨٥ .

(٣) الأصفهاني، العماد الكاتب، (ت٥٧٩هـ/ ١٢٠٠م) خريد القصر وجريدة العصر، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، وآخرين، ج٢، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.ص ٢٩٩ ٣٠٠، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الأصفهاني، خريدة القصر؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٧٣.

(٤) العنبر: هو مادة صلبة لا طعم لها ولا رائحة، إلا إذا سحقت أو أحرقت، فإنه حينئذ ينبعث منها رائحة ذكية، وقيل العنبر روث بعض الحيتان البحرية، أو نبات ينبت في البحر أو نبع عين في البحر. انظر ابن الشباط، صلة السمط، ص١٣٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٩.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٨؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٣٠.

(٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٨٠.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩١، ٣٠٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٥، ج٥، ص١٦؛ القزويني، آثار البلاد، ٥٥٥؛ شيخ الربو، شمس الدين أبي عبد الله الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) ، كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، Puble,Par.A.Mehren, 1923، ص٢٤٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: شيخ الربوة، نخبة الدهر؛ المقري، نفح الطيب، مج١،ص١٥٢.

(٨) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٠؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر،، ص٢٤٥؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١٠٨؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٣٥.

(٩) ابن سعيد، بسط الأرض، ص١١١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٣.

كما وجد العنبر في ساحل شنترين[1] وشذونه[2]، وهو من أجود أنـواع العنـبر، ومنهما كان يصدر إلى قرطبة ومصر، وكانت تباع الأوقية منه في الأندلس بثلاثة مثاقيل ذهباً، وفي مصر بعشرة دنانير[3].

٣. المرجان واللؤلؤ

أما المرجان فكان يستخرج[4] من سواحل الأندلس الجنوبية.

وخاصة من ساحل بليش[5] والجزيرة الخضراء[6] و"ساحل بحر البـيرة" الـذي يستخرج منه المرجان بكميات كبيرة، حتى أنه استخرج منه في أقل من شهر نحو ثمانين قنطاراً كما يذكر البكري[7].

ويستخرج اللؤلؤ من نهر الوادي الكبير[8]، كما كان يستخرج بكثرة مـن ناحيـة مدينة برشلونة، إلا أنه قليل الجودة[9]. هذا ولا تخفى قيمة اللؤلؤ والمرجـان إذ تصنـع منهما القلائد والعقود التي كانت تستخدم كحلي للزينة.

---

(١) الإصطخري، كتاب الأقاليم، تحقيق: مولر، غوتا، اوفست مكتبة المثنى: بغداد (د.ت)، ص٢٢. سيشـار لهذا المصدر فيما بعد: الإصطخري، الأقاليم؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١٣٨؛ القزويني، آثـار البلاد، ص٥٤٢؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٥؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٢٩.

(٢) يذكر البكري أنه يوجد ببحر شذونة أطيب العنبر العربي الوردي، البكري، جغرافية الأندلـس، ص١٢٥؛ انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ١٩٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣-١٤٤.

(٤) يشير المقدسي إلى طريقة استخراج المرجان في " إقليم المغرب " الذي يضم بلاد الأندلـس، فيذكـر أن المرجان عبارة عن " جبال في االبحر، يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئا من الكتان المحلول وربطوا في كل صليب حبلين، يأخذهما رجلان، فيرميان بالصليب. ويدير النواتـي للقارب، فيتعلق بالقرن (المرجان)، ثم يجذبونه، فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم ثم يجلى فـي أسواق لهم ويباع جزافا رخيصا، ولا إشراق له قبل جليه ولا ألوان ". انظر: المقدسـي، أحسـن التقاسـيم، ص٢٣٩.

(٥) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٣.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٧.

(٧) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢-١٤٣.

(٨) ويذكر الزهري: " أن شهرته أغنت عن وصفه "؛ الزهري، الجعرافية، ص٨٨.

(٩) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

الفصل الثاني

المواد الأولية من أصل معدني وصخري

١. المناجم والمواد المعدنية

عرفت المعادن في إسبانيا منذ القدم، وكان الرومان يستخرجون جانبا كبيرا منـها، كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص[١]. وقد قام الرومان باسـتغلال المنـاجم بالطرق العامة التي كانت معروفة آنذاك،كما كانت لهم طرقهم الخاصة في ذلك. وكـان العمل في المناجم شاقا وخطرا، وقليل الأجر، لذا فقد كان العبيد والسـجناء هـم الذيـن يعملون فيها[٢]. وكانت الأدوات المستخدمة في المناجم هي تلك التي عثر عليـها حـول وداخل المناجم كالفؤوس والمصابيح والعتلات والمعاول[٣].

وقد استثمرت المعادن في إسبانيا منذ أقدم العصور، إلا أنها اهملـت فـي فـترة الفوضى والإضطرابات في عهد القوط[٤] (Coths) وبعد الفتح الإسلامي للأندلس اسـتغل المسلمون الثروات المعدنية التي كانت منتشرة في مختلف المنـاطق الأندلسـية أحسـن استغلال، وقد استعانوا في البداية بخبرات السكان الأصليين حيـث اسـتخدموا الأيـدي العاملة السابقة، وشاركوهم العمل في المناجم جنبا إلى جنب[٥].

أما عن طبيعة العمل في المناجم، فقد أورد الإدريسي نصا أشار فيه إلـى كيفيـة استخراج الزئبق من حصن أبال (Ovejo) الذي يقع شمال مدينة قرطبة، فذكر أنه يعمـل فيه أكثر من ألف رجل، قسموا إلى أربع مجموعات:-

---

(١) شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار السندسية، ج١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت: لبنان (د.ت).ص١٨٢، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: أرسلان، الحلل السندسية.

(٢) S.m., Imamuddin, The Econimic History of Spain Under The Umayyads, (711-1031.A.C.) , Dacca,1963.P.157-168.

(٣) P.157-158..Imamuddin, The Ecomimic History of Spain

(٤) أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص٣٠٣.

(٥) منى محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي: القـاهرة، ١٩٨٦. ص٢٠٨. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: منى محمود، المسلمون في الأندلس؛

.Imamudain, The Ecomimic History of Spain.P.158

الأولى: تقوم بعملية قطع الحجر من المنجم، والثانية: تنقل الحطب لأعمال الصهر، والثالثة: تضع أواني سبك الزئبق وتصعيده، أما المجموعة الرابعة فتتولى عملية صهر المعدن في أفران خاصة أعدت لذلك(١).

وذكر الإدريسي الذي زار المنجم في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أن عمقه من سطح الأرض إلى أسفله يبلغ أكثر من مائتين وخمسين قامة(٢).

كما تحسنت الطرق التقنية لمعالجة المعادن وتخليصها من الشوائب العالقة بها، ومن ذلك ما روي عن الطريقة التي استعملها أهل الأندلس بمنطقة حصن المعدن لتخليص معدن النحاس، وكانت الطريقة المتبعة في السابق أن يلقى بالمعدن المستخرج من الأرض في تيار من الماء الجاري، فيحمل التيار المواد الترابية لخفتها ويرسب المعدن الخالص عند مصب النهر، وقد فكر المسلمون بطريقة أخرى وهي دهن المعدن المستخرج بالزيت حيث تتشبع جزيئاته وتخفف وتصير هي المحمولة من قبل التيار، وترسب المواد الترابية عند المصب. وقد أثبت علماء الألمان قبيل الحرب العالمية الثانية أن المعدن الحاصل بهذه الطريقة هو أخلص وأصفى(٣).

أ. المواد المعدنية الفلزية

استخرجت من الأراضي الأندلسية إبان العهد الإسلامي مختلف أنواع المعادن الفلزية، كالذهب، والفضة، والحديد، والنحاس، والرصاص، والقصدير(٤).

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨١؛ انظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠.

(٣) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى الثامن للهجرة. منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية: تونس، ١٩٧٦، ص٦٦، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي.

(٤) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٣٠؛ الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص١٩؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٣٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٢؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١١٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣، ٢٠٠.

١. الذهب

أما الذهب فكان يستخرج بكثرة من مجاري الأنهار، وخاصة من رمال نهر لاردة[١] (Rio Lerida) أحد روافد نهر الأبره[٢] (Ebro)، وهو النهر الذي تجمع منه برادة الذهب الخالص[٣].

كما يستخرج الذهب من نهر التاجه[٤] (Rio Tajo)، وذلك بالقرب من مصبه في المحيط الأطلسي[٥]. ومن نهر شنيل (Rio Genil)، الذي يمر بطرف مدينة غرناطة، وهو أحد روافد نهر الوادي الكبير[٦] (Rio Guadl Quivir)، ويستخرج منه الذهب الأحمر الذي يعد من أجود أنواع الذهب وأكثرها طيبا[٧]. ومن وادي حداره[٨] (Rio El

---

(١) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣)، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ج٣، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص١٧٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن حزم، رسائل؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ الزهري الجعرافية، ص٨٢؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

(٢) الزهري، الجغرافية، ص٨٢.

(٣) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٥٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٥٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧..

(٤) نهر تاجه، ويسمى طليطلة، ينبع من جبال شرقي الأندلس (من منطقة بلاد الجلالقة والبشكونس)، ويصب في المحيط الأطلسي بالقرب من مدينة الأشبونة، وهو من أطول أنهار الأندلس وأعرضها، إذ يبلغ طوله (٦١٠) أميال. ومن أشهر المدن الواقعة عليه طليطلة، وطلبيرة، وقنطرة السيف، بطليوس. انظر: أورسيوس، تاريخ العالم، ص٧٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٩١؛ ابن حيان المقتبس، ج٥، ص٢٧٨-٢٨٠؛ ابن غالب فرحة الأنفس، ص٣٠٨ .

(٥) الزهري، الجعرافية، ص٨٥.

(٦) ابن سعيد، بسط الأرض، ص١٠٠؛ المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٧٢، ١٧١.

(٧) الزهري، الجعرافية، ص٨٥.

(٨) حدارة أو حدره: وكان يعرف بنهر قلزم، ونهر الذهب. وهو يخترق مدينة غرناطة من الشمال إلى الجنوب، وينبع من ناحية قرية ود التي تقع على بعد ستة أميال من غرناطة، وكثيرا ما يجدون الذهب في المدينة. انظر: الزهري، الجعرافية ص٩٦؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٩٥؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٦٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥؛ المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٧١.

Darro) الذي يشق مدينة غرناطة، تستخرج برادة الذهب الخالص[١]. كما يستخرج منه الذهب الأحمر، وقد توجد في رأس الوادي وفي اسفله، " وهذا الذهب إذا اجتمع فإنه يباع مثقاله زائدا على جميع الذهب بالربع والخمس "[٢]. ومن نهر فلوم[٣] كانت تستخرج برادة الذهب الخالص، الذي يعرف بالذهب المدني "[٤]. ويوجد الذهب بكثرة في حصن المعدن الذي يقع بالقرب من مدينة الأشبونة، وذلك أن البحر يقذف بالذهب التبر[٥] إلى منطقة الحصن وما حوله، وكان أهل تلك الناحية يخدمون هذا المعدن طيلة فصل الشتاء[٦] حيث يقومون بجمعه وتنقيته من الشوائب العالقة به. وكانت مناجم الذهب منتشرة في عدة مناطق بالأندلس، من بينها الاشبونة (لشبونة)[٧] وفيها معدن غزير المادة من التبر الخالص[٨]، وإلبيرة[٩] التي اشتهرت بتصديره إلى سائر بلاد الأندلس[١٠] وتدمير[١]، وقريبا من فرنجولش[٢] (Hornachuelos) بمكان يعرف

---

[١] ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص١٩٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٧؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٩٩٠.

[٢] الزهري، الجعرافية، ص٩٦.

[٣] نهر فلوم: يذكر الحميري أن هذا النهر ينقسم عند مدينة غرناطة إلى قسمين: قسم يجري في أسفل المدينة، وقسم يجري في أعلاها، فيجري في بعض حماماتها، وتطحن الأرحاء عليه خلال منازلها. الحميري. الروض المعطار، ص٤٥.

[٤] المصدر نفسه، ص٤٥.

[٥] التبر: اسم يطلق على الذهب والفضة قبل استعمالهما، وقيل يطلق على جميع الجواهر الذائبة قبل استعمالها، إلا أنه بالذهب أعرف انظر: الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (ت بعد ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م)، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٠م، ص٢٠-٢١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الحكيم، الدوحة المشتبكة.

[٦] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٧؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٢٧؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١؛ السباهي، أوضح المسالك، مخ، ص٢٥/ أ.

[٧] البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٦؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣، ١٥٢.

[٨] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩١؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٣٥.

[٩] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٤؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١١١ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٠٤؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٢٣.

[١٠] القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢.

بالمرج[٣]. وأعظم منجم للذهب في الأندلس يوجد في جهة شنت ياقوب[٤] (Santiago de Compostela).

٢. الفضة

والفضة من المعادن المشهورة في الأندلس[٥]، وكانت تستخرج من مناجم: إلبيرة[٦] ومنها تصدر إلى معظم أنحاء الأندلس[٧]. ولوشه (Loja) من أعمال غرناطة[٨]، ومن جهة إشبيلية[٩]، وجبال قرطبة[١٠]، وكبرتين من عمل قرطبة[١١]، وقرية كرتش التابعة لها[١٢]، وفيها معدن غزير المادة فائق الجودة من الفضة الخالصة[١٣].

كما كانت الفضة تستخرج من شنترة[١٤]، وجيان[١]، وكورة باجة[٢]، وجبال حمة بجانة[٣]، وجبال مرسية[٤]، وفيها توجد معادن فضة غزيرة المادة[٥]. ومنطقة المرج

=

(١) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، مختصر كتاب البلدان، ليدن، بريل، ١٣٠٢هـ.ص٨٧. سيثار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان.

(٢) فرنجولوش: تقع على بعد إثني عشر ميلا من حصن المدور. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٤.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٠.

(٤) شنت ياقوب، تقع في الركن الشمالي الغربي من الأندلس على ساحل المحيط الأطلسي، وهي قاعدة جليقية، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٧٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٠ رواية: (ابن سعيد).

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٩٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٤.

(٦) الإصطخري، مسالك الممالك ، ص٤٤؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٠٤؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤.

(٧) القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢.

(٨) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٨.

(٩) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٢٣.

(١٠) القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٢؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص١٦٤.

(١١) الحكيم، الدوحة، المشتبكة، ص٢٣.

(١٢) الإصطخري، الأقاليم، ص٢٣؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩.

(١٣) مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص١٨١؛ المقري، نفح الطيب، مج١،ص١٤٣، ٤٥٥.

(١٤) المراكشي، المعجب، ص٣٦٣.

بالقرب من فرنجولش[٦].وتستخرج الفضة بكثرة من كورة تدمير[٧]، فمن ساحلها كان يستخرج في كل يوم ثلاثون رطلا كما يذكر العذري[٨].

٣. الحديد

والحديد من أكثر المعادن انتشارا في الأندلس[٩]، ويوجد بكثرة في حصن " قسطنطينة الحديد"[١٠] إذ يذكر الإدريسي أنه يوجد " بجباله معادن الحديد الطيب المتفق على طيبه وكثرته "، ومنه كان يصدر إلى جميع أقطار الأندلس[١١].

ويجلب من منطقة برت ياقة التي تقع بالقرب من مدينة برشلونة حديد الشلق، وهو حديد أسود تصنع منه آلة الحرب[١٢].

وكان الحديد يستخرج من بجانة[١٣]، ووادي آش[١٤]، وإلبيرة[١]، وفحص قرطبة[٢] وكورة المرية[٣]، وبكارش من عمل المرية[٤] وجبل أندة من عمل بلنسية[٥] وجبال

=

[١] ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٨٧.

[٢] المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٩.

[٣] البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٢٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

[٤] الإصطخري، مسالك الممالك، ص٤٤؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص٢٣.

[٥] الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٩.

[٦] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٠.

[٧] ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٨٧؛ البكري، جعرافية الأندلس، ص١٢٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

[٨] العذري، ترصيع الأخبار، ص٢.

[٩] البكري، جغرافية الأندلس، ص١٣٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

[١٠] قسطنطينة الحديد؛ حصن يقع على بعد ستة عشر ميلا من مدينة فرنجولش. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٤.

[١١] المصدر نفسه، ص٥٧٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٧.

[١٢] الزهري، الجعرافية، ص١٠٤.

[١٣] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٣.

[١٤] ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٨.

وجبال طليطلة[٦] وأوربة التي تقع بين دانية وشاطبة[٧]، وشلطيش[٨]، وفريش التي تقع شمال غرب قرطبة وهي من أكثر بلدان الأندلس حديدا[٩].

٤. النحاس

والنحاس من المعادن الموجودة بكثرة في الأندلس[١٠]. وكان يستخرج من جهات: بجانة[١١]، وإلبيرة[١٢]، وجبال طليطلة[١٣]، وأكشونبة[١٤]، ومنطقة حصن المعدن[١٥] وأكثر مناطق الأندلس نحاسا هي منطقة شمال الأندلس، كما يوجد فيها الصفر[١] الذي

=

(١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٤؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١١١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٠٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤.

(٢) فحص قرطبة: ناحية طولها تسعة أيام وعرضها خمسة أيام معمورة بالقرى، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٢.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٢.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٣٦٣.

(٥) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٨٢.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣.

(٧) المراكشي، المعجب، ص٣٦٣.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٠.

(٩) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٠؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٣.

(١٠) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٣٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٣.

(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣٩.

(١٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢؛ البغدادي، مراصد الأطلاع، ج١، ص١١١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤.

(١٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٢٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٣.

(١٤) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج١، ص١٨٣.

(١٥) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي.

مناطق الأندلس نحاسا هي منطقة شمال الأندلس، كما يوجد فيها الصفر [١] الــذي يشـبه الذهب[٢] وكان النحاس يستخرج من مناجم حجر النار في إقليم ولبة[٣] (Huelva).

٥. الرصاص والقصدير

أما معدن الرصاص فكان يستخرج من نواحي: برجة[٤]، ودلاية[٥] مــن أعمــال المرية، والبيرة[٦] وشلوذ[٧]، وفريـــش[٨]، وتدمـــير[٩]، وسرقســطة[١٠]، وطليطلــة[١١] وقبرة[١٢].

كما يوجد بالقرب من مدينة لينارس (Linares) من أعمال بياسة مناجم كثيرة من الرصاص، ومنها كان يصدر إلى معظم بلاد إسبانيا[١٣].

ومن معادن الأندلس الأخرى: القصدير الذي اشتهرت به مدينة أكشـــونبة، حيــث يذكر ذلك البكري، ويشير أيضا إلى وجوده في ناحية إفرنجة وليون[١٤] (Leon).

---

(١) الصفر: هو النحاس الجيد، وقيل هو ضرب من النحاس، والصفر الذهب أيضا. انظـــر: جـــواد علـــي، المفصل ج٧، ص٥١٧.

(٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٠.

(٣) كولان، الأندلس، ص١٠٤.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٢٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٠.

(٥) المراكشي، المعجب، ص٣٦٣.

(٦) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ ابن الخطيب، الإحاطـــة، مـــج١، ص١٠٤؛ الحمـــيري، الـــروض المعطار، ص٢٤؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١١٩.

(٧) شلوذ: بلد بالأندلس، ينسب إليها الكحل الشلوذي، يصنعه أهلها من الرصاص، ويحمل إلى سائر البـــلاد البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٢، ص٨٠٩.

(٨) Imamuddin , The Econimic History of Spain, P.166

(٩) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢.

(١٠) ابن الشباط، صلة السمط، ص١٥٠.

(١١) الإصطخري، مسالك الممالك، ص٤٢.

(١٢) شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج١، ص١٨٣.

(١٣) الغساني، رحلة الوزير، ص٢٦.

(١٤) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

ب. المواد المعدنية غير الفلزية

استخرجت من الأراضي الأندلسية إبان العهد الإسلامي أنواع المعادن غير الفلزية كالزئبق والكحل، والكبريت والتوتيا، والزاج والشب، والزنجفور، والطفل، والزجاج والبلور والأحجار الكريمة، والملح[(١)] وغيرها.

١.الزئبق

أما معدن الزئبق فكان يستخرج من جهات: جيان[(٢)]، وقرطبة[(٣)] وشلون[(٤)]، ومنها كان يصدر إلى جميع المغرب[(٥)]. ومن مسطاسة[(٦)] وبطروش التي اشتهرت بتصديره إلى جميع الأقطار[(٧)]. وأجود أنواع الزئبق ما كان يستخرج من المعدن الذي يقع بالقرب من مدينة طليطلة[(٨)]. كما كان يستخرج بكثرة من حصن أبال، ومنه كان يصدر إلى جميع الأقطار[(٩)]، ومن منطقة فحص البلوط[(١٠)]، وجبال البرانس (Sierra de Almaden) إذ يوجد فيها معدن زئبق غزير المادة، لا ينقطع، ومنها يحمل إلى جميع الآفاق[(١١)].

---

(١) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص١٩؛ الزهري، الجعرافية، ص٨٩؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٣٠، ١٥٠، ١٧٦؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٣.

(٢) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص٨٧.

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٢ ؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٠.

(٤) شلون، تقع على بعد أربعة مراحل من قرطبة. المراكشي، المعجب، ص٣٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٦٣.

(٦) مسطاسة: حصن من عمل أوريط بالأندلس، البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٢٧٠.

(٧) الزهري، الجعرافية، ص٨٧.

(٨) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٨؛ أحمد بدر، الحضارة العربية الإسلامية، ص٥٧.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار، مخ، ج٢، ص٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠.

(١٠) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٨٧.

(١١) البكري، جعرافية الأندلس، ص١٢٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٩٢؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق:فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة: بيروت، ط٤، ١٩٨١، ص٢٠٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: القزويني، عجائب المخلوقات؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص١٥٥؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة، الإسلامية، ص١٨١؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

وتعتبر الأندلس من أشهر مناطق العالم إنتاجا للزئبق في العصور الوسطى، حتى أنها كانت تصدره إلى سائر الإسلام والكفر كما يذكر المسعودي[١]، ومن الجدير بالذكر أن إسبانيا لا تزال حتى اليوم من أوائل الدول المصدرة له[٢].

٢. الكحل

والكحل من المعادن الوفيرة بالأندلس، إذ كان يستخرج من ناحية طرطوشة الكحل الذي يشبه الكحل الأصفهاني[٣] والذي يعد من أجود أنواع الكحل[٤]، ومنها كان يصدر إلى جميع البلاد[٥]، ومن ناحية بسطة يستخرج الكحل الأسود، من جبل هناك يعرف بـ"جبل الكحل الإثمد"[٦]، ومنه يحمل إلى بلاد المغرب[٧]. كما يستخرج من جبال أطريجرش(البرت) "الكحل الإثمد القرطجني"[٨] ومنه يصدر إلى بلاد المشرق[٩] واستخرج الكحل الإثمد كذلك من مدينة شوذر (Jodar) التابعة لمدينة جيان[١٠].

٣. الكبريت

ومعادن الكبريت الأحمر والأصفر كثيرة بالأندلس،[١١]، حتى أن الكبريت الأحمر كان يصدر إلى الهند[١].

---

(١) المسعودي، مروج الذهبي، ج١، ص١٩٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٤.

(٢) أحمد بدر، الحضارة العربية الإسلامية، ص٥٦-٥٧ .

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣؛ الباكوي، تخليص الآثار، ص١٣١.

(٤) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٤٨.

(٥) البكري، جعرافية الأندلس، ١٣٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ١٤٣ ز

(٦) الزهري، الجعرافية، ص٩٦؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٥؛ ٥١٢؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ٢١٦.

(٧) الزهري، الجعرافية، ص٩٦.

(٨) الكحل الإثمد: هو حجر معروف له معادن كثيرة. أجود أنواعه الأصفهاني، وهو حجر يخالطه الرصاص ينفع في علاج لأمراض العين، حيث يرفع عنها الماء، ويقوي أعصابها ويدفع عنها كثيرا من الآفات والأوجاع.القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٣٨.

(٩) الزهري، الجعرافية، ص٨٠.

(١٠) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٣.

(١١) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

ويوجد الكبريت الأحمر والأصفر بكثرة في جبل البرانس[٢]، واشتهرت منطقة بليارش (Pallars) التي تقع بالقرب من مرسيه بمعدن الكبريت الأحمر، ونظرا لوجوده بكثرة فقد كان يصدر إلى جميع أقطار الأرض وخاصة إلى الشام، والعراق، واليمن.[٣] كما يوجد معدن الكبريت في مدينة بجانة[٤].

٤. التوتيا

والتوتيا[٥] من المعادن التي تستعمل في صبغ النحاس[٦] وكانت تستخرج من مناطق شلوبينية[٧] وجبال قرطبة[٨]والبيرة[٩] وقرية بطرنة[١٠](Paterna) وفيها معدن التوتيا الطيبة، التي تعد من أجود أنواعها وأقواها في صبغ النحاس[١١].

٥. الزاج والشب

واشتهرت الأندلس بمعادن الزاج والشب[١٢]، وهذا الأخير كان يستعمل في صباغة الثياب ودباغة الجلود، وله فوائد علاجية منها أنه يحبس نزف الدم، وينفع في تخفيف أوجاع الأسنان[١]، وقد اشتهرت به مدينة لبلة[٢]وكنكة (كونكة)[٣] وقرطبة[٤].

=

(١) الزهري، الجعرافية، ص٣١.

(٢) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٠٣؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص١٥٥.

(٣) الزهري، الجعرافية، ص٩٩.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣٩ .

(٥) التوتيا: حجر معدني ذو أنواع أبيض وأخضر وأصفر، له فوائد علاجية، حيث ينفع في علاج أمراض العيون، القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٥١.

(٦) ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص٢٣، ٩٢.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٤.

(٨) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٢؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣ .

(٩) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١١١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٠٤؛ الحميري، الروض المعطار، ٢٤ .

(١٠) بطرنة: تقع على بعد إثنى عشر ميلا من مدينة شلوبينية، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٤.

(١١) البكري، جعرافية الأندلس، ١٢٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

(١٢) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص١٩؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٣٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٢.

واستخرج الزاج الذي يدخل في تحضير بعض أنواع الأدوية[٥] مـــن جهـــــات لبلة[٦] وإشبيلية[٧]، وكنكة[٨].أما معدن الزنجفور (السنجفر) فكان يستخرج من منــــاطق: مسطاسة[٩] وفحص قرطبة[١٠] وجبال البرانس[١١] ومن حصن أبال الذي اشتهر بتصنيـــع الزنجفور، ومنه كان التجار يحملونه إلى جميع أقطار الأرض[١٢].

٧. معدن الطفل

كان معدن الطفل يستخرج من جبل يقع بالقرب من طليطلة يعرف بــــــ " حبــل الطفل " واشتهرت طليطلة بتصديره والمتاجره به[١٣]، ومن قرية مغــام وبـــها معـــدن " الطفل الأندلسي " الذي يمتاز بجودته وكثرته[١٤].

٨. معدن الزجاج والبلور

=

(١) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٦٥؛ جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥٢٠.

(٢) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٥١؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥؛ ابن ســعيد، المغــرب فــي حلــى المغرب، ج١، ص٣٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس.ص١٦٨.

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٤.

(٤) القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٢.

(٥) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥٢٠.

(٦) الرشاطي، اقتباس الأنوار؛ ص٥١؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥؛ ابن ســعيد، المغــرب فــي حلــى المغرب، ج١، ٣٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٨.

(٧) الزهري الجعرافية، ص٨٩؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ٣٣٩؛ الحميري، صفة جزيـــرة الأندلس، ص١٦٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١.

(٨) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٤.

(٩) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٤٥٥..

(١٠) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٢.

(١١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ٢٨٩؛ ياقوت الحمــوي، معجــم البلـــدان، ج١،٤٩٢؛ القزوينـــي، عجــائب المخلوقات، ص٢٠٣؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٤؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ٢٢٠.

(١٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠؛ حتاملـــة، ملامــح حضارية، ص١٩٣.

(١٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١.

(١٤) ابن حوقل، صورة الأرض،ق١، ص١١١؛ الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٦٨؛ ابن الخراط، اختصــــار اقتباس الأنوار، ص١٦٨؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٥٥.

أما الزجاج، فقد استنبط الأندلسيون صناعته من الحجارة[١] والبلور الصخري، وكانت معادنه متوافرة في مدينة طرطوشه[٢] وبالقرب من مدينة لبلة[٣]، وذكر المقري أن في مدينة المرية نوعا من الحصى يشبه الدر في رونقه، وله ألوان عجيبة، كان يتخذ للزخرف والزينة، ومنها كان يصدر إلى سائر البلاد[٤].

وكان البلور[٥] من المعادن الوفيرة بالأندلس، خاصة في منطقة جبل شجيران التي تقع شرقي مدينة قبرة[٦]، وفي ناحية لورقة من عمل تدمير[٧].

كما أشار الحميري إلى وجود معدن المها (البلور) في شمالي بطليوس[٨] على بعد أربعين ميلا منها[٩].

٩. الأحجار الكريمة

واشتهرت الأندلس بأنواع الأحجار الكريمة كالياقوت واللازورد والجزع والزمود والزبرجد، والمرقشيشا، والشاذنج، والمغناطيس، والحجر البجادي واليهودي وحجر الطلق[١].

---

(١) حجر الزجاج: الزجاج أنواع كثيرة يصهر بواسطة النار ويتلون بألوان كثيرة لأنه من الين الأحجار، ويميل إلى كل صبغ يصبغ به، ومن خواصه أن يجلو الأسنان، وينبت الشعر إذا طلي بدهن الزئبق. القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٦٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٣؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٣٧٤.

(٢) القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٣١.

(٣) Imamuddin , The Economic History of Spain. P168-169.

(٤) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١ رواية: (ابن سعيد)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٤٧.

(٥) البلور: صنف من الزجاج إلا أنه أصلب، وهو مجتمع الجسم في المعدن بخلاف الزجاج، والبلور يصبغ بألوان الياقوت فيشبه الياقوت، القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٥٠.

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(٨) بطليوس: مدينة من مدن كورة ماردة في الأندلس، تقع على نهر وادي أنه (Rio Guadiana) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٣٣.

(٩) الحميري، الروض المعطار، ص٣٣؛ السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٢، ص١٤٩. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة.

أما الياقوت فهو نوع من الأحجار الكريمة التي كانت تستخرج بكثرة من نواحي الأندلس، حيث يوجد الياقوت الأحمر في ناحية حصن منت ميور من أعمال مالقة، إلا أنه دقيق جدا ولا يصلح للاستعمال كما يذكر البكري[٢] ويوجد في ناحية المرية حجر يشبه الياقوت الأحمر[٣] وبالقرب من قرية ناشرة من أعمال بجانة يوجد الياقوت بأشكال مختلفة وكأنه مصنوع، وهو حسن اللون، صبور على النار[٤].

واللازورد نوع من الأحجار الكريمة، وهو عبارة عن حجر رملي يحتوي على الكبريت المشع ذي اللون الأزرق، وكان استعماله شائعا في الأندلس إبان العهد الإسلامي[٥] واستخرج اللازورد الجيد بكثرة من ناحية لورقة[٦] وجبل شلير[٧].

والجزع من الأحجار التي تستعمل في الفصوص التي توضع في الأختام، وقد تحفر عليه كتابة أو صور[٨] وكان يستخرج من جبل يقع بالقرب من مدينة الأشبونة[٩] ومن الأحجار الكريمة الأخرى الزبرجد والزمرد، وهذا الأخير حجر أخضر اللون تتخذ منه الفصوص[١٠] وقد اشتهرت بهما مدينة غرناطة[١١].

=

(١) ابن الشباط، صلة السمط، ص١٣٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١١٨.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٨. انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٨-٣٠٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٨.

(٤) المصدر نفسه ص١٢٨؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١،ص١٢٤.

(٥) Imamuddin , The Economic History Of Spain. P.170.

(٦) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٨؛ الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٥٣؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٠٥.

(٨) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥١٧-٥١٨.

(٩) القزويني، آثار البلاد، ص٤٩٦.

(١٠) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥١٩.

(١١) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠.

والمرقشيثا حجر كان يستعمله الزجاجون[1] وله أصناف منها ذهبية وفضية ونحاسية، وجميع أصنافه يخالطها الكبريت، وتدخل في كثير من الصناعات[2] وكانت المرقشيثا الذهبية تستخرج من جبال أبذة وهي مرقشيثا لا نظير لها في الدنيا، وكانت تصدر من الأندلس إلى جميع الآفاق[3]، كما كانت تستخرج المرقشيثا بمختلف أصنافها من جبل شلير[4].

والشاذنج (الشأذنة) وهو حجر يقطع الدم، وينفع في مداواة العين وخشونة الأجفان، ويستعمل في دلك التذاهيب[5] وكان يستخرج من جبال قرطبة[6].

وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد بموضع يعرف بالصنهاجيين من كورة تدمير[7]. والحجر البجادي يوجد بناحية مدينة الأشبونة في جبل هناك يتلألأ فيه ليلا كالسراج[8]. أما الحجر اليهودي، فهو حجر يشبه حبة البلوط، وله خاصية تفتيت الحصا التي تكون في المثانة والكلية[9] وكان يوجد في ناحية صح ألبونت (Al Puente) من أعمال بلنسية[10]، وفي جبل يقع بين الأشبونة وشنترة[11]. والمغنيسيا وحجر الطلق[1] من المعادن الموجودة بكثرة في الأندلس[2].

---

(1) ابن الحشاء، مفيد العلوم ، ص٨٣ .

(2) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٧٤.

(3) القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٧٤.

(4) يذكر البكري أن حجر المرقشيثا الذهبية يوجد في جبل أنطاندة. انظر: البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٢.

(6) ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢، ٥٢٠.

(7) القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٢؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٣٣؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢، ٥٢٠ .

(8) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٨؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٩، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(9) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٨؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٨؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(10) الحميري، الروض المعطار، ص٣٣.

(11) البكري، جعرافية الأندلس، ص١٢٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٥٦.

١٠. الملح

والملح من المنتجات الأندلسية، وكان يستخرج بكميات كبيرة من جبال سرقسطة التي اشتهرت بمعدن الملح الذرآني وهو الملح الأبيض الصافي الأملس الذي لا يوجد في غيرها من بلاد الأندلس(٣) كما استخرج الملح بكثرة من مناجم قادس والمرية(٤) ولقنت(٥)وجزيرة يابسة (Ibiza)(٦) وطالقة(٧). وعرف مسلمو الأندلس طريقة استخراج الملح بالتبخير، وذلك بجلب الماء المالح إلى برك وأحواض خاصة، وتركه لحرارة الشمس حيث يتبخر الماء ويترسب الملح في قاع البرك والأحواض(٨).

١١. مواد أخرى

يوجد بالقرب من إشبيلية معدن التراب، ويعرف بـ" تراب الهند "، ومنه يصنع الهند، وهو نوع من التراب يدخل في تحضير الأصباغ، وكانت إشبيلية مختصة في صناعته(٩) ويوجد فيها نوع آخر من التراب يخلط بالدقيق فلا يمتاز عنه لمجانسته له، لذا كان يعجن ويطبخ ويؤكل(١٠).

=

(١) يذكر الحميري أن هذا الجبل يقع غربي شنترين على بعد خمسين ميلا، الحميري، الروض المعطار، ص٣٣.

(٢) حجر الطلق: وهو نوعان أبيض غليظ القشر صافي البياض، وأحمر رقيق القشر لين المجس، وهو حجر شريف يلقى على الرصاص والنحاس والحديد فيحولها إلى فضة، انظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٦٦.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٢.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٣؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٥٠، ١٧٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢١٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٠.

(٥) كولان، الأندلس، ص١٠٤.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٨.

(٧)الونشريسي، المعيار المعرب، ج١١، ص٩٧.

(٨)بن العطار، محمد بن أحمد الأموي (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق: ب شماليتا.ف. كورينطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣. ص١٩٩-٢٠٠، ٤٠٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن العطار، الوثائق والسجلات.

(٩) الزهري، الجعرافية، ص٨٩.

(١٠) المصدر نفسه، ص٨٩.

وفي مجريط[1] (Magerit) نوع من التراب كان يستعمل في صنع البرام التي تمتاز بالقوة والمتانة، والقدرة على مقاومة النار[2]، كما يوجد في مدينة لورقة معادن تربة صفراء ومنها كانت تصدر إلى كثير من الأقطار[3].

وفي قرية مغام التي تقع بالقرب من طليطلة نوع من الطين كان يستعمل في تنظيف وغسل الشعر[4]، كما كان يستخدم كمادة غذائية إذ " هو نهاية في لذاذة الأكل " كما يذكر الإدريسي، ومنها كان يأخذه التجار إلى سائر بلاد المغرب[5] والشام والعراق وبلاد الترك[6].

٣. مقاطع الرخام والحجر

اشتهرت الأندلس برخامها المتعدد الألوان كالأبيض والأحمر والخمري والمجزع[7]، وكانت مقاطع الرخام موجودة في نواح عديدة من الأندلس خاصة إلبيرة[8] وقسطيلية التابعة لها، وقد اشتهرت بالرخام الأبيض.[9] وفي ناحية سلبانية من أعمال إلبيرة الرخام الأبيض الملكي الناصع اللون،[10] وفي المرية الرخام الصقيل الملوكي[11] وفي ناحية بكارش من عمل المرية[12] جبل المرمر (الرخام) الملون[1]. كما استخرج

---

[1] مجريط: في الثغر الجوفي (الشمالي) من الأندلس، وهي مدينة شريفة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٥٧.

[2] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٩-١٨٠.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦١-٥٦٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧١.

[4] الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٦١؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٢٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣.

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٢٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣٣.

[6] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ١٦١.

[7] أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٦٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ٢٢٧.

[8] القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢.

[9] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣. رواية: (الرازي).

[10] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٣.

[11] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٨ .

[12] المراكشي، المعجب، ص٣٦٣..

الرخام بكثرة من مقاطع: ماردة[٢] (Merida) وسرقسطة[٣] ووادي المنصورة (Guadalmanzor) الذي يقع شمال شرق المرية، وطرّكونة (Tarragone) وهي من أكثر بلاد الأندلس رخاماً، ويوجد فيها الرخام الأبيض والأسود[٤] واشتهرت فريّش برخامها الناصع البياض الشديد الصفاء[٥] وهو الرخام المنسوب إليها، والذي يعد من أجود أنواع الرخام، وأحسنه ديباجاً وأشده صلابة[٦]. كما اشتهرت جبال قرطبة بالرخام الأبيض الناصع اللون والخمري[٧] وكذلك منطقة الفحص التابعة لها حيث اشتهرت بمقاطع الرخام الأبيض[٨].

واستخرج الرخام بكثرة من مقطع المنستير (Almonaster) الذي يقع في سفح جبل قرطبة[٩]، ومن قرية ناشرة من أعمال المرية، إذ كان فيها مقطع عجيب للعمد[١٠] واشتهرت باغة التابعة لغرناطة بكثرة الرخام الغريب الموشى بالحمرة والصفرة وغير ذلك من الرخام الحالك والمجزع[١١].

هذا وقد أشار الزهري إلى المضيق المسمى بعين الأسود،[١٢] وذكر أن " هذا المضيق خلقه الله تعالى شقا في جبل من الرخام الأحمر له حافتان عن يمين وشمال ارتفاع كل واحدة منهما خمسون قامة، وطوله أربعة فراسخ "[١].

=

[١] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٣.

[٢] ماردة: تقع غرب قرطبة، وهي مدينة حصينة كانت قاعدة لحكام الرومان الذين أقاموا فيها منشآت ضخمة لا زالت باقية إلى اليوم كالقنطرة والملعب وخزان المياه. انظر: ابن الشباط، صلة السمط، ص١٤٧؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٢١٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٩.

[٣] العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٦.

[٤] ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، مج١، ص٢٦.

[٥] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٦ .

[٦] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج، ص٣٧.

[٧] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١. رواية: (الرازي)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٤.

[٨] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٢ .

[٩] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥٥.رواية: (ابن بشكوال).

[١٠] المصدر نفسه،ص٢٠١، رواية: (الرازي).

[١١] المصدر نفسه، ص٢٠١، رواية: (الرازي)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٤.

[١٢] عين الأسود، مضيق يقع على بعد ثلاثين فرسخا من مدنية مرسية، انظر: الزهري، الجعرافية، ص١٠٠.

أما مقاطع الحجر فكانت موجودة بكثرة في جهات قَرْمُونَةَ[٢] وأرنطة[٣] والمرية وهي من المواضع المقصودة بالحجر، حيث أحاطت بها الصخور والأحجار الصلبة المضرسة من جميع الجهات[٤] كما كانت الأحجار تستقطع من جبال قرطبة، ثم تساق على العجل إلى مواضع البناء[٥] ومما يدل على كثرة مقاطع الحجر في الأندلس أن مدينة الزهراء[٦] (Alzahra) التي ابتنيت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) كانت تستهلك في كل يوم أكثر من ستة آلاف صخرة من " الصخر المنحوت المحكم المعدل " لغرض البناء[٧].

واستخدم الجص والجير لتثبيت الأحجار وتبيض الجدران وتزويق المباني، وكان الجص يستخرج بكثرة من جبال حصن الحمة، إذ يذكر الإدريسي أن " جبال هذه الحمة كلها جص وكان الجص يحرق فيها وينقل إلى مدينة المرية حيث يباع بأرخص الأثمان نظرا لكثرته[٨].

واشتهرت سرقسطة بكثرة جصها وجيرها، لذلك كانت تعرف بـ " المدينة البيضاء[٩]. وذكر ابن غالب أنه كان يورد إلى مدينة الزهراء في كل يوم خمسمائة حمل من الجص والجير[١٠]، مما يدل على كثرته في الأندلس.

هذا ويلاحظ مما تقدم وفرة المواد الأولية، وتنوعها في أرجاء الأندلس، ومدى اهتمام الأندلسيين في استغلالها واستثمارها لخدمة الصناعة، الأمر الذي انعكس على

=

[١] الزهري، الجعرافية، ص٩٩-١٠٠.

[٢] الحميري، الروض المعطار، ص٤٦١.

[٣] ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج٢، ص١٢٠٤.

[٤] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٣.

[٥] عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٥٣.

[٦] الزهراء، تقع غربي قرطبة. وقد ابتدئ بنيانها في سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م) بأمر من الخليفة عبد الرحمن الناصر، ابن عذاري، البيان، المغرب، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١.

[٧] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٠، ابن عذارى، البيان، المغرب، ج٢، ص٢٣١؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٣٨.

[٨] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٦.

[٩] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٦.

[١٠] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٠.

تقدم الصناعة وتطورها كما سنرى- وأدى بالتالي إلـــى نمـــو الحركـــة الاقتصاديـــة وازدهارها، مما كان له أكبر الأثر في تنشيط الاقتصــــاد الأندلســـي، وإشـــاعة الرخـــاء والاستقرار بين الأندلسيين، مما مكنهم من السير قدما نحو التقدم والازدهار، وهـــذا مـــا سنلاحظه بصورة جليه خلال دراستنا للصفحات القادمة.

الباب الثاني

أنواع الحرف والصناعات الأندلسية

تمهيد

تبعت حركة الفتح الإسلامي للأندلس فترة من الركود والكساد الصناعي، إذ توقف الصناع عن الإنتاج نتيجة لحالة الفوضى وعدم الاستقرار. كما أحدث هذا الفتح هزة في المجال الاقتصادي بسبب الغنائم الهائلة التي حصل عليها المسلمون من المدن المفتوحة مثل: الذخائر والتحف المصنوعة من الذهب والفضة والمرصعة بأنواع الأحجار الكريمة[1]، ومن ذلك ما وجدوه في مدينة طليطلة (Toledo)، حيث ذكر الإدريسي أنهم وجدوا فيها مائة وسبعين تاجاً من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة النفيسة، وألف سيف مجوهر ملكي، كما وجدوا فيها من الدر والياقوت وأنواع آنية الذهب والفضة الشيء الكثير[2]، مما يدل على تقدم هذه الصناعة وازدهارها في إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي.

وكان عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/ ٧١٣-٧٥٥م) عهد اضطراب وعدم استقرار من الناحيتين السياسية والاقتصادية، باعتباره فترة انتقال من الحكم القوطي إلى الحكم الإسلامي، وكانت الأندلس خلال هذه العهد ولاية إسلامية تابعة لخلافة المشرق الإسلامي، ولهذا فقد تأثرت بالحضارة الشامية وسارت على نهجها[3]. وشهدت خلال هذه الفترة هجرة أعداد ضخمة من العرب إليها معهم نساؤهم وأولادهم وممتلكاتهم وكثير من مظاهر الترف، وأدخلوا إليها معظم الصنائع التي كانت سائدة في المشرق الإسلامي إذ انتقل الكثير من الحرفيين وخاصة من الشام ومصر لنشر صناعتهم فيها.[4]

---

(١) ابن القوطية القرطبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق؛ عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت ١٩٥٨. ص١٤٦-١٤٧، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس؛ انظر: السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص٢٥٩. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥١-٥٥٢؛ انظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٢٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٣١.

(٣) عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٢٥٩؛ محمد أحمد أبو الفضل، التأثيرات الشامية في حضارة الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨). مجلة المؤرخ العربي. بغداد، ع٣٦، س١٤، ١٩٨٨. ص٢٢١. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: أبو الفضل، التأثيرات الشامية.

(٤) ستانوودكب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة: د.محمد فتحي عثمان، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٥، ص٤١. سيشار لهذا المرجع فيم بعد: كب، المسلمون في تاريخ الحضارة؛ شاكر

=

ومنذ قيام الإمارة الأموية بالأندلس (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م) أخذ طابع الاستقلال السياسي عن المشرق يقوى فيها، وإن استمر تلقي التأثيرات الحضارية من المشرق الإسلامي[١].

وحرص الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) منذ توليه الإمارة على توطيد دعائم الأمن والاستقرار السياسي والاقتصادي في الأندلس، حيث قضى على عناصر الفوضى والاضطراب، المتمثلة بالصراع بين العرب والبربر من جهة وبين القيسية واليمانية من جهة أخرى.[٢] كما شجع الزراعة والصناعة والتجارة، وأدخل كثيراً من الصناعات في البلاد، كصناعة المنسوجات والملابس، وصناعة تطعيم الصلب بالذهب والفضة، وهي صناعة دقيقة عرفت باسم (الفن الدمشقي). واهتم الأمير عبد الرحمن الداخل بإقامة المنشآت العمرانية، كالقصور والمساجد والمتنزهات، متبعاً في ذلك التقليد الشامي، ومتشبهاً بما كان يفعله أجداده في المشرق[٣].

واستمرت الأندلس في عهد الإمارة بتلقي المؤثرات الحضارية من المشرق الإسلامي، وخاصة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢) الذي أخذ يساير حركة الازدهار الحضاري التي شهدتها بغداد رغم العداء القائم بين الأسرتين العباسية والأموية ففتح أبواب الأندلس أمام التيارات الحضارية العراقية، وأخذ يقلد الخلفاء العباسيين في مظهرهم ولباسهم، وفي الاحتجاب عن الرعية ليكسب إمارته علامات الرهبة والهيبة. وفتح أبواب الأندلس للتجار العراقيين والبضائع العراقية

=

مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات: وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٠م، ص٦٥، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: شاكر مصطفى، الأندلس.

[١] أبو الفضل، التأثيرات الشامية، ص٢٢١.

[٢] المرجع نفسه، ص٢٢١.

[٣] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٤٥-٥٤٦؛ انظر: دوروثي. إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة ط فودة، مراجعة وتقديم عز الدين فريد، مكتبة النهضة المصرية، ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، القاهرة نيويورك، ١٩٦٥. ص٣٧. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: دوروثي، إسبانيا شعبها وأرضها؛ كب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ص٥٩؛ ابو الفضل التأثيرات الشامية، ص٢٢١-٢٢٢.

كالملابس وأدوات الزينة التي سرعان ما انتشرت بين أفراد المجتمع الأندلسي.[١] وتذكر لنا الروايات أن هذا الأمير اشترى من أحد التجار عقداً كان للسلطانة زبيدة زوجة هارون الرشيد، بمبلغ عشرة آلاف دينار، وأهداه إلى الأميرة شفاء إحدى محظياته، وقد سرق هذا العقد ضمن الأشياء الثمينة الأخرى التي نهبت في بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون.[٢]

وأنشأ الأمير عبد الرحمن الأوسط تشبهاً بالعباسيين داراً لسك النقود، ودشن استعمال الخاتم الرسمي، وأسس داراً خاصة للطراز تصنع فيها ملابس خاصة لكل مرتبة من مراتب رجالات الدولة، وتضم مصانع النسيج التي كانت تنتج مختلف أنواع المنسوجات والأقمشة.[٣] ونمت في عهد هذا الأمير صناعة السفن والأساطيل الحربية[٤]، وصناعة الزجاج[٥] والمجوهرات والخزف والأثاث[٦]. ولذا لم يكن لدى خلفائه ما يفعلونه غير الحفاظ على هذه التقاليد التي ابتدعها، وما أضافوه إليها لا يعدو التعديل والتحسين، ولو أنها فيما بعد سوف تأخذ طابعاً أندلسياً خالصاً. أما في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وخلال عشرات السنين التي تلت حكمه فإن هذا التقليد لم يقدم أي تجديد جوهري، ولكن بقيت الحالة صورة لما كانت عليه في الشرق.[٧]

وبهذا يبدو لنا جلياً أثر المشرق الإسلامي في نشأة الحرف والصناعات الأندلسية، حتى أن البحاثة جورج مارسية يقول: " إننا لا نجد طابع الشرق وسحره عندنا في

---

[١] خليل ابراهيم السامرائي، أثر العراق الحضاري على الأندلس في القرنين الثاني والثالث للهجرة (١٠١-٣٠٠هـ/ ٧٢٠-٩١٢م)، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع٢٧، س١٢، ١٩٨٦. ص١٢٧. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: السامرائي، أثر العراق الحضاري؛ حمودة، تاريخ الأندلس السياسي، ص١٥٠.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١؛ انظر: ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م. ص٦٥، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١؛ بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص٦٤.

[٤] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٩.

[٥] المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٢٨.

[٦] كولان، الأندلس، ص١٧٦.

[٧] بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ص٦٥.

المغرب مقصوراً على هيئة البنيان وزخرفته فحسب، بل نجد أن الفنون الصناعية أيضاً تحمل من سماته الشيء الكثير، وتنم عن تأثرها به "[1].

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في نشأة وتطور الصناعات الأندلسية، رسوخ الحضارة في الأندلس، إذ يرى ابن خلدون (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) أن رسوخ الصناعات في الأمصار، إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها، ويتخذ من الأندلس مثلاً فيقول: " كالحال في الأندلس لهذا العهد، فإنا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها، كالمباني والطبخ وأصناف الغناء واللهو من الآلات والأوتار والرقص، وتنضيد الفرش في القصور، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء، وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجميع المواعين، وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها وعوائده، فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها، ونجد صنائعها مستحكمة لديهم. فهم على حصة موفورة من ذلك، وحظ متميز بين جميع الأمصار، وما ذاك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية، وما قبلها من دولة القوط، وما بعدها من دولة الطوائف إلى هلم جرا. فبلغت الحضارة فيها مبلغاً لم تبلغه في قطر "[2].

وكان لأهل البلاد (من الإسبان) أثر بالغ في نشأة الحرف والصناعات الأندلسية، إذ أن العرب كانوا أبعد الناس عن الصناعات، والسبب في ذلك كما فسره ابن خلدون– أنهم أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها.[3] ولما كان الفاتحون متأخرين في ميدان الصناعة، فإنهم استعانوا في بداية الأمر بالعناصر المحلية لبناء قصورهم ومساجدهم، وصناعة ما تحتاج إليه البلاد، وهكذا احتضن المسلمون حضارة الشعب الإسباني، وشملوا الحرفيين من أهل الذمة برعايتهم، وظل الصناع وأهل الحرف يسيرون في الطريق الذي كانوا يسيرون فيه من قبل[4]، ثم شاركهم المسلمون في حرفهم وصناعاتهم، حتى بلغوا في ذلك درجة كبيرة

---

[1] ليفي بروفنسال، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥١م، ص٣٣، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: بروفنسال، الشرق الإسلامي.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٩٢٦–٩٢٧.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٩٢٩؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٥٩.

[4] سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ٢٥٩–٢٦٠.

من الإتقان والرقي، إذ قيل في وصف أهل الأندلس بأنهم "صينيون في إتقان الصنائع العملية، وإحكام المهن التصورية (الصورية)، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة النصب في تحسين الصنائع، تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها[١].

---

[١] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٢؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٥١.

الفصل الأول

الصناعات النسيجية والجلدية والخشبية

أ. الصناعات النسيجية

١. المنسوجات الحريرية

احتلت صناعة المنسوجات الحريرية مكانة بارزة في المجتمع الأندلسي، وساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعة، إذ اعتنى الأندلسيون عناية فائقة بتربية دودة القز، وزراعة أشجار التوت التي تشكل مصدر الغذاء الرئيسي لها، وقد بذلت المرأة الأندلسية جهداً لا يستهان به في هذا المجال، فكانت تساعد في تحضين ورعاية بيض دود الحرير من شهر شباط إلى أن يفقس في شهر آذار من كل سنة[١]، وذلك في مراكز مختلفة من الأندلس.

وحظيت مدينة المرية (Almeria) بشهرة واسعة في صناعة المنسوجات الحريرية، فإليها انتقلت صناعة الحرير التي ازدهرت في بجانة (Pechina) في القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين[٢]. كما ورثت أيضاً قرطبة (Cordaba)، التي اشتهرت بصناعة الوشي والديباج، وذلك بعد سقوط الخلافة الأموية واضمحلال قرطبة في عصر الفتنة؛ فالمرية كان " يعمل بها الوشي والديباج فيجاد عمله، وكانت أولاً تعمل في قرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يتقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية "[٣].

واشتهرت قرطبة بصناعة الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية السميكة[٤]، إضافة إلى أجود أنواع الثياب المتخذة من جيد الخز والقز[٥].

ويقال إنه كان يعمل بها عدد كبير من عمال النسيج والحياكة[٦]، مما جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر يفتخر بما يحاك له في بلد الأندلس من الخز والوشي وأصناف

---

(١) القرطبي، تقويم قرطبة ، ص٤٩، ٦٣؛ أحمد مختار العبادي، الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية؛ ضمن كتاب (دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون) منشورات ذات السلاسل، ط٢، الكويت ١٩٧٦م. ص٣٦٣، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: العبادي، الحياة الاقتصادية.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ١٩٨٤، ص١٥٥، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٩؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٥٥.

(٤) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٥٤.رواية: (الرازي).

(٥) الخز: صنف من الحرير تتخذ منه ثياب متينة، وقد سمي الحرير نفسه خزا. ابن الحشا، مفيد العلوم، ص٤٢.

الثياب، حتى أنه استغنى بذلك عما كان يجلب إليه من المشرق الإسلامي[٢]. وقد أشاد ابن حوقل الذي زار الأندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بأنسجة الحرير والديباج والأندلسية، ذاكراً تفوق الأندلس على العراق من حيث الكمية المنتجة وجودة المصنوعات[٣]. واشتهرت (المرية) بصناعة المنسوجات الحريرية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، فقد ذكر ابن سعيد نقلاً عن ابن فرج أنه " حدث فيها من صنعة الوشي والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخز، وجميع ما يعمل من الحرير، ما لم يبصر مثله في المشرق ولا في بلاد النصارى "[٤]. كما أشار الرازي (٣٤٧هـ/ ٩٥٨م) إلى تقدم هذه الصناعة بالمرية وتفوق أهلها على غيرهم من أهل الأندلس، فذكر أن " المرية مفتاح الرزق والكسب وموطن الحذاق من أصحاب الصناعات " وأن في داخل أسوارها الحاكة والنساجون الذين برعوا في حياكة الثياب الحريرية الموشاة بالذهب[٥]. وكانت هنالك مدن أخرى تشاركها هذه الصناعة مثل لقنت (Alicante)، وإشبيلية (Sevilla)، وغرناطة (Granada)، ومالقة (Malaga)، وفي هذه الأخيرة كانت تصنع أشد أنواع السَّرَق (الحرير الأبيض) إرهافاً، ومنها كان ينقل إلى سائر أنحاء الأندلس[٦].

=

[١] قيل إن عدد النساجين بلغ في مدينة قرطبة وحدها مائة وثلاثين ألفاً، وقيل إن عددهم بلغ ثلاثة عشر ألفاً: علي الجارم، قصة العرب في إسبانيا، مترجم عن (Stanley Lane-Poole)، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م. ص١٢٨، سيشار له فيما بعد: الجارم، قصة العرب في إسبانيا؛ جاك، س.رسيلر، الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت)، ص١٥٣، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: ريسلر، الحضارة العربية.

[٢] القاضي، النعمان بن محمد (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، المجالس والمسايرات، تحقيق، الحبيب الفقي وآخرون، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٨.ص١٨٠، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: القاضي النعمان، المجالس والمسايرات.

[٣] ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٩.

[٤] ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٩٣-١٩٤؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٥٦.

[٥] Leonard Williams , The Arts and Crafts of Older Spain, III, Chicago 1908,P3-4؛عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٥٦.

[٦] Williams , The Arts and Craftes,III.P.4.

وازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في مدينة (المرية) خلال العصر المرابطي، حيث أنها احتلت مكان الصدارة في هذا المجال، وتقدمت على سائر المدن الأندلسية، فاحترف معظم سكانها صناعة النسيج والحياكة[1] وكان يعمل بها من الحرير ما يفوق ما يصنع في غيرها جودة وإنتاجاً[2]. ويقال إنه كان يوجد بها نحو ثمانمائة نول كانت معدة لنسيج طرز الحرير[3]. وتشير رواية أخرى إلى وجود حوالي خمسة آلاف وثمانمائة نول في المرية[4] كانت مخصصة لصناعة المنسوجات الحريرية بأنواعها المختلفة، ومن جملة هذه المنسوجات (الحلل الموشية النفيسة، والديباج الفاخر، والسقلاطون، والأصبهاني (الأصفهاني)، والجرجاني، والستور المكللة*. والثياب المعينة*، والخمر*، والعتّابي*، والمعاجر المذهبة)[5].

ونلاحظ مما سبق أن صناعة النسيج في (المرية) تأثرت إلى حد كبير بالمنسوجات المشرقية التي ذاعت شهرتها في أنحاء العالم الإسلامي، فكانت تصنع

---

(1) الزهري، الجعرافية، ص١٠٢.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٧٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٢.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٨؛ محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، منذ إنشائها حتى إستيلاء المرابطين عليها، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية، ١٩٨١. ص٢١٢، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية.

(4) ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٣؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٣٧.

* الستور المكللة: أقمشة من الحرير خفيفة رقيقة تزدان بزخارف نباتية وأزهار تشبه الأكاليل. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٥٨.

* الثياب المعينة: نسيج من الكتان أو القطن يزدان بترابيع صغيرة على شكل معينات.المرجع نفسه، ص١٥٨.

* الخمار: ما تغطي به المرأة على رأسها، وجمعه أخمرة وخمر. ابن منظور. لسان العرب، ج٤، ص٢٥٧.

* العتابي: وهي الثياب العتابية المشهورة، وكانت تصنع في محلة العتابية في الجانب الغربي من بغداد وتنسب إليها وهي ثياب من خيوط القطن والحرير. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٠٢.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٢؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٤؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٤-٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٨؛ أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص٢١٢.

بالمرية أقمشة حريرية على مثال الأقمشة المصنوعة في بغداد، وجرجان[١]، وأصفهان، إضافة إلى أقمشة السقلاطون الحريرية المطرزة بالذهب التي اشتهرت في الأصل ببلاد اليونان ثم انتشرت صناعتها في المد الإسلامية شرقاً وغرباً[٢]. أما الحلل، فنسيج حريري اختصت المرية بصناعته حيث كان يعمل بها " الحلل الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان "، وكان هذا النسيج يحلى بخيوط ذهبية، ولذلك أطلق عليه اسم (الحلل الموشية)[٣]. والديباج من المنسوجات الحريرية السميكة، وكان يصنع من خيوط الحرير لحمة وسدى، وقد تدخل في نسجه خيوط الذهب[٤]. وتجدر الإشارة إلى ازدهار صناعته في (المرية) خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين، فقد كان يعمل بها " الديباج المحكم الصنعة مثل المرنجات المعروفة بالعداديات، وثياب السندس الأبيض، وهو ديباج أبيض كله، لا يخفى على أحد من صناعته شيء "[٥]، وتنوعت المنسوجات الحريرية في مدينة المرية، إذ كان يصنع فيها الوشي والسقلاطون والبغدادي، وغير ذلك من أجناس الديباج، ومنها كان يصدر إلى جميع الآفاق[٦].

وتركزت صناعة المنسوجات الحريرية في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني والثالث عشر الميلاديين في كل من مالقة والمرية ومرسية (.Murcia) وفي هذه المدن الثلاث برع صناع النسيج في حياكة " ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة " التي يتعجب من حسن صنعتها المشارقة إذا رأوا منها شيئاً[٧]. وقد اختصت مالقة والمرية بصناعة الحلل الموشية النفيسة ذات الصور العجيبة التي تتجاور أثمانها آلاف الدنانير، وكان هذا النوع من المنسوجات ينتج برسم الخلفاء وكبار رجال الدولة

---

(١) جرجان: مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان. البغدادي، مراصد الإطلاع،ج١، ص٣٢٣ .

(٢) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٥٦-١٥٥؛ أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص٢١٥-٢١٦؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٣١.

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٥٧.

(٤) عبد العزيز سالم،تاريخ مدينة المرية، ص١٥٧.

(٥) كانت ثياب السندس تصدر إلى الهند. انظر، الزهري، الجعرافية، ص٣١، ص١٠١.

(٦) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣-٢٨٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٢.

(٧) ابن سعيد، الجعرافيا، ص١٤٠؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص٧٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١: رواية: (ابن سعيد).

خاصة[١]. وتنوعت في مرسية أصناف الحلل والديباج[٢]، ومنها كانت تجهز العروس التي " تنتخب شورتها لا تفتقر في شيء من ذلك إلى سواها ". وكانت تحتل المركز الثالث بعد المرية ومالقة في صناعة الوشي[٣]. كما اختصت غرناطة وبسطة (Baza) بصناعة نوع من الملابس الحريرية عرف في الأندلس باسم " الملبد المختّم ذي الألنوان العجيبة "[٤].

وكان الصناع يزينون إنتاجهم هذا بالزخارف الهندسية وصور الحيوانات الخرافية، ومن القطع الحريرية التي تنسب صناعتها إلى الأندلس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي قطعة مزخرفة بأزواج من الطواويس والحيوانات المتقابلة، وتفصلهما شجرة الحياة[٥].

ويلاحظ مما سبق ازدهار صناعة المنسوجات الحريرية في الأندلس خلال العصر الموحدي رغم تورع الموحدين عن ارتداء الملابس الغالية الثمن المصنوعة من الحرير والديباج المطرز[٦]. وتجدر الإشارة إلى استمرار صناعة المنسوجات الحريرية في المدن الأندلسية التي سقطت في أيدى النصارى الإسبان حيث عمل الحكام المسيحيون على تشجيع رعاياهم من المسلمين على الاستمرار في هذه الصناعة، فقد منح الفاتح خايمة سنة (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) إلى عربي اسمه علي وإبنيه محمد وأبي قارون أن يصنعوا الحرير في مدينة شاطبة (Jativa) التابعة لمملكة بنلسية[١]. وكانت صناعة

---

[١] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٨-٥٩؛ المقري، نفح الطيب، مج٣،ص٢٢٠. رواية: (الشقندي)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٩.

[٢] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٤٥: رواية (محمد بن عبد الله بن ابراهيم الحجاري في كتابه المسمى المسهب في غرائب المغرب).

[٣] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٩؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢٢١: رواية (الشقندي).

[٤] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١. رواية: (ابن سعيد)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٩.

[٥] عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص٣٠٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٩.

[٦] ابن خلدون، المقدمة، ج٢ ،ص٨١٧؛ هشام أبو رميلة، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان: عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٤م. ص٣٣٩، سيشار له فيما بعد: أبو رميلة، علاقة الموحدين.

الحرير في مدينة شاطبة (Jativa) التابعة لمملكة بنلسية[١]. وكانت صناعة الحرير مزدهرة في مدينة طليطلة (Toledo) بفضل الصناع المسلمين الذين بقوا فيها عقب سقوطها بيد الإسبان عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)[٢].

وفي عصر بني الأحمر تقدمت صناعة المنسوجات الحريرية في مملكة غرناطة تقدماً كبيراً، وتعددت مراكز انتاجها، فاشتهرت مالقة[٣] والمرية ودلاية (Dalias) ووادي آش (Guadix) وسهيل (Fuenjerola) بهذه الصناعة، وفي الأخيرة بالذات كان يصنع نوع خاص من الحرير للنساء، تفضله أميرات غرناطة وحريمها[٤]. وتفردت غرناطة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع والخامس عشر الميلاديين بصناعة نوع من المنسوجات الحريرية الموشاة، تتكون زخارفة من أشرطة بها زخارف نجمية ونباتية وطيور وزخارف كتابية، وأطلق على هذا النوع من الزخارف " طراز الحمراء "، وذلك لتشابه زخارفه مع خزف الحمراء[٥].

وكانت ثياب الخز والمنسوجات الحريرية الرائعة تنسج في أندرش (Andarax) ونارجه، وتصدر إلى المغرب ومصر، وإلى الأمراء المسيحين بشبه الجزيرة، ولقد كثرت في المدونات المسيحية الإشارات إلى إنتاج مالقة للديباج والوشي عندما أكدت زيادة عدد سفن قشتالة المبحرة لمالقة سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) وعودتها محملة بمنسوجات الحرير الموشى[٦].

---

(١) Williams , The Arts and Crafts , III, P5-6

(٢) محمد عبد الحليم رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائق، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت)، ص٤٧٠-٤٧١، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبد الحليم رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية.

(٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٥٩، ٧٧؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٦١.

(٤) محمد شبانة، يوسف الأول بن الأحمر، سلطان غرناطة، لجنة البيان العربي، ١٩٦٩ك. ص١٩١، سيشار له فيما بعد: محمد شبانة، يوسف الأول؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص١٦١.

(٥) عز الدين فرّاج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص٣٠٩-٣١٠.

(٦) عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ٢٨٠ ؟!.

وقد استمرت مصانع المنسوجات الإسلامية بإسبانيا المسيحية بإنتاج المنسوجات الحريرية الغرناطية، كالملاحف والخمر والملابس المتنوعة المختلفة الألوان(١). وتتميز الملابس الغرناطية بتصميم خاص؛ فهي ذات ألوان زاهية، أهمها والأساسي المستعمل منها الأصفر الذهبي والأزرق والأسود والأحمر والأبيض، وتوجد بقايا من هذه الملابس في كل من سان سبستيان (San Sebestian) بـأنتقيرة (Antequira)، ومتحف الفن بقطلونية (Catalonia)، ومعهد دون خوان دي مدريد" (Inestiiuto de Don Juad de Madrid) بمدينة بلنسية (Valencia)(٢) ومن الجدير بالذكر أن المدن الإيطالية التي اشتهرت بصناعة الحرير في العصور الوسطى، نقلت عن الأندلسيين معظم فنونهم وطرائقهم في هذه الصناعة المربحة، وكان مدينة فيرنتزا (فلورنس) تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة حتى أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي(٣).

٢. المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية

اشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية، حيث توافرت المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة في مناطق الأندلس المختلفة. وكان لوجود العمال والصنَاع المهرة، الذين تخصصوا في مثل هذا النوع من الصناعة أثر بالغ في تطورها وتقدمها في الأندلس، إذ احترف بعضهم، وبخاصة النساء، صناعة غزل القطن والكتان والصوف. وكان للغزالين يعرف واحدهم بالغزّال أماكن خاصة في الأسواق الأندلسية(٤)، مما هيأ المادة الخام اللازمة لتلك الصناعة، فبرع النساجون في صنعها لتنسب الأذواق المختلفة.

---

(١) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٨٢؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٨٠-٢٨١.

(٢) محمد شبانة، يوسف الأول، ص١٩١.

(٣) عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين " وهو العصر الرابع من كتاب الإسلام في الأندلس "، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م"، ص٤٤٧، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عنان، نهاية الأندلس.

(٤) ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت في النصف الأول من ق ٦هـ/ ١٢م) رسالة في القضاء والحسبة، منشور ضمن (ثلاث أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب) تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ /، ص٥٥، ٦٠، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن عبدون، =

وتفردت مدينة إشبيلية بصناعة المنسوجات القطنية، وامتاز إنتاجها بالوفرة والجودة العالية، وكان الفائض منه يصدر إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب(١). وازدهرت صناعة المنسوجات الكتانية في الأندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وكانت هذه المنسوجات تتألف من الأكسية والثياب الفاخرة(٢)، والأبنية المختلفة الأشكال، كالقباب* والهوادج والأخبية(٣)، وذكر ابن الخطيب: أنه كان يصنع من الأخبية في عهد المنصور بن أبي عامر ما يتجاوز ثلاثة آلاف خباء كعدة للجند في كل عام، هذا عدا ما كان يصنع للسلطان خاصة، ولكبار خدمه وغلمانه(٤). وكانت الأخبية تستخدم لتلبية حاجة الجند في حلهم وترحالهم، ومما يؤكد ذلك أن الحاجب المنصور حمل معه في صائفة سنة (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) " أربعمائة واثنين وعشرين خباء " ومائة وسبعة وسبعين خباءً من الأخبية المعروفة بالفرود "(٥).

ومن أهم المراكز التي اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلبيرة (Elvira) و(٦) وقرطبة(٧) ولاردة(١) (Lerida)

=

في القضاء والحسبة؛ ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله (ت في النصف الأول من ق ٦ هـ/ ١٢م)؛ رسالة في آداب الحسبة والمحتسب) منشور ضمن (ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب) تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٥م، ص٨٧. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب؛ القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج٣، تحقيق: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، (د.ت). ص٤٠٤، رواية: (الرازي)، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٣٣٣.

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٩٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢١.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٧؛ الزهري، الجعرافية، ص١٠٢.

* القبة: من الخيام بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص٦٥٩.

(٣) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٠-٤١. رواية: (عيسى بن أحمد الرازي)؛ انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٨١٨-٨١٩.

(٤) أعمال الأعلام، ص١٠١، رواية: (ابن حيان).

(٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٤.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ١٠٨.

وطليطلة[2]، وبجانة. وهذه الأخيرة اختصت بصناعة الأردية والثياب الفاخرة التي كانت تضاهي بجودتها الأثواب الديبقية المصرية، مما جعلها تنال شهرة واسعة نقلتها إلى أسواق مصر ومكة واليمن[3].

وكانت المنسوجات الكتانية المصنوعة في المراكز المذكورة، مما يهادي به الخلفاء، ومن ذلك هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن أبي العافية سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، وكانت تتضمن أربعين شقة من " شقاق الكتان المتوسط لكسوة رجاله "، ومائة شقة من " الشقاق دون المتوسطة لكسوة رجاله "[4]. وهديته لزعماء القبائل البربرية سنة (٣٢٦هـ/ ٩٣٧م) وكانت تتضمن ثلاثين شقة من شقاق الكتان. وثلاثين رداءً من أردية الكتان المعلمة[5].

وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي قامت في باجه (Beja) والمناطق التابعة لها صناعة كتانية متخصصة[6]. بينما ازدهرت هذه الصناعة في حصن بكيران في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، فكانت تصنع به الثياب الكتانية البيضاء التي تباع بالأثمان الغالية، وهي من "أبدع الثياب عتامة ورقة، حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد في الرقة والبياض"[7].

كما ازدهرت صناعة الكتان في مدينة بلنسية (Valencia)، وامتازت منسوجاتها بالجودة العالية[8]، وكانت تصدرها إلى أقطار المغرب الإسلامي[1]. وترتب على

=

[1] الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٧.

[2] القاضي، عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ٤٢٤.

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٩.

[4] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٨٩.

[5] المقصود هنا زعماء القبائل البربرية في المغرب الذين أعلنوا الولاء والطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر. ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٤٢٧.

[6] كانت صناعة الكتان مزدهرة في باجة في أيام بني عباد خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ولكنها اختفت في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بسبب التغير الذي طرأ على مناطق زراعة الكتان. انظر: المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٩؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩١.

[7] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٧.

[8] الزهري، الجعرافية، ص١٠٢.

ازدهار هذه الصناعة في بلنسية قيام بعض الحرف المساعدة، كحرفة القصارة[٢] حيث كانت الثياب الغالية من الكتان تقصّر فيها[٣]. ويختص القصارون بمعالجة الثياب، وذلك بغسلها ودلكها وتليينها وتبييضها بعد خروجها من المناسج، وكانت هذه العملية تتم في العادة بالقرب من ضفاف الأودية والأنهار[٤].

واشتهرت صناعة الصوف في الأندلس، بفضل كثرة المراعي المنتشرة في سفوح الجبال والأودية، ووفرة المواشي والأغنام التي تربي عليها، مما هيأ مورداً هاماً من مادة الصوف الخام اللازمة لتلك الصناعة[٥]، فبرع الصناع في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين بحياكة أرقى المنسوجات الصوفية، التي تفوقت بجودتها على المنسوجات الأرمنية[٦]، وكانت أسرجة الخيول التي تصنع من الصوف هي الأرقى من نوعها في العالم الإسلامي، إذ كانت تتراوح أثمانها ما بين الخمسين والستين ديناراً، ويبدو أنها كانت تصنع من خيوط الصوف، وتزين بالذهب والفضة فالأندلسيون "لم يساوهم في أعمال لبودهم[٧] أهل بلد على وجه الأرض، وربما عمل لسلطانهم لبود ثلاثينية يقوّم اللبد منها بالخمسين والستين ديناراً، غير أنه قد جعل عروضها خمسة وستة أشبار فهي من محاسن الفرش"[٨].

=

[١] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٩؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢٢١: (رواية الشقندي).

[٢] القصار: هو الذي يجور الثياب أي يبيضها، وحرفته القصارة. ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٢٤.

[٣] الزهري، الجعرافية، ص١٠٢.

[٤] ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٢٤. زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١٢٣.

[٥] انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجعرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، مدريد، ١٩٨٦م. ص٣٧٥، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: حسين مؤنس، تاريخ الجعرافية.

[٦] ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٩.

[٧] اللبود: كل شعر أو صوف ملتبد بعضه على بعض فهو لبد، والجمع ألباد، ولبود. واللبد: ما تحت السرج، ويقال: ألبد السرج إذا عمل له لبده. وفي الأفعال: لبدت السرج والخف لبداً وألبدتهما: جعلت لهما لبداً. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٨٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص١٢٨.

[٨] ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٩؛ Imamuddin , The Ecomomic History of Spain.P .212

وعرف الأندلسيون صناعة أنواع الملابس الصوفية المختلفة، ومن جملـــة ذلـك الممطر؛ وهو نوع من الثياب يرتدي للتوقي من المطر[١]، وقد أهدى الأمير عبد الرحمن الأوسط ثوباً من هذا النوع إلى عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي، وهو منجمه الخاص ليتوقاه من بلل الأمطار[٢]. والثياب القلقشانية؛ وهي " مخترعة الصنعة غريبة العمـل " وكانت تصنع في مدينة قلشانة (Calsena) التابعة لكورة شـذونة[٣]. وثيـاب الملـف[٤] المتخذة من الصوف، وكانت شائعة الاستعمال في الأندلس، وبخاصة في غرناطة، حيـث كان يرتديها الناس في الشتاء.[٥] وتعد مدينة شقوبية[٦] (Segovia) من أشهر المراكـــز التي اختصت في صناعة الملف على اختلاف أنواعه وألوانه[٧].

واتخذ الأندلسيون من أصواف الحيوانات وأوبارها[٨] ملابس الفراء لتقيهم من برد الشتاء القارس، فبرع الفراؤون في نسج الثياب الفاخرة من فراء القنليات[٩]. وكانت هـذه الثياب تستخدم على نطاق واسع من قبل المسلمين والنصارى، ويبدو أن الكميات المنتجـة منها كانت تزيد على حاجة السوق المحلي، ولذا كان الفـائض يصـدر إلـى الأسـواق الخارجية وبخاصة أسواق سبتة وتونس[١٠].

---

[١] الممطر: ثوب يرتدي للتوقي من المطر وهو معمول من الصوف، ويكون رأسه منه ملتصق به. انظـر: ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٦٠؛ رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العـرب، ترجمة أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة مديرية مطبعة الحكومة بغداد، ١٩٧١.ص٣٢٩. سيشار له فيما بعد: دوزي، المعجم المفصل.

[٢] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ١٢٦-١٢٧.

[٣] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٢-١٦٣.

[٤] الملف: وهي ثياب حسنة العمل من الصوف، الزهري، الجعرافية، ص٧٦.

[٥] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٠ .

[٦] شقوبية: بالأندلس، وهي ليست بمدينة، إنما هي قرى كثيرة متجاورة متقاربة متلاصقة متداخلة العمـارات، فيها بشر كثير، بينها وبين طليطلة مائة ميل. الحميري، الروض المعطار، ص٣٥٠.

[٧] المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٣٣ .

[٨] الوبر: صـوف الإبل والأرانب والثعالب والفنك والسمور ونحوها، والجمع أوبار، انظر: ابـن منظـور، لسان العرب، مج٥، ص٢٧١.

[٩] القنلية: حيوان أدق من الأرنب وأطيب في الطعم وأحسن وبراً، وكثيراً ما تلبـس فراؤهـا، ابـن عبـد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٨.

[١٠] المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٨، رواية: (ابن سعيد).

وكانت الثياب التي تعرف باسم " أبو قلمـــون "[1] تنســج فـــي مدينـــة شـــنترين (Santarem) في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وهي ثياب رفيعة القدر تمتاز بالجودة والمتانة، وتنسب إلى حيوان بحري يدعى (أبو قلمون) كان يخرج من المحيـــط الأطلسي إلى ساحل شنترين، فيحتك بالصخور على شط البحر، فيسقط من جسمه " وبــر في لين الخزلونة لون الذهب لا يغادر منه شيئاً، وهو عزيز قليل، فيجمع وتنســـج منـــه ثياب فتتلون في اليوم ألواناً ". وكانت هذه الثياب تنسج للملوك والخلفاء خاصة.

وقد احتكر " ملوك بني أمية " هذه الثياب لأنفسهم ومنعوا بيعـــها فـــي الأســـواق الأندلسية أو تصديرها خارج البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن قيمة الثـــوب الواحـــد منـــها كانت تزيد على ألف دينار نظراً لعزتها وحسنها[2]. وقد أشار ابن خلكان (ت٦٨١هـــــ/ ١٢٨٢م)، إلى حسنها وجمال صنعتها وجودة إتقانها بقوله: " وحكى لي بعض الفضـــلاء من أهل الأندلس أنه رأى قطعة من هذه الثياب هناك، وأراد أن يصفها لي فما قـــدر أن يعبر عنها، ثم قال: لكنها أرفع وأنعم من نسج العنكبوت "[3].

وانفردت مدينة سرقسطة (Zarahgoaz) في القرنين الخامس والسادس الـهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلاديين، بصناعة ثياب السمّور؛ وهي الثياب الرقيقـــة الفـــاخرة المتقنة الصنع، التي لا تضاهيها أية صناعة مماثلة في العالم الإسلامي آنـــذاك، إذ إنـــها حظيت بشهرة واسعة نسبتها إلى سرقسطة، فكانت تعرف (بالثياب السرقسطية)[4]. وقـــد أشاد العذري (ت٤٧٨هـــ/ ١٠٨٥م) بهذه الصناعة وذكر أنها " لا تحكى في أفق مـــن

(١) أبو قلمون: ضرب من ثياب الروم يتلون ألواناً للعيون، وقيل: ثوب يتراءى إذا طلعت الشمس عليه بألوان شتى. ابن منظور، لسان العرب، مج١٢، ص٤٩١.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٤٠-٢٤١؛ الإصطخري، مسالك الممالك، ص٤٢؛ الإصطخري، الأقـــاليم، ص٢٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١٣٨، رواية: (ابن حوقل في كتـــاب المســـالك والممـــالك)؛ القزويني، آثار البلاد، ٥٤٢؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٢٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٧، ص١٣٨.

(٤) السمّور: حيوان بري عيشه من الحوت والسمك النهري، يتخذ من جلودها فـــراء غاليـــة الأثمـــان. ابـــن منظور، لسان العرب، مج٤، ص٣٨٠؛ ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص٣٠-٣١.

الآفاق "[1]. ومما يذكر أن السمور الذي يعمل من وبره الفراء الرفيعة القدر كان يجلب إلى سرقسطة من جزيرة بريطانية[2].

٣. البسط والسجاد

ازدهرت صناعة البسط والسجاد في الأندلس، بفضل المسلمين الذين أدخلوا إليها هذه الصناعة من المشرق الإسلامي بعد الفتح، إذ لم يكن لإسبانيا قبل الفتح الإسلامي سابق معرفة بالسجاد صناعة أو استخداماً بالرغم من تاريخها الطويل، وما ازدهر فيها من فنون خلفت مباني عظيمة وتحفاً جميلة رائعة، تشهد بالتقدم الفني لهذه البلاد منذ أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي[3].

ولم يصل إلينا ما يدل على أن أهل إسبانيا قد كانوا على علم بصناعة السجاد قبل الفتح، بل إن أوروبا لم تعرف السجاد إلا بعد أن عرفته إسبانيا ونقلته عنها، وكان ظهور السجاد الإسباني في لندن عام (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) في احتفال عقد قران (ليونور) القشتالية على (إدوارد الأول) ملك إنجلترا مثار دهشة عظيمة بين أهلها، بعد أن فرشت طرقات القصر والحجرة المخصصة للأميرة بالسجاد. ويذكر أن كثيراً من السجلات الأوروبية وبخاصة في فرنسا تنسب السجاد إلى إسبانيا[4].

وقد شاع استخدام الصوف في صناعة البسط والسجاد، كما نجد شعر الماعز أيضاً ولكن بدرجة قليلة جداً. أما الحرير فقد ندر استخدامه. وفي السجاد الفاخر كان الحرير يمتزج بالصوف[5].

وكانت البسط والسجاد تستعمل لأغراض مختلفة. فهناك ما يفرش منها على الأرض، وهي إما مستطيلة تسمى (نخ والجمع نخاخ)[6] أو كبيرة وتسمى (البسط)[7].

---

(١) العذري: ترصيع الأخبار، ص٢٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٧-٢٨٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢١٢ ٢١٣.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٢٢.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٧: رواية: (الحجاري في المسهب).

(٤) جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد في إسبانيا، ص٥٨؛ جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص١٨١.

(٥) جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص١٨٥.

(٦) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٥٥؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٠٤.

(٧) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٠٤.

والبعض منها يعلق على الجدران للزينة ويسمى (الأنماط أو الزرابي والحياطي)[1]. وهناك نوع خاص يستعمل للصلاة ويسمى (السجاد أو المصلى).[2]

ولقد اشتهرت أكثر من مدينة بصناعة البسط والسجاد في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي والثاني عشر الميلاديين، مثل تدمير (Tudmir) وأعمالها[3] وجنجالة[4] (Chinchilla) التي ينسب إليها الوطاء الجنجالي لشهرتها به[5].

وكان يصنع في كونكة[6] (قونكة Cuenca) من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة[7] واشتهرت مرسية[8] وتنتالة التابعة لها، بصناعة البسط الفاخرة الغالية الثمن، التي كانت تصدر إلى بلاد المشرق الإسلامي[9]. واختصت بسطة بصناعة البسط من الديباج، وإليها تنسب المصليات البسطيّة[10].

وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي اختصت مدينة ألش بصناعة البسط الفاخرة، إذ برع الصناع في حياكتها لتناسب رغبات الناس واحتياجاتهم[11].

---

(1) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٠٤؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٠٤.

(2) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ٤١٢؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٠٤.

(3) العذري، ترصيع الأخبار، ص٩.

(4) جنجالة: ويقاله لها شنتجالة، تقع في طرف كورة تدمير بالأندلس مما يلي الجوف، وتبعد خمسين ميلاً عن مرسية. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص١٦٠؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس ن ص١١٢.

(5) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٨٩؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٩٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٢.

(6) كونكة: مدينة بالأندلس من أعمال شنتبرية. وهذه الأخيرة تقع شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر التاجة. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٤١٦؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٨٠ ؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج٢، ص٨١٥، ج٣، ص١١٣٤.

(7) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢ ، ص٣٣.

(8) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٢؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢٢١: رواية الشقندي.

(9) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١. رواية: (ابن سعيد) .

(10) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٢٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص١١٣.

(11) القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص١١١؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١١٧.

ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اشتهرت بصناعة البسط والسجاد ينشته (Iniesta)[١]، وبلانة وقرطبة والمرية وغرناطة[٢]. ونلاحظ مما سبق تركز صناعة البسط والسجاد في المناطق الشرقية من الأندلس، ومما يؤكد ذلك أن الخليفة المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٩٨) طير إلى شرق الأندلس يأمر بنسج كساء وفرش جامع القيروان لما أراد تعميره[٣]. ويبدو أن سبب شهرة المناطق الشرقية بهذه الصناعة يرجع إلى إسكان المصريين في تلك المناطق، حيث علّموا أهلها صناعة السجاد، وذلك عندما أنزلهم الوالي أبو الخطار حسام الدين بن ضرار الكلبي في إقليم (تدمير مرسية) سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٢م)[٤].

وكانت البسط والمصليات من بين الهدايا الثمينة التي تقدم للخلفاء، ونذكر على سبيل المثال هدية ابن شهيد للخليفة عبد الرحمن الناصر، التي اشتملت على ثلاثين بساطاً من الصوف منتقاة مختلفة الألوان والصناعات، طول كل بساط منها عشرون ذراعاً. ومائة مصلى من وجوه الفرش مختلفة الصناعات، من جنس البسط. وخمسة عشر نخاً من عمل الخز المقطوع شطرها، وسائرها من " جنس البسط الوجوه "[٥].

وكان السجاد الثمين يفرش ويعلق في قصور الخلفاء والأمراء لإظهار روعتها وجمالها. فيذكر مثلاً أن مجلس الطعام في قصر المأمون بن ذي النون[٦] قد " فرش

---

[١] ينشته: حصن من حصون الأندلس على نحو مرحلتين من جنجالة. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٨.

[٢] جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد، ص٥٨؛ جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص١٨٢.

[٣] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي،ص٢٢١ ٢٢٢.

[٤] جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، ص٥٩؛ جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص١٨٤.

[٥] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج٤، ق٢، دار الكتب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص٣٠٠، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن خلدون، العبر. المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ج٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠. ص٢٦٢-٢٦٣، سيشار له فيما بعد: المقري، أزهار الرياض؛ انظر كذلك: المقري، نفح الطيب، مج١، ص٣٥٨. رواية: (ابن الفرضي، وابن خلدون).

[٦] هو أبو الحسن يحيى المأمون بن اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون (٤٢٩-٤٦٧هـ/ ١٠٣٧-١٠٧٤م) من أشهر ملوك طليطلة في عهد الطوائف. انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام،

=

بالوطاء التستري، وعلقت على أبوابه وحناياه ستور الطميم (القماش الثقيل) المثقلة ذات الصور المقيدة للألحاظ "، كما فرش مجلس الوضوء " بوطاء الوشي المرقوم بالذهب، وعلقت فيه ستور مثقلة مماثلة "[١].

وقد قام الصناع المسلمون بدور المعلم لمن أراد من الإسبان تعلم صناعة السجاد، وظلوا كذلك حتى بعد زوال الحكم الإسلامي نهائياً من إسبانيا. ولذا انتقلت صناعة البسط والسجاد إلى مدن إسبانية متعددة، فاشتهرت كل من الكرز وليانور وبلنسية وسلمنكة ومدريد، بإنتاج أنواع معينة من السجاد[٢]، وفي مدريد بالذات كانت تنسج الزرابي والحياطي التي تعلق على الجدران، وكانت تزخرف بصور البشر على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وثيابهم وهيئاتهم، وبصور الحيوانات البرية والبحرية، إضافة إلى أوراق الأشجار على اختلاف أنواعها وألوانها[٣]. ومما يدل على مبلغ الأثر الإسلامي في هذا الشأن استخدام كثير من الألفاظ العربية للدلالة على السجاد في اللغة الإسبانية، فقد ظل لفظ القطيفة والطنفسة مستخدماً في غرناطة بمعنى السجاد بعد زوال الحكم الإسلامي عنها، كما اقتبس اسم الحمرة (Alfombra) وزربية (Garbia) للدلالة على السجاد[٤].

هذا، وقد كان الأندلسيون يصنعون من لحاء الأشجار وغصونها[٥] الحصر والحبال والأطباق والسلاسل والمكانس. وكانوا ينسجون من لحاء الحلفاء خاصة، قفاف الخدمة المعروفة بـ (الردامي)، ومساور التين، وشيرات الخوابي

=

(١) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ق٤، مج١، دار الثقافة، بيروت لبنان، ١٩٧٩م. ص١٣٠-١٣١، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن بسام، الذخيرة. ص١٧٧ ١٧٨.

(٢) جمال محرز، فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، ص٨٥؛ جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص١٨٣.

(٣) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٠٤-١٠٥.

(٤) جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص١٨٣.

(٥) مثل خوص النخيل والسمار والدوم والأسل والخيزران وغيرها. انظر: الزبيدي، لحن العوام، ص٥٤؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٧٠-١٧١؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٣٠-٣٣١.

والمساور، وشيرات اللوز، وأغشية خوابي التين وأحمال الزبيب، وأحبل السفن[١].

وبرعوا في صناعة الحصر، وقد أطلق على محترف هذه الصناعة اسم " الحصّار "[٢].

وكانت مرسية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، تنتج نوعاً من الحصر التي تزين بها الحيطان، نظراً لجودة صنعتها وجمال منظرها وتناسق ألوانها[٣].

ب. الصناعات الجلدية

كان لوفرة الأغنام والأبقار وأصناف الماشية الأخرى أثر بالغ في ازدهار الصناعات الجلدية في الأندلس في العهد الإسلامي. وكان الجلد في أول مرحلة من تصنيعه يخضع لعملية أخذ ما عليه من صوف أو شعر، ولذا أطلق على محترفي هذه الصناعة اسم الصوّافين (ويعرف واحدهم بالصوّاف)[٤] والشعّارين (ويعرف واحدهم بالشعار)[٥] وقد استخدم هؤلاء مواد مساعدة على تعين على نتف الصوف والشعر من الجلد بسهولة مثل مادة الجير والشب[٦].

وبعد أن تجهز الجلود تأتي المرحلة الثانية، وهي عملية دباغة الجلود، التي كانت تتم في العادة خارج أسوار المدن[٧] لما ينشأ عنها من روائح كريهة، وكان الدباغون يستعملون القِرمز والشب والبقّم والزعفران ومواد نباتية أخرى في عملية الدباغة[١].

---

[١] السقطي، في آداب الحسبة؛ ص٦٤-٧١ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤١.

[٢] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسب، ص١٠٢؛ الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس (ت في النصف الأول من ق ٦ هـ/ ١٠م)، رسالة في الحسبة، منشورة ضمن " ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب "، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٥٥م، ص١١٢. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الجرسيفي، في الحسبة.

[٣] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٩؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢٢١؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٢٢.

[٤] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٨٣؛ عبد القادر زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، ع١٤-١٥، ١٩٨٠-١٩٨١. ص٤٦٨، سيشار له فيما بعد: زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية.

[٥] زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية، ص٤٦٨.

[٦] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٠؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٦٥.

[٧] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٢٩؛ زمامة، فاس وصناعاتها التقليدية، ص٤٦٨؛ Imamuddin , The Economic History of Spain P.193.

والدباغة من الحرف الأساسية في الصناعة الجلدية، وقد اشتهرت أكثر من مدينة أندلسية بهذه الصناعة، فاختصت قرطبة (Cordoba) بدباغة الجلود في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٢]. واشتهرت أعمال الدباغة في القرنين الخامس والسادس الهجريين: الحادي والثاني عشر الميلاديين في مدينة لبلة (Liebla)، التي "كان لها خاصية في الأدم الأحمر الصبغ الجيد الدباغ، المضاهي للأدم الطائفي". ولهذا كانت تعرف "بالحمراء"[٣].

كما اشتهرت أعمال الدباغة في مدينة مالقة (Malaga)[٤]، وإشبيلية[٥] (Sevilla) وباجة[٦] (Beja)، وطليطلة[٧] (Toledo) وسرقسطة (Zaragoaza)، حيث كان أحد أرباضها يعرف بـ"ربض الدباغين"[٨].

=

(١) الإشبيلي، بكر بن ابراهيم (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، كتاب التيسير في صناعة التسفير، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج٧-٨، ١٩٥٩-١٩٦٠م. ص٢٨.١١.٣٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد، الإشبيلي، كتاب التيسير؛ القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٦٥؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٠؛ أمين الطيبي، الإسلام في الأندلس وصقلية وأثره في الحضارة والنهضة الأوروبية، ط١، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس: ليبيا، ١٩٨٦م، ص٣١، سيشار له فيما بعد: أمين الطيبي، الإسلام في الأندلس وصقلية.

(٢) أمين الطيبي، الإسلام في الأندلس وصقلية، ص٣١؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢ م، ص١٨٣، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عاشور، المدينة الإسلامية؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص١٨٨.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص١١١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٠؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٤٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥.

(٤) السقطي، في أدب الحسبة، ص٦٣.

(٥) المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، س٥، ق٢، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان (د.ت)، ص٦٦٢. رواية: (التاريخي أبو العباس بن علي بن هارون). سيشار لهذا ا لمصدر فيما بعد: المراكشي، كتاب الذيل والتكملة.

(٦) كان لمدينة باجة خاصية في دباغة الأديم في أيام بني عباد. المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٩.

(٧) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٦، ص٥٠٤.

(٨) ابن الكرديوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص١١٨؛ ابن مطروح السرقسطي، أبو عبد الله (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، روضة المحاسن، ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ (الجزار السرقسطي) وفصول من كتابه (بادرة العصر وفائدة المصر)، تحقيق ودراسة: منجد مصطفى بهجت، مطبعة المجتمع العلمي العراقي،

=

واختصت كل من غرناطة[1] (Granada) و(باجه) بدباغة الجلود في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

وكان لمدينة باجة " خاصية في حسن دباغ الأدم "[2]. وكانت أكثر الجلود استعمالاً في المصنوعات الجلدية هي جلود الماعز والضأن والبقر[3] وجلود النسور[4] والقنليات[5] والثعالب السود[6]، وحيوان اللمط[7]، والسمور[8]، إضافة لجلود الأسماك.

ومن جملـــــة المصنوعات الجلديـــــة التي عرفتها الأندلـــس فـــي القـــرون الوسطى: قباب الأدم[9]، والدرق (الدروع) اللمطيـــة التـــي اشـــتهر بـــها المرابطـــون والموحدون، وكانت تمتاز بجودتـــها ومتانتـــها[10]. والوســـائد[11]، ومفـــارش المـــائدة المصنوعة من الجلد الرقيق[12]، والسَّفَن[1] الذي يتخد من جلد السمك، ومنه تصنع أغمـدة السوف ومقابضها[2]، وقد اختصت مدينة مالقة بصناعتها[3]. والجراب[4]، وهي عبـــارة =

١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص٤٢، ١١٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابـــن مطـــروح السرقســـطي، روضـــة المحاسن، Imamuddin , The Economic History of Spain P.193.

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٧. رواية: (ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار).

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٥. رواية: (أبو الفداء في تقويم البلدان).

(٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٣-١٠٤؛ ابن عـــذاري، البيان، المغرب، ج٤، ص٣٨.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص١٢٧-١٢٨.

(٥) الزهري، الجعرافية، ص٦٦،١٣٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٤.

(٦) الزهري، الجعرافية، ٦٦.

(٧) اللمط: حيوان على قدر العجل أو أقل منه، طويل العنق رأسه كرأس الأشكر، له أذنان كأذني المعز، فـــي رأسه قرون طوال سود مزوقة الخلقة خارجة من يافوخه، راجعة إلى خلفه، ومن جلده تصنع الدرق اللمطية، انظر: الزهري، الجعرافية، ص١١٨؛ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص٣٤٤-٣٤٥. رواية: (أبو حـــامد الغرناطي ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م).

(٨) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٣٥٨؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٣.

(٩) الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م)، طبقات النحويين واللغويين، ط١، تحقيق محمـــد أبو الفضل ابراهيم، مصر، ١٩٥٤م. ص٢٩١-٢٩٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعـــد: الزبيـــدي، طبقـــات النحويين؛ ابن حيان، المقتبس. ج٥، ص٣٨٩.

(١٠) الزهري، الجعرافية، ص١١٨؛ حسين مؤنس، تاريخ الجعرافية، ص٣٤٥.

(١١) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣١٤.

(١٢) المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٢٨؛ بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص٢٣.

ومقابضها[٢]، وقد اختصت مدينة مالقة بصناعتها[٣]. والجراب[٤]، وهي عبارة عن وعاء من الجلد يستخدم لحفظ الأشياء الجافة كالدقيق[٥]. كما اشتهرت الأندلس بصناعة ألجم الخيل وسروجها[٦]، وكان السندروس الذي يدخل في صناعة السروج ويكون في العادة تحت الجلد يتخذ من الفضة أو القصدير[٧]. وكانت حوانيت السراجين منتشرة في أسواق المدن الأندلسية لتلبية احتياجات الناس[٨]، إذ لا تخفى أهمية هذه الصناعة وضرورتها في حياة المجتمع الأندلسي آنذاك. وعرف الأندلسيون صناعة الأحذية بأنواعها المختلفة، ومن جملة ذلك: الأقراق، وهي نوع من النعال تفصّل من الجلد وتخرز بخيوط القنب، ويتخذ لها كعب من الجلد البقري يثبت بواسطة الغراء[٩]، ويعرف صانعها بـ"القرّاق"[١٠]. والخفّاف (جمع خف) تصنع من الجلد ويقال لصانعها الخفاف[١١] والخرّاز[١٢]، ويعرف أيضاً في الأندلس باسم "الإسكاف"[١]. وكان الخرّازون

=

[١] السفن: جلد السمك الذي تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف، ويكون على قائم السيوف، وقيل السفن: جلد الأطوم، وهي سمكة بحرية تعمل قوائم السيوف من جلدها، ابن منظور، لسان العرب، مج١٣، ص٢١٠.

[٢] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٩؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٣٢.

[٣] الإصطخري، مسالك الأبصار، ص٤٢.

[٤] السقطسي، في آداب الحسبة، ص٦٣.

[٥] جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥٨٨.

[٦] ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٢؛ ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٤٢٦؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٦٥.

[٧] عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٤، ص١٣٩. رواية: (ابن سهل الأسدى)، سيشار له فيما بعد: عبد الرحمن الفاسي، خطة الحسبة.

[٨] انظر: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٢٠٦؛ السقطي، في أداب الحسبة، ص٤٨ ٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٩.

[٩] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٤؛ ابن عبدون؛ في القضاء والحسبة، ص٥٩؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٤.

[١٠] ابن بسام، الذخيرة، ق١، مج٢، ص٨٠٥؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص٤٤.

[١١] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٣.

[١٢] يحيى بن عمر، أبو بكر يحيى بن عمر بن يوسف الكناني (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، أحكام السوق، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م. ص٩٤.

=

يصنعون نوعاً من الخفاف التي تلبسها النساء تعرف باسم " الخفاف الصرارة ". وقد نهى يحيى بن عمر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) الخرّازين عن صنعها ونهى النساء عن لبسها في الأسواق[٢]، بهدف الحفاظ على المصلحة العامة. والأمـــواق (جمع موق)، وهي أحذية تصنع من الجلد وتلبس فوق الخف[٣]، ويعرف صانعها بـ"الموّاق".[٤]

واستغل مسلمو الأندلس الجلود في تسفير (تجليد) الكتب والمصاحف[٥]، إذ كان من شأن التجليد أن يحفظ الكتاب ويصونه من التلف لمدة طويلة، ويضفي عليه جمالاً وسهولة في الاستعمال والنقل.[٦] ولذا كان الأندلسيون يعتنون عناية خاصة بهذه الصناعة حتى أنها بلغت الغاية في الجودة والاتقان، وكانت مدينة (مالقة) "أكثر المدن براعة وإتقاناً في صناعة الجلود عامة وتجليد الكتب تجليداً نفيساً على وجه الخصوص، وقد بذل الهواة من جامعي الكتب كما بذل الأمراء المسلمون جهداً رائعاً كانت نتيجته تكوين المكتبات العامرة، والتشجيع المتواصل لتنسيقها، وإبداع تجليد كتبها، مما أسهم بنصيب ملحوظ في هذا التطور الذي لا نظير له في فن تجليد الكتب في العصور الوسطى"[٧].

=

سيشار لهذا المصدر فيما بعد: يحيى بن عمر، أحكام السوق؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٦٠؛ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن بشكوال، الصلة؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٧٩.

[١] يقول أهل الأندلس " إسكاف " للخراز خاصة. قال أبو بكر: وكل صانع عند العرب إسكاف انظر: الزبيدي، لحن العوام، ص٢٤٧؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٣٩.

[٢] لأن هذه الخفاف تصدر أصواتاً مميزة، تلفت انتباه الناس وبالتالي تشغلهم عن أعمالهم، يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص٩٤.

[٣] ابن منظور، لسان العرب، مج١٠، ص٣٥٠.

[٤] ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص٤٢، ١١٤.

[٥] ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، (ت١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، ج١، ط١، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث والمكتبة العتيقة، ١٩٧٠.ص٢٦٤-٢٦٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن القاضي، درة الحجال؛ انظر: المقري، نفح الطيب، مج٦، ص٦٨-٦٩.

[٦] كريم عجيل، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢-٤٩٤هـ/ ٧١١-١١٠٢م)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦. ص٢٧٤، سيشار له فيما بعد: كريم عجيل، الحياة العلمية.

[٧] كريم عجيل، الحياة العلمية، ص٢٧٤.

وكانت مكتبة القصر في قرطبة في عهد الحكم المستنصر تضم أمهر المجلدين في الأندلس الذين كانوا يعملون في القصر باستمرار ومعهم مجلدون آخرون من صقلية وبغداد، ومنمنمون ورسامون ليزينوا الكتب التي كان ينسخها النساخون بالزخارف البديعة[1]. ولعل أبلغ ما يصور الرقي الذي وصلت إليه هذه الصناعة (صناعة التسفير) في المغرب والأندلس هو ما عمله الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٨٩م) في تحلية المصحف العثماني، وكان قد وصله هدية من أهل قرطبة، فاحتفل لقبولة بمراكش احتفالاً عظيماً، وصنع له أغشية محلاة بالسندس الأخضر والذهب والفضة، ومرصعة بالياقوت الأحمر والأصفر والأخضر، وأنواع الحجارة الكريمة،[2] وقد قال الوزير الفيلسوف أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٦م) في رسالته الطويلة التي وصف فيها هذا العمل ما يلي: "..وتأنقوا في استعمال أحفظته، وبالغوا في استجادة أصونته، فحشروا له الصناع المتقنين والمهرة المتقنين، ممن كان بحضرتهم العلية، أو سائر بلادهم القريبة والقصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة، ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذق في صناعة، إلا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانية..)[3].

وقد صنف بعض الأندلسيين كتباً في الموضوع[4] (صناعة التفسير) تدل على تقدم هذه الصناعة وتطورها في الأندلس، وبخاصة في عهد الموحدين. ومن ذلك " كتاب

---

(1) خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، ترجمة: جمال محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤، ج١، مج٥، ١٩٥٨-١٩٥٩م . ص٨٦-٨٧، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب؛ كريم عجيل، الحياة العلمية، ص٢٧٤.

(2) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٣٤٩-٣٥٠؛ الإشبيلي، كتاب التيسير، ص٢؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص١٧٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٦١٢؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٢٩.

(3) الإشبيلي، كتاب التيسير، ص٢؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٦١١-٦١٢؛ أبو رميلة، علاقة الموحدين، ص٤١٥-٤١٦.

(4) مثل كتاب نبيل الرعيني، وكتاب التدبير في صناعة التسفير الذي ذكره الإشبيلي دون الإشارة إلى اسم مؤلفه. انظر: الإشبيلي، كتاب التيسير، ص٧، ٤٠.

التيسير في صناعة التسفير "لبكر بن إبراهيم الإشبيلي" المتوفى سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م). ويتناول هذا الكتاب بالتفصيل صناعة تسفير الكتب والمصاحف، فيتحدث عن أسماء الآلات المستعملة في هذه الصناعة[١]، وعن الأغرية والأصباغ وكيفية تحضيرها[٢]، وعن كيفية تخريم الكتب والمصاحف[٣]، وتقفيتها[٤] وتسويتها[٥] وحبكها[٦] وتبطينها[٧]، ويفصل الكلام في كيفية تركيب الجلد[٨] وزركشته وزخرفته[٩]، وفي عمل أقربة المصاحف[١٠]، ويتكلم عن كيفية إصلاح الأسفار البالية[١١]، وطرد الأرضة عن الكتب بتبخيرها بأعضاء الهدهد وريشة[١٢].

ومن أشهر مراكز المصنوعات الجلدية في الأندلس، مدينة وشقة[١٣] (Huesca) وسرقسطة[١٤]، ولبلة[١٥]، وجيان[١٦] (Jaen)، وبجانة[١] (Pechina)، وغرناطة[٢]

---

(١) من الأدوات المستعملة في صناعة تسفير الكتب نذكر ما يلي: المقراض، المقدة. الملزم، حجر المسن، الإبرة، الإشفى (لخرز الأقربة)، المدلك (لدلك البطاين)، السكين للتسوية، الحديد للنقش كالمصقلة والمشطب، والمجواب (لقطع الذهب) وصحيفة ينقش عليها، التخت، المسطرة، الضابط، وحجر البركان الذي يضرب به في التسوية.انظر: الإشبيلي، كتاب التيسير، ص١٠-١٢.

(٢) يتخذ الغراء من النشا، والدرمك، والدقيق الأحمر. الإشبيلي، كتاب التيسير، ص١٢-١٣، ٢٨-٢٩.

(٣) الإشبيلي، كتاب التيسير، ص١٤-١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥-١٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٧-١٨.

(٦) المصدر نفسه، ص١٨-٢٢.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٢-٢٣.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٤-٢٧.

(٩) كانت الكتب تزركش وتزخرف بالأشكال الهندسية، وذلك باستخدام خاتم مربع أو مسدس أو مثمن أو دائرة. المصدر نفسه، ص٢٩-٣٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص٣٥-٣٦.

(١١) المصدر نفسه، ص٢٧-٢٨.

(١٢) المصدر نفسه، ص٤٠.

(١٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص٦٥ .

(١٤) ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص٤٢، ١١٤-١١٥.

(١٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٠؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١٣٥.

(١٦) ابن بسام، الذخيرة، ق١، مج١، ص٨٠٥.

وبسطة[٣] (Baza)، وأنـــدرش[٤] (Andarax)، وشـــريش[٥] (Jerezdela)، وإشـــبيلية[٦] وبلنسية[٧] (Valencia) وقرطبة، ومالقة. وهذه الأخيرة اختصت بعمـــل المصنوعـــات الجلدية، كالأغشية والحزم والمدورات[٨] ولذا وصفها ابن الخطيب بقوله: إنـــها "معـــدن صنائع الجلد المنتخب"[٩] وهذا يدل على براعة أهلها واتقانهم لهذه الصناعة.

وفي قرطبة ازدهرت صناعة الجلود ودباغتها، وتميزت بصناعة الأحذية خاصـــة، ومنها انتقلت هذه الصناعة إلى فرنسا وانجلترا،إذ أطلق الأوروبيون على النوع الممتـــاز من الجلود اسم الجلد القرطبي (Cordavan)[١٠]، وأطلق الفرنسيون على صانع الأحذيـــة اسم " Cordonnier" أي قرطبي[١١]. وفي ذلك دلالة واضحـــة علـــى أثـــر الحضـــارة الأندلسية في الحضارات المجاورة، وإشارة جلية إلـــى جـــودة المصنوعـــات الجلديـــة الأندلسية وتميزها.

=

(١) ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص١٨؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٠.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٣؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص٤٤؛ عز الدين موسى، النشـــاط، ص٢٣١.

(٣) ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٧٩.

(٤) ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص١٣٠.

(٥) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عبـــاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣، ص٧٠-٧١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة.

(٦) الإشبيلي، كتاب التيسير، ص١٢؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٠.

(٧) الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، بدائع البدائة، تحقيق: محمد أبـــو الفضل ابراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٠م، ص٣١٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعـد: الأزدي، بدائع البدائة.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، مج٥، ص٢١٢. رواية: (ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار).

(٩) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٥٩؛ ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٣٥٦.

(١٠) سعيد عاشور، المدينة الإسلامية، ص١٨٣؛ عنان، نهاية الأندلس، ٤٤٧؛ بروفنسال، حضـــارة العـــرب، ص١٢٨؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص١٨٨؛ Imamuddin ,The Economic History of Spain P,193

(١١) ريسلر، الحضارة العربية، ص١٨٨؛ بروفنسال، حضارة العرب، ص١٢٨.

ج. النجارة وأعمال الخشب

حظيت صناعة النجارة وأعمال الخشب بمكانة مهمة في المجتمع الأندلسي. وقد ساعد على ذلك وفرة الأخشاب في مناطق الأندلس المختلفة، ووجود الأيدي العاملة الماهرة، وازدهار الحركة العمرانية وبخاصة عمارة المساجد والقصور وما كانت تتطلبه من منابر ومقصورات خشبية، وسقوف وشبابيك وأبواب وأثاث.

وقد كانت صناعة المنابر والمقصورات الخشبية في الأندلس ابتداء من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي على الأقل على درجة كبيرة من الاتقان والرقي[1]. ونستدل على ذلك من خلال بعض الشواهد التاريخية التي وصلتنا، فالخليفة عبد الرحمن الناصر مثلاً أمر بصناعة منبر لمسجد مدينة الزهراء (Alzahra)، " فصنع في نهاية من الحسن ووضع في مكانة منه "[2]. كما أمر الخليفة الحكم المستنصر بصناعة منبر للمسجد الجامع في قرطبة، فصنع من أكارم الخشب.[3] وقد وصفه المؤرخون وصفاً، رائعاً، يدل على دقة الصنعة وإتقان في العمل، وقد اتخذ من خشب الأبنوس والبقس وعود المجمر[4]، وذكر ابن غالب (أهل ق ٦هـ/ ١٠م) أنه مؤلف من خشب الصندل الأحمر والأصفر، والأبنوس والعود الرطب والمرجان، وأوصاله وحشواته من الفضة المثبتة المنيلة، " ارتفاعه تسع درجات سعته أربعة أشبار ونصف شبر، والذراعان الممتدان على جانبيه من أعلى الأدراج إلى أسفلها من أبنوس، طول كل ذراع منهما ثمانية عشر شبراً "[5] وقد صنع هذا المنبر من أكارم خشب الأبنوس والصندل والنبع والبقم والشوحط، وهو مركب من ست وثلاثين ألف قطعة منفصلة، سمرت بمسامير الذهب والفضة، ورصعت بنفيس الأحجار الكريمة[6]. أما مقصورة الجامع فقد أقيمت

---

(١) كولان، الأندلس، ص١٧٧.

(٢) المقري ، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٦.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥١.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٧؛ انظر: كذلك: ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٥.

(٥) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٩؛ عبد العزيز سالم،قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٦.

(٦) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥١-٥٥٢. لمزيد من التفاصيل عن وصف منبر المسجد الجامع في قرطبة، انظر: ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢١-٢٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٥؛ الغساني، رحلة الوزير، ص٢١-٢٢؛ الإدريسي، محمد بن علي السوسي (ت ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م)، الدرر

=

حول المحراب في زيادة الحكم المستنصر، وكان لها ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش[١]، وكان بابها الرئيسي من الذهب المضروب، وعضادتاه من عود الأبنوس[٢].

وحظيت صناعة المنابر والمقصورات الخشبية بشهرة كبيرة في عهد الموحدين، فيذكر أن الخليفة عبد المؤمن بن علي نقل إلى جامع الكتبية بمراكش " منبراً عظيماً كان قد صنع بالأندلس في غاية الإتقان، قطعاته عود وصندل أحمر وأصفر، وصفائحه من الذهب والفضة "[٣] وعمل للجامع مقصورة من الخشب تتألف من ستة أضلاع، وتَسَعُ أكثر من ألف رجل. وكان المهندس الأندلسي الحاج يعيش المالقي قد تولى صنعها، وركبها على حركات هندسية، بحيث تتحرك تلقائياً، متى دخل الخليفة الجامع، فتخرج أضلاعها بطريقة آلية، لا يسمع لها حس ولا يرى تدبيرها، ويخرج من داخلها المنبر الذي جعل فيها مستوراً. وكان باب المنبر يفتح من تلقائه متى صعد إليه الخطيب[٤]. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المنبر قد صنع في مدينة قرطبة، ونستدل على ذلك من نقش كتابي، نقرأ فيه. أنه صنع " بمدينة قرطبة حرسها الله "[٥]. وفي ذلك دلالة واضحة على

=

السنية في أخبار السلالة الإدريسية، طبع بمعرفة وزارة الإعلام والثقافة، ص١١٧، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الإدريسي، الدرر السنية؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص١٧٦-١٧٧؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٦؛ علي الجارم، قصة العرب في إسبانيا، ص١٢١.

[١] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥١، رواية: (ابن بشكوال).

[٢] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٧؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٦.

[٣] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٤٤: يذكر البعض أن هذا المنبر صنعه الأمير المرابطي علي بن يوسف ابن تاشفين، ويستدل على ذلك من نقش كتابي في نهايته العبارة التالية: " اللهم أعن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين ومن بعده ولي عهده " مما يحدد تاريخاً بين سنتى ١١٣٩،١١٤٢م.(٥٣٤،٥٣٨هـ)، وقد ورد على التحديد ذكر السنة التي تم الفراغ فيها من عمل المنبر في النقش الأساسي به، لكنه طمس كما طمس اسم الأمير بأيدي الموحدين، وجاء في هذا النقش الأساسي أن المنبر قد صنع في قرطبة لهذا الجامع العظيم أو جامع مراكش الذي شيده الأمير علي ملاصقاً لقصره. انظر: مورينو، مانويل جوميث، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع والسيد محمود عبد العزيز سالم، مراجعة جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، ص٣٥٠ وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، أبو رميلة، علاقات الموحدين، ٤١٣-٤١٥، كولان، الأندلس، ص١٧٨.

[٤] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٤٤-١٤٥؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٥؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص٤١٢؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٧.

[٥] عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ص١٤٧؛ انظر: مورينو الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٠.

تميز قرطبة وتفردها بهذه الصناعة، التي اشتهرت بها منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي(١).

كما عمل الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٢-١١٨٤م)، منبراً للمسجد الجامع الذي أقامه في مدينة إشبيلية، فبلغ الغاية في الجودة والإتقان. وصنع هذا المنبر من أكرم الخشب، وكان منقوشاً مرقشاً محكماً بأنواع الصنعة والحكمة، ورصع بالصندل، وكان مجزعاً بالعاج والأبنوس، يتلألأ كالجمر، وعليه صفائح من الذهب والفضة، وهناك أشكال من الذهب الإبريز، يتألق نوراً وأضيفت إليه مقصورة من أحسن الخشب(٢).

وتقدم مسلمو الأندلس تقدماً كبيراً في مجال النجارة وأعمال الخشب، فبرع النجارون في صناعة أثاث البيت والأدوات المنزلية المتنوعة، وغير ذلك من الأدوات المستخدمة في حياة الإنسان، والتي تعد من ضروريات العمران البشري(٣). فكان النجارون يصنعون الخزائن والصناديق والأقفال والمفاتيح والسلالم(٤) والكراسي، والطاولات، والمشاجب التي تعلق عليها الثياب، والمسامير الخشبية التي كان يطلق عليها اسم الدُسُر (جمع دسار).(٥) وكانوا يصنعون الأسرة من خشب الخيزران وقد انتجوا أنواعاً راقية للخلفاء خاصة كانت تعرف باسم " اسرة الخلافة "(٦) وكان النجارون يصنعون الأكواب وأطراف المقابض،(٧) وبعض أدوات المطبخ، كالمغارف والملاعق، والمهارس، والألواح التي تمد عليها أطعمة الخبز، وكانت هذه الأدوات تتخذ من خشب البلوط أو البطم أو الدردار أو البقس أو العناب ".(١) وكانوا يصنعون بعض

---

(١) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٦-١٤٨؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص٤١٤.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٨٧-٣٨٨؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين، ص٤١٥.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٩٣٧-٩٣٨.

(٤) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٦،٥٩.

(٥) ابن هشام اللخمي، المدخل، ج٢، ص١٧١ Imamuddin,The Economic History Of Spain, P190.

(٦) ابن حيان، المقتبس، من أبناء أهل الأندلس، ص١٥٩.

(٧) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٦؛ ابن رشد، فتاوى، ج٢، ص٨٩٧-٨٩٨.

البلوط أو البطم أو الدردار أو البقس أو العناب ".[1] وكانوا يصنعون بعض الأدوات الزراعية كالمذرى والمحراث الخشبي،[2] وبعض أدوات الغزل والنسيج، كالنول والمنسج والمندف والمغزل والمكمدة أو (المقصرة)؛ وهي الخشبة التي يستخدمها القصار.[3] وبرع النجارون في صناعة قوالب الآجُر والقراميد[4] والشبابيك والسقوف والأبواب الخشبية، وأمثال ذلك من المصنوعات التي تدخل في صلب البناء وتكون جزءاً منه[5]، ومما يذكر أنه كان يعمل في بناء مدينة الزهراء في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي مائتا نجار تولوا صناعة ما احتاجته المصانع والمجالس والقصور والمساجد من أثاث وسقوف وأبواب وشبابيك خشبية.[6] وذكر الإدريسي (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) أن سقف وأثاث وأبواب المسجد الجامع في قرطبة قد اتخذت جميعها من خشب الصنوبر الطرطوشي.[7] وكانت أبواب المجالس والقصور تتخذ من خشب السرول،[8] وتزخرف بالخشب المنقوش والمرصع.[9] وكانت قطع الخشب تسمر بالمسامير أو تدخل نهاياتها ببعضها بطريقة فنية[10] تدل على دقة الصنعة، وتمكن النجار الأندلسي من حرفته.

ومن بين المصنوعات الخشبية المتميزة، التي تدل على تطور هذه الصناعة وتقدمها في الأندلس، وبخاصة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ما

---

(١) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، نشر أمبروزيو أويتي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج٩ ١٠، ١٩٦١-١٩٦٢م، ص٨٤-٨٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ.

(٢) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ٣٦٢، ٣٦٣؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص٩٢-٩٤.

(٣) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٢٠، ١٨٣، ٢٥٤، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢٤.

(٤) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٤ ٣٥.

(٥) انظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس، ص١٥٣-١٥٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٤٥-٥٥٢.

(٦) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠٠-٣٠١. رواية: (ابن حيان)؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٦٤.رواية: (ابن الفرضي)؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٥.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٥.

(٨) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص٣٦.

(٩) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٣٠١.

(١٠) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٩.

صنعه الموحدون للمصحف العثماني، ذلك أنهم اتخذوا له محملاً وكرسياً من الخشب "غريب الصنعة، بديع الشكل والصيغة.. مغشىً كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع، في قطع من الأبنوس والخشب الرفيع، وصنعوا لذلك الكرسي تابوتاً مكعب الشكل، له باب بدفتين يفتحان بمفتاح ومتى ما فتح خرج الكرسي من تلقاء نفسه برجوع الدفتين إلى موضعهما، وقد رتبت هذه الحركات على حركة المفتاح، فإذا ما أدير عكس الجهة التي أدير إليها أولاً، انفتح الباب وأخذ الكرسي والمحمل في الدخول، فإذا عاد كل إلى مكانه ينغلق الباب تلقائياً"[١].

واستخدم الخشب في صناعة لعب الأطفال، كالزرافات والكمادين وما يشبهها. وفي صناعة توابيت القبور[٢]، وخلايا النحل[٣]، وغرابيل الحنطة المتخذة من خشب الحلفاء[٤]، وفي صناعة القبقاب (نوع من الأحذية)[٥]، أواني الخشب المخروطة[٦]. وهذه الأخيرة يعرف صانعها بالخراط وحرفته الخراطة، ومن المفيد أن نذكر أن حوانيت الخراطين كانت منتشرة في أسواق قرطبة[٧] في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٨]، وفي حصن قيشاطة[٩] في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

وقامت في بعض المدن الأندلسية صناعات خشبية متخصصة، فاشتهرت مرسية (Murcia) بصناعة الأسرة المرصعة[١٠] وطرطوشة (Tortosa) بالآلات والظروف[١١]،

---

[١] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٦١٣ ٦١٤. رواية: (ابن طفيل)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٥.

[٢] ابن رشد، فتاوى، ج٢، ص٩٤٠؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٤.

[٣] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٨.

[٤] الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص٦٧-٦٨.

[٥] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٥؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٤.

[٦] ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٦٧.

[٧] المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص٣٢١.

[٨] ابن حيان، المقتبس، ج٥ ، ص١٤٢.

[٩] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٩.

[١٠] المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٠٢. رواية (ابن سعيد).

[١١] القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥.

وبطللس بلس قرب لورقة بأعمال النجارة[١]، وغرناطة بمراوح الحلفاء، وشويش بغرابيليها[٢]، ومالقة (Malaga) بأطباق الخوص[٣]، وقلبيرة أو بالأقلام الخشبية[٤]، وحصن قيشاطة بصناعة أواني الخشب المخروطة، كالقصاع والمخابي والأطباق، وكان ينتج منها ما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب[٥].

واشتهر الأندلسيون وبخاصة أهل إشبيلية بصناعة بعض الآلات الموسيقية من الخشب، فصنعوا أصنافاً متنوعة منها، كالخيال والكريج، والعود والروطة، والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والزلامي والشقرة والنورة (وهما مزماران أحدهما غليظ الصوت والآخر رقيقه) والبوق والدف وأقوال واليرا وأبو قرون ودبدبة السوادن وحماقي البربر[٦]، إضافة للمزهر والطنبور والقرطبة[٧]. وكانت هذه الآلات أكثر ما تصنع في إشبيلية، ومنها تجلب إلى بلاد المغرب[٨]. ومما يدل على شهرة إشبيلية بهذه الصناعة أنها تميزت من بين بلدان الأندلس بإقبال أهلها على الطرب، وفي ذلك يقول ابن رشد (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) مقارناً بين قرطبة وإشبيلية-: "إذا مات

---

[١] ابن عاصم، الغرناطي، جنة الرضا، ج٢، ص٢٨٠-٢٨١.

[٢] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٣-٢٣٤.

[٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٢. رواية: (ابن السديد).

[٤] ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله الإشبيلي (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)، قلائد العقيان، ومحاسن الأعيان، ط١، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩، ص١٩٣. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن خاقان، قلائد العقيان؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج٣، ص٣٧٠.

[٥] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٩؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٢، مخ، ص٣٦؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٥.

[٦] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٢؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٣؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ٢٣٦.

[٧] الكتاني أبو عبد الله محمد (ت حوالي ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان (د.ت(.ص١٠٦-١١١، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الكتاني، كتاب التشبيهات؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٦.

[٨] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٢؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٣.

عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية "[1].

ومما يصور براعة أهل الأندلس في صناعة الآلات الموسيقية، أن أبا عامر محمد ابن الحمارة الغرناطي اشتهر عنه أنه كان يعمد للشَعراء، فيقطع العود بيده، ويصنع منه عوداً للغناء، وينظم الشعر ويلحنه، ويغني به[2].

---

[1] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٧١؛ احسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، ١٣٨هـ ٥٣٩ هـ/ مجلة الأبحاث، تصدر عن الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة ١٦، ج١، آذار، ١٩٦٣م. ص١٧، سيشار له فيما بعد: إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين.

[2] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٢٠، المقري، نفح الطيب، مج٤، ص١٤٠؛ وعن أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، انظر: مقال الدكتور إحسان عباس السابق الذكر.

الفصل الثاني

الصناعات المعدنية والكيماوية

أ. الذهب والفضة

الذهب والفضة من أهم المعادن التي استغلت في أسبانيا على نطاق واسع منذ العصور القديمة. وكانت المصنوعات الذهبية والفضية معروفة ومستخدمة فيها قبيل الفتح الإسلامي[١]، إذ عثر المسلمون بعد الفتح على كميات وفيرة من منتجات الصاغة في المدن المفتوحة[٢]، فقد وجدوا في مدينة طليطلة (Toledo) مثلا مائة وسبعين تاجا من الذهب مرصعة بالدر، وأصناف الحجارة النفيسة، كما وجدوا من الدر والياقوت وأنواع آنية الذهب والفضة الشيء الكثير[٣]. وكانت غنائم المسلمين من الذهب والفضة كثيرة[٤]. الأمر الذي يدل على تقدم صناعة الصياغة وازدهارها في إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي.

ووجد المسلمون في مدينة طليطلة المائدة المعروفة بـ"مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام". وكانت هذه المائدة مصنوعة من الذهب ومرصعة بالدر والياقوت والزبرجد والزمرد، وأصناف الحجارة الكريمة[٥]. وكان طارق ابن زياد قد عثر عليها وأحضرها إلى مدينة قرطبة، وعندما وقع الخلاف بينه وبين القائد موسى بن نصير أزال إحدى أرجلها لأمر دبره في نفسه[٦]، فلما سأله موسى عنها قال: هكذا وجدتها، فصدقه

---

(١) Imamuddin , The Economic History Of Spain, P220-221.

(٢) انظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٤٦-١٤٧؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٥٥-١٥٦، ١٦٠-١٦١. الرواية: (نقلا عن اختصار اقتباس الأنوار).

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥،ص٥٥١-٥٥٢؛ انظر كذلك: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٢٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٦-٢٧.

(٤) ابن الشباط، صلة السمط، ص١٥٦. الرواية: (نقلا عن اختصار اقتباس الأنوار).

(٥) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٥٠؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٥٦-١٥٧، القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٧؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٧.

(٦) أراد طارق أن يثبت للخليفة بعد عودته للمشرق أنه صاحب الفضل الأول في فتح الأندلس. فقد ذكر ابن الكردبوس أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة، " استحضر موسى بن نصير وسأله عن المائدة وأين رجلها فقال له هكذا وجدتها حيث أخذتها، فأخرج له طارق الرجل من عنده وقال بل أنا أخذتها هي وجميع ما أتى به غير اليسير " ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٥٠-٥١.

موسى، وأمر الصاغة بأن يصنعوا لها رجلا من الذهب[1]. مما يدل على أن المسلمين استعانوا في بداية الفتح بمحترفي هذه الصناعة من أهل البلاد المفتوحة.

وأما بعد الفتح والاستقرار في الأندلس فقد أحسن المسلمون استغلال ثروات البلاد الطبيعية، فاستفادوا من خبرة سكان البلاد في هذا المجال، واستقدموا الأيدي العاملة من المشرق الإسلامي، واستخرجوا كميات وفيرة من معادن الذهب والفضة من نواحي الأندلس المختلفة، واستخدموها في تزيين المساجد والقصور، وفي صناعة الآنية والحلي والتحف الفنية الجميلة، حسبما سيأتي تفصيله.

لقد اهتم الصاغة الأندلسيون بصناعة آنية الذهب والفضة، حتى شاع استعمالها بين فئات المجتمع الأندلسي في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وكان زرياب* الذي دخل الأندلس في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أول من نصح الأندلسيين باستخدام الآنية المصنوعة من " الزجاج الرفيع " بدلا من الآنية الذهبية والفضية[2].

وكان الصاغة الأندلسيون في عهد الإمارة يتفننون في صياغة الحلي على أشكال متعددة ومتنوعة لتناسب الأذواق المختلفة، فبرعوا في صياغة الأساور والأقراط والخواتم والخلاخيل والدمالج، والتيجان، والسلاسل والعقود[3] والحبلات " وهي حلي تصاغ على هيئة الباقلا "ويطلق عليها في الأندلس اسم السفيرة"[4]. وكانت جواري الأمراء يتزين بمنتجات الصاغة الثمينة، فيذكر مثلا أن جارية لهشام بن عبد الرحمن

---

[1] ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٤٩-٥٠؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨-١٩.

* زرياب هو رئيس المغنين أبو الحسن علي بن نافع، الملقب بزرياب، مولى الخليفة المهدي العباسي. وزرياب لقب غلب عليه ببلاده لسواد لونه، مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله، شبه بطائر أسود غرد عندهم، وكان تلميذا لاسحاق الموصلي- المغني المشهور ببغداد. وقدم الأندلس مهاجرا إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط وتوفي سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م). انظر: ابن دحية، المطرب، ص١٣٧؛ المقري نفح الطيب، مج٣، ص١٢٢ وما بعدها.

[2] المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٢٨. رواية " ابن حيان "؛ بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص٢٣.

[3] ابن حيان، المتقبس، ج٥، ص٣٥٢ ٣٥٣ , ٤٦٠؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٤٢، ٢٨٦، ٣١٠، ٣٢٨؛ مورنيو، الفن الإسلامي، ص٤٠٢ ٤٠٣؛ الودخيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص١٧١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة، حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٤-١٤٥.

[4] ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٨٣؛ الودخيري، ملامح من المجتمع الأندلسي ن ص١٧١..

الداخل (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م)، كانت تمتلك عقدا قيمته ثلاثة آلاف دينـــار[١]، وأن الأمير عبد الرحمن الأوسط قد أهدى لجاريته طروب "حليـــا قيمتـــها مائـــة ألــف دينار"[٢]، كما أهدى لجارية من محظياته عقد جوهر تقدر قيمته بعشرة آلاف دينار[٣].

وقد بلغت صناعة الصياغة أوج عظمتها وازدهارها في عصر الخلافة الأمويـــة، إذ استخدم الأندلسيون الذهب والفضة في تزيين المساجد والقصور، وفي صناعة الأثـــاث والآنية والتحف والتماثيل الجميلة، ومن أروع الأمثلة التي تشير إلى ذلك، ما زودنا بـــه المؤرخون عن محتويات مسجد قرطبة الجامع، وعن منشآت مدينة الزهراء التـــي أمــر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر.

أما المسجد الجامع، فقد كانت قباب مقصورته مذهبة، وبابها الرئيســـي مصنوعـــا من ذهب مضروب وأوصاله من فضة،وكذلك جدار المحراب، وما يليه قد أجـــري فيــه الذهب على الفسيفساء[٤]. وكانت في البيت الواقع شمال المحراب "عدد وطسوت ذهـــب وفضة وحسك، وكلها لوقيد الشمع"[٥] بينما كان "في الجامع حاصل كبير ملآن من آنيـــة الذهب والفضة لأجل وقوده".[٦] أما الثريات، فكان منها في المقصورة ثلاثة مصنوعـــة من الفضة المحضة[٧]، وكما كانت في المسجد الجامع ثريا عظيمة يبلغ قطرها خمســـين شبرا، وتحتوى على ألف كأس وأربعة وثمانين كلها موشاة بالذهب[٨]. أما المنبر، فكـانت أوصاله وحشواته مصنوعة من الفضة المثبتة المنيلة،[٩] وهو مركب من ســـتة وثلاثيـــن

---

(١) Imamuddin .The Economic History Of Spain. P.221.

(٢) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٤.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١١٦.

(٤) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٧، ٢٩٩؛ المقري، نفح الطيـــب، مج١، ص٥٤٧، رواية: (صاحب كتاب مجموع المفترق).

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٥.

(٦) ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٦.

(٧) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٨؛ المقري، نفح الطيب، مـــج١، ص٥٥٢، ٥٤٧.

(٨) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥٢؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص١٧٧.

(٩) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٨.

ألف قطعة منفصلة، سمرت بمسامير الذهب والفضة.[١] وأما تفافيح صومعة المسجد الجامع فمصنوعة من الذهب والفضة الخالصة[٢]، وقد ذكر صاحب كتاب " مجموع المفترق "أن ارتفاع الصومعة اليوم وهي من بنيان عبد الرحمن بن محمد (الناصر) ثلاثة وسبعون ذراعا إلى أعلى القبة المفتوحة التي يتستدير بها المؤذن، وفي رأس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة، ودور كل تفاحة ثلاثة أشبار ونصف، فاثنتان من التفافيح ذهب إبريز، وواحدة فضة، وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبدع صنعة، ورمانة ذهب صغيرة على راس الزج"[٣].

وفيما يتعلق بمنشآت مدينة الزهراء، فقد ابتنى الخليفة الناصر في أحد قصورها مجلسا يقال له (مجلس القبلق)[٤] ويسمى (بقصر الخلافة)[٥]. كانت جدرانه مصنوعة من الذهب والرخام والزجاج، وكان له قراميد من الذهب والفضة، وكان له في كل جانب ثمانية أبواب من العاج والأبنوس مرصعة بالذهب وأصناف الجواهر[٦].

كما أنشأ في الزهراء دارا لصناعة الحلي للزينة[٧]، رغبة منه في زيادة الإنتاج، لتغطية الطلب المتزايد على المصوغات الذهبية والفضية، وبخاصة بعد توسع أعمال البناء والعمران، وميل الأندلسيين إلى حياة الرخاء والترف[٨]. وكان للخليفة الناصر في مدينة الزهراء أثنا عشر ألفا من الخدم كانوا يتزينون بمناطق الذهب والسيوف

---

[١] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥٢؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص١٧٦-١٧٧.

[٢] البكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٦-١٥٨.

[٣] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٤٨-٥٤٩؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص١٧٨.

[٤] الزهري، الجعرافية، ص٨٧.

[٥] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

[٦] الزهري، الجعرافية، ص٨٧؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١٦، رواية: (ابن الرقيق)؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

[٧] ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص٣١٢؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٧٨. رواية: (ابن خلدون).

[٨] انظر، البكري، جغرافية الأندلس، ص١٠٣-١٠٤؛ الزهري، الجعرافية، ص٨٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٨-٢٩٩؛ ابن عذاري، البيان، المغرب، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٠-١٣١.

المحلاة[1]. مما يدل على مهارة الصناع الأندلسيين وإتقانهم لصنعتهم، وعلى الإنتاج المتميز لدار الصناعة في كل من قرطبة والزهراء.

واشتهرت دار الصناعة بقرطبة في عصر الخلافة بإنتاج تماثيل مختلفة الأشكال من الذهب والفضة الخالصة، على هيئة حيوانات وطيور كانت توضع حول البرك والأحواض، تمج المياه من أفواهها، ومما يذكر أن عبد الرحمن الناصر أمر بصناعة اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي في دار الصناعة بقرطبة، لكي تنصب حول الحوض الرخامي الذي جلبه أحمد اليوناني وربيع الأسقف من القسطنطينية. وكان الناصر، قد أمر بوضعه في بيت المنام في المجلس الشرقي من قصر الزهراء المعروف (بالمؤنس)[2]، وذكر بعض المؤرخين أنه "جعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة: صورة أسد إلى جانبه صورة غزال، إلى جانبه صورة تمساح، وفيما يقابله ثعبان وعقاب، وفي المجنبتين حمامة، وشاهين وطاووس ودجاجة، وديك، والثاني عشر لم يحضرني اسمه الآن، وكل هذا من ذهب مرصع بالجور النفيس، ويخرج الماء من أفواهها"[3].

وذكر ابن بشكوال أن خلفاء بني أمية أجروا إلى قصر قرطبة المياه في قنوات الرصاص تؤديها من جبال قرطبة إلى أبنية القصر وساحاته "صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة"[4]. كما أجرى الخليفة الناصر الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربي قرطبة على الحنايا المعقودة إلى بركة عظيمة نصب عليها " أسد عظيم الصورة، بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أوفى منه ولا أبهى منه فيما صور الملوك في غالب الدهر، مطلي بذهب إبريز، وعيناه جوهرتان لهما وميض شديد. يجوز هذا الماء إلى عجز هذا الأسد فيمجه

---

(١) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١٦، رواية (ابن الرقيق).

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ٥٢٧. رواية: (ابن حيان)؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٠، ١٣٨.

(٣) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٧١.

(٤) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٨. رواية (ابن بشكوال).

في تلك البركة من فيه، فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبه، فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها.. ويمد النهر الأعظم بما فضل منه، فكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذهب الذي يصب فيها من أعظم آثار الملوك في غابر الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها"[١].

وكان الصاغة الأندلسيون في عصر الخلافة يصنعون من الذهب والفضة أنواعا متعددة من الأسلحة وأدوات القتال. وكانت هذه الأدوات تزدان بصور الحيوانات والطيور، وتزخرف بالنقوش والكتابات، ولذا كانت تعد من الهدايا الثمينة التي يقدمها الخلفاء لكبار رجالات الدولة. فقد أهدى الخليفة عبد الرحمن الناصر لموسى بن أبي العافية سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) من غرائب السلاح أربعة بنود[٢] " بند أول فيه صورة عقاب مختلف الألوان، رأسه فضة، مذهب النقش، له عينان حمراوان، في وسط جبهته فص أخضر. وبند ثان فيه صورة أسد مزوق أيضا، رأسه فضة له عينان سمائيتان، وبند ثالث مطلق كبير أبيض مكتب بتذهيب في جوانبه الثلاث كتاب عريض، وفيها سيفان، وهلالان مذهبان مزوقان، وأربعة قرون للضرب جاموسية مجزعة الأطراف. ولكل واحدة منها أربع حلق فضة، للعلائق حلية أحدها فضة مذهبة ملوزة بلوز أبيض، وحلية الثاني فضة بصور، وحلية الثالث فضة منقشة مشمعة، وحلية الرابع فضة مذهبة منقشة مشجرة، وستة من الطبول المذهبة الكاملة الآلة"[٣].

ومما يصور تطور صناعة الصياغة وازدهارها في الأندلس في عصر الخلافة أن المنصور بن أبي عامر في أول أمره عمد إلى استمالة السيدة صبح البشكنسية زوجة الحكم المستنصر " فصاغ لها قصرا من فضة وقت ولايته للوكالة والخزانة، عمل فيه مدة، وأنفق فيه مالا جسيما فجاء بديعا لم تر العيون أعجب منه "[٤]. كما أورد المقري رواية طريفة تدل على براعة الصاغة الأندلسيين، ومهارتهم في تشكيل وصياغة المصنوعات الذهبية والفضية، فذكر أن المنصور بن أبي عامر لما قدم عليه رسول ملك الروم (القسطنطينية) ليطلع على أحوال المسلمين وقوتهم، أمر أن يغرس في بركة

---

(١) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة،ج٢، ص١٣٨.

(٢) البند: العلم الكبير، وهو كل علم من الأعلام وجمعه بنود. ابن منظور، لسان العرب، مج٣، ص٩٧.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٥٣.

(٤) المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٨٨؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٢.

عظيمة ذات نيلوفر (أزهار نيلوفر)، "ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضة، فسبكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة، ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي في البركة، وأرسل إلى الرومي فحضر عنده قبل الفجر في مجلسه السامي بالزاهرة بحيث يشرف على موضع البركة، فلما قرب طلوع الشمس جاء ألف من الصقالبة عليهم أقبية الذهب والفضة ومناطق الذهب والفضة، وبيد خمسمائة أطباق ذهب، وبيد خمسمائة أطباق فضة، فتعجب الرسول من حسن صورهم وجمال شارتهم، ولم يدر ما المراد، فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة، فبادروا لأخذ الذهب والفضة من النيلوفر، وكانوا يجعلون الذهب في أطباق الفضة والفضة في أطباق الذهب، حتى التقطوا جميع ما فيها، وجاؤوا به فوضعوه بين يدي المنصور، حتى صار كوما بين يديه، فتعجب النصراني من ذلك، وأعظمه وطلب المهادنة من المسلمين، وذهب مسرعا إلى مرسله، وقال له: لا تعاد هؤلاء القوم، فإني رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها"[١].

واهتم ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، بمظاهر الأبهه والترف، فتنافسوا في اتخاذ الكماليات من فاخر الثياب والملبوسات المزخرفة والعطور والجواري، والحلي والآنية والأباريق والمجامر المصوغة من الذهب والفضة، فضلا عن بناء القصور والحدائق والبرك، وتزيين مجالسها وأبهائها بالتماثيل والتحف الذهبية والفضية.

ولقد كانت القصور التي بناها بنوذي النون في طليطلة (٤٠٠-٤٧٨هـ/١٠٠٩-١٠٨٥م) مضرب المثل في روعتها وجمالها. فمجلس أحد القصور وهو قصر المأمون بن ذي النون فرش بالديباج التستري المرقوم بالذهب، كما فرش مجلس الوضوء بوطاء الوشي المرقوم بالذهب، ووضعت فيه أباريق الفضة المحكمة الصنعة، وطسوس الفضة المماثلة لأباريقها في الحسن والجلالة، والأقداح والأشناندات الفضية لاستخدامها عند الوضوء. وفي مجلس التطييب وضعت مجامر الفضة لحرق البخور[٢]. وقد زين المجلس المسمى بـ"المكرم" بصور الحيوانات والطيور والأشجار، وكانت "كل

---

[١] المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٨٥. رواية: (صاحب كتاب الأزهار والأنوار).

[٢] ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص١٣١؛ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط١، دار الثقافة، (د. ت). ص٤٣، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي.

صورة منها منفردة عن صاحبتها، متميزة من شكلها، تكاد تقيد البصر عن التعلي إلى ما فوقها. قد فصل هذا الإزار عما فوقه كتاب نقش عريض التقدير، مخرم محفور، دائر بالمجلس الجليل من داخله.. وفوق هذا الكتاب الفاصل في هذا المجلس بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الإبريز، وأرض هذه البحار مدحوة من أوراق الذهب الإبريز"[١]. ووصف ابن حيان تماثيل الأسود المنتصبة على بحيرتي القصر فقال: "ولهذه الدار بحيرتان قد نصت على أركانهما صور أسود مصوغة من الذهب الإبريز أحكم صياغة تتخيل لمتأملها كالحة الوجوه فاغرة الشدوق، ينساب من أفواهها نحو البحيرتين الماء هونا كرشيش القطر أو سحالة اللجين. وقد وضع في قعر كل بحيرة منهما حوض رخام يسمى المذبح، محفور من رفيع المرمر.. وينحصر ماؤهما في شجرتي فضة عاليتي الأصلين، غريبتي الشكل، محكمتي الصنعة، قد غرزت كل شجرة منها، وسط كل مذبح بأدق صناعة"[٢].

واشتهرت إشبيلية بصناعة الصياغة في عهد دولة بني عباد (٤١٤-٤٨٤هـ/ ١٠٢٣-١٠٩١م)[٣] وكان الصاغة يتفننون في صياغة وتشكيل تماثيل الذهب والفضة على هيئة الحيوانات لاستخدامها في تزيين البرك وساحات القصور. وكان في قصر المعتمد بن عباد (٤٦١-٤٨٤هـ/ ١٠٦٨-١٠٩١م) فيل من فضة على شاطئ بركة يقذف الماء.

وكان في قصره تماثيل عنبر، من جملتها جمل مرصع بالذهب واللآلئ[٤]. وقد أمر المعتمد يوما بأن يصاغ له غزال وهلال من الذهب، " فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال "، فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد العامري[٥]، والهلال لابنه الرشيد، وقال في ذلك:

---

[١] ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص١٣٢-١٣٣؛ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٤٣-٤٤.

[٢] ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص١٣٣-١٣٤؛ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٤٤.

[٣] المقري، نفح الطيب، مج٤، ص٢٩٧. رواية: (ابن سعيد).

[٤] الأزدي، بدائع البدائه، ص٣٧٣، برواية: (ابن بسام).

[٥] أبو الجيش الموفق مجاهد بن يوسف بن علي العامري (٤٠٨-٤٣٢هـ/ ١٠١٧-١٠٤٠م). وهو صاحب دانية والجزر الشرقية: ميورقة ومنورقة ويابسة. المراكشي، المعجب، ص٧٢، ٧٤.

بعثنا بالغزال إلى الغزال   وللشمس المنيرة بالهلال[1].

ومن الجدير بالذكر أن فخر الدولة بن المعتمد، قد احترف صناعة الصياغة[2]. وقد أورد النويري رواية طريفة بين فيها سبب اختياره لهذه الحرفة، فذكر أن فخر الدولة مر يوما في بعض شوارع إشبيلية، فرأى امرأة جميلة، فتعلق قلبه بها فخامره الهوى ومرض من ذلك. " فاتصل خبره بأبيه فسأل عن المرأة فقيل إنها ابنة خباز فأمر الوزير أن ينفذ إلى أبيها ويخطبها منه"......، فلما وصل إليه وخطبها، قال الخباز للوزير: "أله صنعة ؟" فقال الوزير: "ابن المعتمد يطلب منه صنعة وهو سلطان الأندلس"، فقال له: "أمها طالق إن زوجتها إلا ممن له صناعة يستر حاله وحالها به إن إحتاج إليها"، فأعلم الوزير المعتمد فقال: "هذا رجل عاقل"، فأمر بإحضار الصناعة إلى القصر، وعلم فخر الدولة الصياغة وحذق فيها "[3]. فلما استولى المرابطون على الأندلس، وجرى لبني عباد ما جرى، أخذ فخر الدولة يعمل بالأجرة في حوانيت الصاغة، فمر به يوما محمد بن اللبانة شاعر أبيه وهو ينفخ الفحم بقصبة الصائغ، فقال في ذلك[4].

مشكاتنا فيه يا فخر العلا عظمت   والرزء يعظم فيمن قدره عظما
وطوقت من نائبات الدهر مخنقة   ضاقت عليك وكم طوقتنا نعما
وعاد كونك في دكان قارعة   من بعد ما كنت في قصر حكى إرما
صرفت في آلة الصواغ أنملة   لم تدر إلا الندى والسيف والقلما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له   حليا وكان عليه الحلي منتظما
ما حطك الدهر لما حط من شرف   ولا تخيف من أخلاقه الكرما

---

(1) الأزدي، بدائع البدائه، ص١١٤. رواية: (ابن بسام).

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق٢، مج١، ص٧٩؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج٢، ص١٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص٣٨؛ المراكشي، المعجب، ١٦٠.

(3) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٦٨.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق٢، مج١، ص٧٩-٨٠؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج٢، ص١٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص٣٨؛ المراكشي، المعجب، ١٦٠؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٦٨؛ المقري، نفح الطيب، مج٤، ص٩٧-٩٨.

وتدل هذه الواقعة على أن المجتمع الإسلامي الأندلسي كان ينظر إلى الحرفيين والصناع نظرة تقدير واحترام، ويرى في الحرفة أمانا من الفقر.

ومن مظاهر الترف في عهد الطوائف، ما يذكر عن قصور دولة بني زيري ملوك غرناطة (٤٠٣-٤٨٤هـ/ ١٠١٢-١٠٩١ م) حيث كانت تزخر بفاخر الأثاث وأدوات الزينة من الحلي والمجوهرات، ومقادير كبيرة من المصوغات الذهبية والفضية. ومثال ذلك، أنه لما نزل الأمير عبد الله بن بلقين[١] عن أمواله ليوسف بن تاشفين، حاول أن يستبقي لنفسه ما ينتفع به، فاحتفظ بسفط ذهب فيه " عشرة عقود من أنفس الجوهر، وذهبا مبلغه ستة عشر ألف دينار مرابطية، وخواتم "[٢]، وحاولت أمه أن تسكت على نحو خمسة عشر عقدا ومقادير من الذهب، إلا أن المرابطين حالوا دون ذلك كله[٣]. ومن جملة ما وجد لديه سبحة فيها أربعمائة جوهرة قدرت كل جوهرة بمائة دينار، ومن أنواع الجواهر واليواقيت والزمرد ما لا تحصى قيمته، ومن فاخر الثياب وآنية الذهب والفضة ما لا يعرف له قيمة[٤].

كما يذكر في هذا الصدد، قصر المقتدر بالله أحمد بن هود (٤٣٨-٤٧٤هـ/ ١٠٤٦-١٠٨١م) أمير سرقسطة، وهو القصر المسمى " بقصر السرور "، وكان أروع ما فيه بهوه العظيم الذي زينت جدرانه بالنقوش والتحف الذهبية البديعة، والذي كان يسمى لذلك "بمجلس الذهب"[٥].

ويبدو أن صناعة الصياغة لم تحظ باهتمام في أوائل عهد المرابطين، نتيجة لحالة الفوضى وعدم الاستقرار السياسي، حيث اشتغل المرابطون في أمر توحيد البلاد

---

[١] هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي، آخر ملوك بني زيري بغرناطة، (٤٦٦-٤٨٣هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٠م) انظر: الصنهاجي، عبد الله بن بلقين (ت بعد ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) مذكرات الأمير عبد الله، آخر ملوك زيري بغرناطة، المسماة بكتاب " التبيان "، تحقيق، ليفي بروفنسال، دار المعارف: مصر، ١٩٥٥م.ص١٥٤-١٥٥. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الصنهاجي، كتاب التبيان.

[٢] الصنهاجي، كتاب التبيان، ص١٥٥-١٥٦؛ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٤١.

[٣] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٤١.

[٤] الصنهاجي، كتاب التبيان، ص٢٠٩ ٢١٠؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص٣٨٦-٣٨٧؛ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٤٢.

[٥] محمد عنان، نهاية الأندلس، ص٥١٢.

الأندلسية تحت رايتهم، فبذلوا قصارى جهدهم لتصفية دول الطوائف، ووقفوا في وجه الخطر الإسباني الماثل في شمال الأندلس، وبخاصة بعد سقوط طليطلة في أيدي النصارى الإسبان (سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م). الأمر الذي أدى تضاؤل كمية الإنتاج من معادن الذهب والفضة، ولم تعد الكميات المستخرجة من الأراضي الأندلسية تكفي لتلبية احتياجات هذه الصناعة، ولذا استورد المرابطون الذهب من بلاد السودان(١). واقتصرت أعمال الصاغة على صناعة الحلي لزينة النساء. وكان الصاغة يمارسون أساليب متنوعة من الغش والتدليس تمثلت بخلط المصوغات الذهبية بمعادن الفضة والنحاس والصفر(٢). كما اقتصر استعمال الذهب والفضة في عهد المرابطين على ضرب الدنانير والدراهم(٣) ويؤكد ذلك أن المستعين بن هود(٤) صاحب سرقسطة لما أهدى ليوسف ابن تاشفين أربعة عشر ربعا من آنية الفضة المطرزة باسم جده المقتدر بن هود، أمر يوسف بضربها قراريط مرابطية، وفرقها في طبقات المرابطين ليلة عيد الأضحى من سنة (٤٩٦هـ/ ١١٠٢م)(٥).

أما الموحدون، فقد استخدموا الذهب والفضة في تزيين النسيج والكتب والأواني الفخارية، فضلا عن اتخاذ الحلي وتطعيم المصنوعات الخشبية(٦)، ومثال ذلك، أن الخليفة عبد المؤمن بن علي نقل إلى جامع الكتبية بمراكش "منبرا عظيما كان قد صنع بالأندلس"، وكانت صفائحه من الذهب والفضة(٧)، كما كان منبر المسجد الجامع الذي أقامه يوسف بن عبد المؤمن في مدينة إشبيلية مرصعا " بصفائح من الذهب والفضة،

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٣٦٣؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٣.

(٢) ابن رشد، فتاوى، ص١٠٩٥-١٠٩٦.

(٣) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٣.

(٤) هو أحمد بن محمد بن سليمان بن هود الجذامي، الملقب بالمستعين، أحد ملوك الطوائف، تولى سرقسطة خلال الفترة الواقعة بين سنة (٤٧٨-٥٠٣هـ/ ١٠٨٥-١١٠٩م) إذ قدم فروض الولاء والطاعة ليوسف بن تاشفين ولذا لم يعزله. انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٣-١٧٤.

(٥) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨-٢٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٤.

(٦) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٩، ٢٣٤، ٢٥٤.

(٧) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٤٤.

وأشكال في عمله من الذهب الإبريز"[١]. ومما يدل على تقدم صناعة الصياغة في الفترة الموحدية أن تفافيح صومعة جامع إشبيلية الأربع قد موهت بسبعة آلاف مثقال يعقوبية كبار وقيل: " بمئة ألف دينار ذهبا"[٢].

أما في عهد دولة بني الأحمر ملوك غرناطة، فقد كان الصاغة يصنعون من الذهب الخالص القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل، وغير ذلك من أصناف الحلي التي كانت تتزين بها نساء الطبقة الموسرة. وكانوا يصنعون من الفضة كثيرا من الآلات وأصناف الحلي التي كانت تتزين بها نساء الطبقة المتوسطة والفقيرة[٣]. وبرع الصاغة في ترصيع بعض الحلي الذهبية بنفيس الأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والزبرجد، وهذه كانت تتزين بها الأميرات ونساء الطبقة الراقية في المجتمع الأندلسي، إذ كان هؤلاء، "ممن ترتفع طبقاتهم المستندة إلى ظل دولة، أو أصالة معروفة موقرة"[٤].

وكان استعمال الحلي شائعا على نطاق واسع بين نساء الأندلس، وبخاصة بين نساء غرناطة. اللواتي " بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبغات، والتنفيس بالذهبيات والديباجات، والتماجن في أشكال الحلي، إلى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة"[٥].

ب. النحاس والصفر والبرونز

أما صناعات النحاس والصفر والبرونز، فقد ازدهرت في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ومما ساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لهذه

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٨٧-٣٨٨.

(٢) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٩٢-٣٩٣؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٤٩.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ص١٤٤؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص٢٠٤.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٤؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص١٩٨، ٢٠٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٥؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤١؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص٢٠٤.

الصناعة كالنحاس والصفر والقصدير والكبريت والتوتيا التي تستعمل في صبغ النحاس في أنحاء مختلفة من الأراضي الأندلسية، ومهارة الصناع في استخراجها وتخليصها من الشوائب العالقة بها، وبراعتهم في مزج المواد المعدنية بعضها ببعض لإنتاج مواد جديدة يمكن استعمالها في أغراض مختلفة، ومثال ذلك مادة البرونز الناتجة عن خلط النحاس بالقصدير.

وتمتاز هذه المادة بصلابتها وسهولة تشكيلها. وقد استخدمها الأندلسيون في صناعة القناديل، والمصابيح، والشمعدانات، والثريات، والمهارس، والمباخر، والمجامر، والقصاع، وآنية الماء[١]، إضافة إلى صناعة تماثيل برونزية على هيئة حيوانات وطيور، كانت توضع حول البرك والأحواض، تمج المياه من أفواهها[٢]. وهنالك أمثلة كثيرة من نماذج هذه الصناعة ما تزال ماثلة للعيان في بعض المتاحف الأوروبية نذكر منها: وعل مدينة الزهراء المحفوظ في متحف الآثار الأهلي بقرطبة، وهو عبارة عن وعل أو غزال مجرد من قرنية، ويبلغ ارتفاعه نحو ٤٠سم، ويقوم على قاعدة مستطيلة الشكل مجوفة من الداخل، يتصل بها عند وسطها أنبوب من الرصاص يمد القاعدة بالمياه، فتصعد في الأرجل ثم في الجسم المفرغ، إلى أن تصل إلى الرأس وتنطلق بقوة من فيه. ويزدان الوعل بزخارف محزوزة من دوائر أو حلقات متصلة، بداخل كل منها ورقة النبات[٣]. كذلك عثر في قرطبة على تمثال لوعل آخر من البرونز المذهب، محفوظ اليوم في متحف الآثار بمدريد، يبلغ ارتفاعه ٣٢سم، قد ضاع قرناه وإحدى أذنيه، ويزدان هذا الوعل بزخرفة من دوائر بين سيقان متموجة على نحو أكثر تفننا وتنوعا من وعل الزهراء، وكان الماء يتخلله من أنبوبة في وسط بطنه، إذ أن أرجله صماء[٤]. كما عثر بأرضية أحد منازل قرطبة على (١٣) تحفة من البرونز والنحاس الأصفر أهمها مبخرة يبلغ ارتفاعها (١٦)سم وقطرها (٥ , ٩) سم، ومجمرة مسدسة

---

[١] مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٨٦-٤٠٠؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٣٦-١٣٧؛ كولان، الأندلس، ص١٨٢-١٨٣.

[٢] مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤٠٠؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ١٣٨.

[٣] عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٣٩.

[٤] مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤٠٠؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٤٠.

الشكل تزدان بزخارف من التوريق والكتابات وصور تمثل غزاليـــن متقـابلين بينـــهما شجرة، ومهرس (هاون) من الـــبرونز أســطواني الشــكل يــزدان بزخـــارف بـــارزة مطروقة[1]. وعثر في مونســـــون دي كامبوس (Monzon de Campos) على مــهرس كبير مزود بحلقتين ومثلثات بارزة على شكل مناقير مشتقة من مثال ما وتزينه زخـــارف محفورة ونقوش كتابية من عصر الخلافة[2].

واستخدم الأندلسيون النحاس والصفر في صناعـــة الأدوات والأوانـــي المنزليـــة، فكـــــان الصفارون (يعرف واحدهم بالصفار) يصنعون القدور والمقـــــالي[3] والأقـــداح والأسطال[4] والآنية والصناديق[5] والسكاكين والأمقاص المذهبة، وغير ذلك مـــــن آلات العروس والجندي[6]، حيث كانت المصنوعات النحاسية تعد "من متاع النساء بالنسبة إلـــى جهاز الأندلس، ومن متاع الرجال بالنسبة إلى جهاز الحضر"[7]. كما استخدموا النحـــاس والصفر في صناعة صفائح ومصاريع الأبواب فللمسجد الجامع في قرطبة " عشرون بابا مصفحة بصفائح النحاس وكواكب النحاس، وفي كل باب حلقتان في نهايـــة الإتقـــان"[8]، وفي رواية أخرى أن عدد أبوابه الكبار والصغار واحد وعشرون بابـــا، كلـــها ملبســة بالنحاس الأصفر بأغرب صنعة"[9]. وأما مدينة الزهراء فكانت مصاريع أبوابـــها التـــي تزيد على خمسة عشر ألف باب، (ملبسة بالحديد والنحاس المموه)[10].

---

(1) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٣٧-١٣٨.

(2) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٩٩.

(3) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٥.

(4) الزبيدي، لحن العوام، ص٧٥؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٣٠.

(5) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤٠١-٤٠٢.

(6) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١.

(7) الونشريسي، المعيار المعرب، ج١٠، ص٢٩٨-٢٩٩. رواية: (ابن رشد).

(8) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٦-٥٧٧؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٢٢؛ الحميري، صفــة جزيرة الأندلس، ص١٥٥.

(9) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥٠. رواية: (ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال).

(10) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٨. رواية: (ابن حيان)؛ علي الجارم، قصة العرب فـــي إســـبانيا، ص١٢٢.

وقد استخدم النحاس والصفر في صناعة الطبول[1] والثريـات، ومما يذكـر أن مسجد قرطبة الجامع، كان يشتمل على (٢٨٠) ثريا من اللاطون (الصفر)، يبلـغ عـدد كؤوسها سبعة آلاف وأربعمائة وخمسة وعشرين كأسا، وقيل: عشـرة آلاف وثمانمائـة وخمس كؤوس، وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس المذكورة عشـر أربـاع القنطـار أو نحوها[2]. وكان عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصـة (سوى ما كان منها على الأبواب) (٢٢٤) ثريا، جميعها من لاطون مختلفة الصنعة، منها أربع ثريات كبار معلقة في البلاط الأوسط، أكبرها الثريا الضخمة المعلقة في القبلة التـي فيها المصاحف حيال المقصورة، وكانت تحمل وحدها ألفا وأربعة وخمسين كأسا[3]. كما ذكر صاحب كتاب " نشق الأزهار " أن في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمـل ألف مصباح، وفيه أشياء غريبة، من الصنائع العجيبة، يعجز عن وصفـها الواصفـون، قيل أحكم عمله في سبع سنين "[4].

ومن أشهر المدن الأندلسية التي اختصت بصناعة آلات الصفـر والنحـاس فـي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مدنية قرطبة[5] والمرية[6]. بينما اختصت فـي هذه الصناعة كل من مالقة[7] ووشقة[8] (Huesca) ومرسـية[9] فـي القـرن السـادس

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٤٢٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٧٧؛ المقري، نفـح الطيـب، مـج١، ص٥٤٩. روايـة: (ابـن الفرضي)؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٤٠، كيب، مدنية المسلمين فـي إسبانيا، ص٦٥.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥١. رواية: (ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال).

(٤) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٠.

(٥) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤٠١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٣٦-١٣٨.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٨؛ المقري، نفح الطيـب، مج١، ص١٦٣.

(٧) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ٢٥٠.

(٨) الزهري، الجعرافية، ص٨٢.

(٩) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١. رواية: (ابن سعيد).

الهجري/ الثاني عشر الميلادي، واشتهرت الأخيرة بصناعة آلات الصفر والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة، ومنها كانت تصدر إلى بلاد إفريقية وغيرها(١).

وفي هذه الفترة اشتهرت الأندلس بصناعة النحاس الأصفر، وقد أشاد الدمشقي (ت بعد ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) بجودة هذه الصناعة، ومهارة الصناع الأندلسيين ذاكرا أن " النحاس صنفان، فالمعدني الأحمر ليس فيه اختلاف، وأما المصنوع الأصفر فإنه يختلف بحسب صناعه والأماكن التي عمل بها وأماكنها ورخصها"(٢).

ج. صناعة الحدادة وأعمال الحديد

كانت الحدادة من الصناعات الأندلسية المتميزة، لكونها من الصنائع الضرورية في العمران البشري.(٣) وكان الحديد من أكثر المعادن انتشارا في الأراضي الأندلسية. وقد عني الأندلسيون به عناية خاصة. وقد برع الحدادون في صناعة بعض الآلات والأدوات الزراعية، كالمناجل والمعاول* والمناقش والمناقير* والصواقير* والمناشير والغرابيل*، وسكك الحراثة(٤)، وصفائح الدواب(٥). وفي صناعة بعض الأدوات المنزلية، كالخزائن والأكواب والصناديق، والأمقاص والأثافل أو (المناصب التي تنصب عليها قدور الطعام)(٦). كما برع الحدادون في صناعة المسامير

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٠١؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٠.

(٢) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٢٧-٢٨.

(٣) انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٩٢٣-٩٢٥.

* المعول والمنقاش من المواد الضرورية لعزق الأرض وتسويتها ولإزالة الأعشاب الضارة من الحقول المزروعة، هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص٩٤.

* المنقار: أداة من الحديد كانت تستعمل لتركيب الأشجار، هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلسي، ص٩٥.

* الصاقور: الفأس العظيمة لها رأس واحد ودقيق تكسر به الحجارة. ابن سيدة، ج٣، س١٠، ص١٠٠.

* الغربال: من آلات تقليم العرائش، وهو غير الغربال المستعمل لتنقية الحبوب. وهذا الغربال عبارة عن مزبار صغير بلا فك، وهو أخف حملا في اليد من المنجل. هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص٩٥.

(٤) الزبيدي، لحن العوام، ص٩٧، ١٣٦؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٦٢، ٢٩٣، ابن بصال، الفلاحة، ص٥٥،٩٦،٩٧،١٠٣، ١٣٩؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص٩٤-٩٥.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٩؛ السقطي في آداب الحسبة، ص٧٠.

(٦) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٦، ٥٩؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٦٠.

من أوزان وأحجام مختلفة ومتنوعة، وفي صناعة الأبواب المفاتيح التي كانت تستخدم لحماية وتحصين اسوار المدن[١]، حيث كان لمدينة قرطبة سبعة أبواب من الحديد[٢]، ولطرطوشة أربعة أبواب، ملبسة بالحديد[٣]، وكان بالزهراء خمسة عشر ألف باب جميعها ملبسة بالحديد والنحاس المموه[٤].

وكان الحدادون يستعملون في صناعتهم بعض الأدوات التي تساعدهم في طرق الحديد وفي تغيير شكله على النحو المطلوب. ومن أهم هذه الأدوات " الكير "[٥]، وهو الزق الذي ينفخ فيه الحداد، أو جلد غليظ ذو حافات، يستعمل لإثارة النار وإيقادها، كي ترتفع درجات حرارتها فتؤثر في الحديد وتجعله لينا يسهل طرقه وإعطاؤه الشكل المطلوب[٦]. والكلاليب (جمع كلاب) وهي الآلة التي يمسك بها الحداد عن الإيقاد والضرب[٧].

وقد استخدم الحديد في صناعة مراسي السفن[٨]، واختصت بهذه الصناعة جزيرة شلطيش (Saltis) و[٩]، كما استخدم في صناعة الإبر والمآبر أو (مسلات الحديد)، وقد أطلق الأندلسيون على محترف هذه الصناعة اسم الأبار[١٠]. وفي صناعة السكاكين، وكان يعرف صانع السكاكين وبائعها باسم السكان[١١]. كما استخدم في صناعة الأكيال

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٣، ٣٦؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٥،٧٢، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٣٥. Imamuddin . The Economic History of Spain. P230.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٨.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣٩١.

(٤) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٨، رواية: (ابن حيان).

(٥) ابن الأبار، المقتضب، ص١٢٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٥-١٦.

(٦) الزبيدي، لحن العوام، ص٢٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٥٧؛ جواد علي، المفصل، ج٧، ص٥٥٧.

(٧) الزبيدي، لحن العوام، ص١٦٤.

(٨) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٧١، ٣٥٩.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص٥٤٢؛ انظر كذلك: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٢٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٤.

(١٠) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١١٢.

(١١) الزبيدي، لحن العوام، ص١٠١؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٢٩.

والموازين[1]. وفي صناعة أنواع عديدة من الأسلحة كالسيوف والرماح والدروع والبيضات[2] حسبما سيأتي تفصيله في الصفحات القادمة.

هذا، وقد تميزت بعض المدن الأندلسية بصناعة الآلات والعدد الحديدية؛ فاشتهرت مرسية ومالقة بصناعة آلات الحديد من سكاكين ومقصات وما شابه ذلك[3]. وتفردت إشبيلية بصناعة الفولاذ[4]. واختصت كل من المرية[5] ووشقة[6] وقرطبة[7] بصناعة " صنوف آلات الحديد ". وكانت قرطبة مركزا مهما لصناعة الآلات والأدوات الحديدية خاصة ما يتعلق منها بأعمال البناء[8].

د. صناعة الأصباغ

استفاد مسلمو الأندلس من تفوقهم في الكيمياء في ميدان الصناعة، فبرعوا في تركيب الأصباغ المختلفة الألوان، مستفيدين في ذلك من وفرة النباتات التي تدخل في صناعتها[9]، كالفوه والبقم والنيلج والزعفران والعصفر، وقشر الرمان، فاستخلصوا منها اللون الأحمر والأزرق السماوي والأصفر الذهبي، وعرفوا الألوان الأولية والمركبة من لون سحابي وكستنائي وقمحي وقرمزي وأسود وأبيض وأخضر وجوزي (وهو مركب الأخضر والأسود)[10] الأمر الذي أكسب ملابسهم الألوان الزاهية الفاخرة.

---

(1) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٩-٤٠.

(2) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٥٥.

(3) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١، رواية: (ابن سعيد)؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٢. رواية: (مسالك الأبصار)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٠.

(4) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٢. رواية: (ابن سعيد).

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٣.

(6) الزهري، الجعرافية، ص٨٢.

(7) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٤١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٣.

(8) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، ص١٣٥.

(9) ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٩.

(10) ابن رشد، فتاوى، ج٢، ص٩١٩-٩٢٠، ٩٢٣-٩٢٤؛ ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص٥٠؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣؛ جمال محرز، السجاد الإسلامي، ص١٨٥؛ مورنيو، الفن الإسلامي، ص٤١٤؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣١.

ومن مواد الصباغ غير النباتية: القرمز[١] وكان يوجد بكثرة في نواحي إشبيلية[٢] (Sevilla) ولبلة[٣] (Liebla) وشذونة (Sedona) وبلنسية[٤] (Valencia) والبيرة[٥] وغرناطة[٦] (Granada) وحصن شنش[٧]. وكان الصباغون[٨] يجمعونه عن شجر البلوط ويستخلصون منه اللون الأحمر[٩]، واستعمل بعضهم الرماد لتبييض غزل الصوف[١٠].

وكانت المصابغ تقام في العادة خارج أسوار المدن وبالقرب من مجاري الأودية والأنهار[١١]، تفاديا للروائح الكريهة من جهة، وتسهيلا لعملية الصباغة التي تعتمد في الأساس على المياه من جهة أخرى. وكان الصباغون يخضعون لرقابة المحتسب المباشرة، فكان يفرض عليهم أن لا ينشروا الثياب المصبوغة المبلولة على الطرقات[١٢]، وأن يصبغوا المنسوجات المصنوعة من القطن والكتان باللون السحابي، لأن الألوان الأخرى لا تثبت عليها[١٣]. وكانت أسعار الصباغ تتفاوت بتفاوت ألوانها، وهي: (كسوتان ونصف من سمائي أو أحمر بمثقالين، والأخضر ثلاث كسى بمثقال، والكسوة أربعة وعشرون ذراعا"[١]. وكان الصباغون يتفننون في صناعتهم ويتقنونها، ومما يدل

[١] القرمز: صبغ أرمني أحمر يقال إنه من عصارة دود يكون في آجامهم، فارسي معرب، ويقال أنه حيوان تصبغ به الثياب فلا يكاد ينصل لونه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ص٣٩٤.

[٢] العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١، ٢٠٨.

[٣] البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧؛ ابن الشباط، صلة السمط، ص١٤٥: رواية: (البكري)؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤١.

[٤] البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤١: رواية: (البكري).

[٥] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٠٥.

[٦] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٢٣.

[٧] من أعمال المرية، المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٤.

[٨] الصباغون، يعرف واحدهم بالصباغ، وهو معالج الصبغ، وحرفته الصباغة، ابن منظور، لسان العرب، مج٨، ص٤٣٧.

[٩] ذكر المقري أن القرمز نوع من الأمنان التي تنزل من السماء على شجر البلوط، فيجمعها الناس ويصبغون به، انظر: المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١.

[١٠] يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص١٢٤-١٢٥.

[١١] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٧٨. رواية: (ابن سعيد).

[١٢] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة والمحتسب، ص١١١.

[١٣] السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣.

أربعة وعشرون ذراعا"[1]. وكان الصباغون يتفننون في صناعتهم ويتقنونها، ومما يدل على ذلك أن الخياطين قد كانوا يأخذون الملاحف البالية من القطن والكتان فيصبغونها ويكمدونها ويصنعون منها المحاشي* والسراويل ويبيعونها كالجديدة[2].

ومن أهم المراكز الأندلسية التي اختصت بصناعة الأصباغ في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لبلة[3] وطليطلة التي اشتهرت بالصبغ السماوي الذي كنت تصدره إلى نواحي الأندلس المختلفة[4]. واختصت مالقة[5] وإشبيلية[6] بهذه الصناعة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. واشتهرت قرية نارجة في أعمال مالقة بصناعة الأصباغ في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وفيها كان يقام موسم سنوي لصباغة الحرير، فذكر ابن سعيد " أنه اجتاز مرة عليها مع والده ابي عمران موسى، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم، وقد ضربوا في بطن الوادي بين مقطعاته خيما، وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب، وسألوا: بم يعرف ذلك الموضع ؟ فقالوا: الطراز، فقال والدي: اسم طابق مسماه، ولفظ وافق معناه، وقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لسانا قائلا فقل:

ثم قال أجز: بنارجة حيث الطراز المنمنم. فقلت: أقم فوق نهر ثغره يتبسم. فقال: وسمعك نحو الهاتفات فإنها. فقلت: لما أبصرت من بهجة تترنم"[7]

---

(1)ابن رشد، فتاوى، ج٢، ص٩١٩-٩٢٠؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣١. * اللحاف: الغطاء الذي يكون على الأسرة خاصة، وقيل: اللحاف والملحفة كل ما التحف به من ثوب أو برد أو كساء في حالة قيام أو قعود أو اضطجاع، الزبيدي، لحن العوام، ص٢٤٢.

* المحاشي: أكسية خشنة واحدها محشاة والجمع محاش، ويبدو أن كلمة محشاة كانت تدل على لباس غليظ كان يلبس في الأندلس من قبل عامة الشعب. انظر: دوزي، المعجم المفصل، ص١١٨.

(2) ابن رشد، فتاوى، ج٢، ص٩٢٣-٩٢٤؛ إحسان عباس، نوازل ابن رشد، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية في بيروت، س٢٢، ج٣-٤، ١٩٦٩م، ص١٣، ١٤، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: إحسان عباس، نوازل ابن رشد.

(3) ابن الشباط، صلة السمط،ص١٤٥. رواية: (البكري)؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٨.

(4) البكري، جغرافية الأندلس، ص٨٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٤٣.

(5) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣.

(6) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٢٩،٤٩ ٥٠؛ الأزدي، بدائع البدائه، ص٧٣-٧٤.

(7) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٧٨. رواية: (ابن سعيد).

هـ. صناعة الورق

كانت الشعوب في العصور القديمة وفي أوروبا خلال معظم العصور الوسطى تستخدم البردي أو الرق (الجلد الرقيق) للكتابة، وهما مادتان باهظتا الثمن، إما لندرتهما أو للمجهود الذي يبذل في سبيل تجهيزهما. أما العرب فقد استخدموا الورق منذ عصر مبكر، وتقدمت صناعته لدرجة أنها قضت على استخدام البردي القديم، وقللت إلى درجة كبيرة من استخدام الرق للكتابة(١).

ومن المعروف أن أهل الصين كانوا أول من عرف صناعة الورق في العالم، ثم نقله العرب المسلمون عنهم، فانتشرت صناعته في أقطار المشرق والمغرب الإسلامي. وكانت أول مدينة إسلامية يصنع فيها الورق؛ هي مدينة سمرقند التي فتحها المسلمون سنة (٧٨هـ/ ٧٠٥م). ذلك أن هذه المدينة تعرضت في الفترات اللاحقة لهجمات القبائل التركستانية وحلفائها الصينيين، الأمر الذي اضطر زياد بن صالح حاكم سمرقند من قبل العباسيين إلى إرسال حملة لتأديبها وإخضاعها، فحققت هذه الحملة إنتصارا عظيما عليها سنة (١٣٤هـ/ ٧٥١م)، ووقع في أيدي المسلمين عدد من الأسرى الصينيين الذين برعوا في صناعة الكاغد أو (الورق)، وجيء بهم إلى مدينة سمرقند، حيث علموا أهلها هذه الصناعة، فازدهرت فيها ازدهارا كبيرا وعمت شهرتها الأقطار(٢). وظلت سمرقند تمد الأقطار الإسلامية الأخرى بما تنتجه معاملها من صنوف الورق. ولكن الحال لم تدم طويلا، إذ لم تلبث أن انتقلت صناعة الورق إلى بعض البلدان الإسلامية الأخرى وفي طليعتها مدينة بغداد، حيث انشأ الفضل بن يحيى البرمكي (١٤٧-١٩٣هـ/ ٧٦٥-٨٠٨م) أول مصنع للورق في بغداد سنة (١٧٨هـ/ ٧٩٤م)، وذلك في عصر الخليفة

---

(١) خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب (١)، ص٨٠.

(٢) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي، مج٢٣، ج٣، تموز ١٩٤٨م. ص٤١٧-٤١٩، سيشار له فيما بعد: كوركيس، الورق أو الكاغد؛ انظر كذلك: عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ط٣، وكالة المطبوعات: الكويت، دار القلم بيروت: لبنان، ١٩٧٩م. ص٣٧-٣٨. سيشار له فيما بعد: عبد الرحمن بدوي، دور العرب؛ أحمد شوقي الفنجري، العلوم الإسلامية، ج٣، ط١، إشراف: صالح عبد الله جاسم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة الثقافة العلمية، ١٩٨٥. ص٨٨، سيشار له فيما بعد: الفنجري، العلوم الإسلامية؛ ستانوودكب، المسلمون في تأريخ الحضارة، ص٩٩.

هارون الرشيد[1]. وبعد أن اتسع نطاق صناعة الورق في العراق، انتقلت منه إلى بلاد الشام، فأنشئت معامل صنعت أنواعاً نفيسة منه في كل من طرابلس وطبرية، ودمشق وحلب، وحماة[2]. ثم انتقلت إلى مصر، فانتشرت فيها المعامل التي أجادت صنعه ووفرت كمياته، بحيث أخذ الرق الجلدي والبردي المصري في الاختفاء[3].

وانتقلت صناعة الورق في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى مناطق الشمال الإفريقي، وازدهرت في كل من القيروان وتونس والمهدية. ومن القيروان انتقلت إلى الأندلس[4]. ومن هذه الأخيرة انتقلت صناعته إلى غربي أوروبا، بعد أن كان الأوروبيون يستخدمون الرق المصنوع من جلد الخراف والعجول للكتابة عليه[5]. وتجدر الإشارة إلى أن صناعة الورق عند العرب كانت تعتمد على القطن والكتان ومصادر نباتية أخرى، ومما لا شك فيه أن تنوع المواد الأولية للورق، أدى إلى ظهور جملة أنواع منه تختلف في سمكها ومتانتها وصقلها ولونها[6].

ويبدو أن صناعة الورق أدخلت إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[7]، إذ يوجد لدينا بعض الشواهد التاريخية التي تشير إلى ذلك، فهذا (ابراهيم بن سالم التونسي) ويعرف بالوراق، ممن درس بمدينتي تونس والقيروان، وحذق صناعة الرق والوراقة حتى تلقب بها، ثم قصد الأندلس واتصل بالأمير الحكم بن عبد الرحمن الناصر قبل تولية الخلافة فخصه لصنعة الورق، وقد عمل كثيرا منه لمكتبة الأسرة

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٩٦٢؛ كوركيس، الورق أو الكاغد، ص٤٢٦-٤٢٧؛ عاشور، المدينة الإسلامية، ص١٨٦، ريسلر، الحضارة العربية، ص١٨٥.

[2] كوركيس، الورق أو الكاغد، ص٤٢٩-٤٣١؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٧-٣٤٨.

[3] كوركيس، الورق أو الكاغد، ص٤٣١؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٧.

[4] حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ق٢، مكتبة المنار: تونس، ١٩٦٦م. ص١٦١-١٦٢،١٦٤سيشار له فيما بعد: عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية.

[5] عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية، ص١٦٧؛ عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص٩٤.

[6] كوركيس، الوراق أو الكاغد، ص٤٢١.

[7] يذكر ستانوودكب أن صناعة الورق أدخلت إلى الأندلس في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، واتخذت لها مركزا في طليطلة، ومنها انتشرت تحت رعاية مسلمي الأندلس إلى ممالك إسبانيا المسيحية، ستانوودكب، المسلمون في تأريخ الحضارة، ص١٠٠.

الأموية الحاكمة، ويذكر أن هنالك قطعة من هذا الورق ما زالت محفوظة في جامع القرويين بمدينة فاس[١].

وهذا "عباس بن عمرو بن هارون الكناني، ويعرف بالوراق، من أهل صقلية، يكنى: أبا الفضل، خرج من صقلية إلى القيروان سنة خمس عشرة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) فلم يزل به إلى أن خرج إلى الأندلس، فقدمها فيما أخبرني سنة ست وثلاثين (٣٣٦هـ/ ٩٤٧)، واتصل بولي العهد الحكم بن عبد الرحمن (رحمه الله) فتوسع له في الورق، وصار من جملة الوراقين"[٢]. ومن الشواهد التاريخية الأخرى التي تشير إلى احتمالية صنع الورق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ازدهار صناعة الوراقة وهي صناعة نسخ الكتب وضبطها وتجليدها في الأندلس[٣] وبلوغها درجة كبيرة من الجودة والإتقان[٤]. وكانت صناعة الوراقة تمارس من قبل الرجال والنساء على حدٍ سواء، وكان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[٥]، مما يدل أيضاً على وفرة الورق في الأندلس.ويضاف إلى ذلك انتشار المكتبات العامة والخاصة، وما كانت تحويه من الكتب، فيذكر مثلاً أن مكتبة الحكم المستنصر كانت تحتوي على أربعمائة ألف مجلد، وأن فهرسها المشتمل على

---

[١] عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية، ص١٦٢.

[٢] ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، تاريخ علماء الأندلس، ق١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦م. ص٢٩٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس.

[٣] لمزيد من المعلومات عن صناعة الوراقة في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. انظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١: ص١٧، ٢٩٩، ق٢: ص١٣٤،١٧٥، ١٩٩، ٢٠٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص١٤-١٥؛ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف عبد الملك (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، كتاب الصلة، ق١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م. ص٥، ٣٠٩، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن شكوال، كتاب الصلة، ابن الأبار، أبو عبد الله محمد، (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، التكملة لكتاب الصلة، ج١، عني بنشره: عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة مصر، ١٩٥٦. ص١٩٢، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن الآبار، التكملة؛ ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٩٦١-٩٦٢؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١١١؛ خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب (١)، ص٧٧ ٩٥.

[٤] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٩؛ Imamuddin ,The Economic Of History Spain, P 218.

[٥] المراكشي، المعجب، ص٣٧٢؛ خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب (١) ص٩٤؛ بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص٣٦.

عناوين الكتب وأسماء المؤلفين مكون من أربعة وأربعين سجلا كل سجل منها يشتمل على خمسين ورقة[١].كما كانت مكتبة عبد الرحمن بن فطيس (ت ٤٠٢هـ/ ١٠١١م) تحوي عددا كبيرا من الكتب، وكان يعمل فيها باستمرار ستة وراقين، ينسخون الكتب، ويتقاضون على ذلك أجرا ثابتا، ومما يذكر أن الكتب التي كانت تحويها هذه المكتبة بيعت في قرطبة بعد وفاة ابن فطيس " فاجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية يبلغ صرفها ثمانماية ألف درهم "[٢].

ومما سبق ذكره يفهم أن مادة الورق كانت وفيرة في الأسواق الأندلسية، بحيث شاع استعمال الورق للكتابة بين الخاصة والعامة، ولم يقتصر استعماله على فئة معينة من الناس، ومما يؤكد ذلك أنه ما زال يوجد في مكتبة الإسكوريال مخطوطات مكتوبة بالعربية والإسبانية على أوراق مصنوعة من القطن تعود إلى بدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٣].

وبفضل وفرة الورق في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، توصل الأندلسيون إلى اختراع الطباعة، إذ ألف أحدهم كتابا في هذا المجال إلا أنه لم يصل إلينا[٤]، ولكن أشارت بعض المصادر إلى أن بدر[٥] وصيف الأمير عبد الله، أعتقه الأمير وصرفه في الخطط الشريفة، ثم ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر الوزارة والحجابة والقيادة والخيل والبرد، وكان " ينفرد بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج إليه، فتبعث في العمال وينفذون على يديه "[٦]. وبذلك يكون الأندلسيون قد عرفوا الطبع قبل مخترعه المشهور غوتنبرغ الألماني بأربعمائة سنة،

[١] خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب (١)، ص٨٧-٨٨. بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص٣٦.

[٢] ابن شكوال، كتاب الصلة، ق١، ص٣٠٩-٣١٠؛ ابن فرحون المالكي، (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت) ص٤٧٨، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب.

[٣] Imamuddin , The Economic History of Spain , P218.

[٤] يذكر محمد كرد علي أن مؤلف هذا الكتاب هو: أبو بكر القدسي الأندلسي. انظر: محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج١، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٢٥، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: محمد كرد علي، الإسلام والحضارة.

[٥] هو بدر بن أحمد الصقلي وصيف الأمير عبد الله، وقد سبقت الإشارة إليه. ومن الغريب: أن تصفه المصادر بالخصي، ويكون له رغم ذلك أبنان هما عبد الرحمن وعبد الله. انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٢-٢٥٣.

[٦] ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٢-٢٥٣.

الأندلسيون قد عرفوا الطبع قبل مخترعه المشهور غوتنبرغ الألماني بأربعمائة سنة، ولكن بغير الحروف المنضدة[١].

ويؤكد البعض أن مدينة شاطبة (Jativa) اشتهرت بصناعة الورق منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٢]، ومن ثم انتقلت هذه الصناعة إلى مدينة طليطلة (Toledo) في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٣]. أما في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فقد اشتهرت صناعة الورق في كل من غرناطة (Granada)، وبلنسية (Valencia)، وشاطبة، وقد حظيت شاطبة بشهرة واسعة في هذا المجال[٤] إذ كان " يعمل بها من الكاغد مالا يوجد له نظير بمعمور الأرض، ويعم المشارق والمغارب "[٥]. وكانت شاطبة تصدر ورقها إلى معظم بلدان أوروبا الغربية وبأسعار معقولة، مما ساعد على انتقال صناعة الورق في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، إلى ممالك إسبانيا المسيحية وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا[٦].

---

(١) اخترع غوتنبرغ الطباعة في حوالي سنة ٨٤٤هـ/١٤٠٠م. انظر طه حسين بك، آراء حرة، عني بنشره: قسم الخدمات العامة للجامعة الأمريكية بالقاهرة، المطبعة العصرية، (د.ت)، ص٦٦ ٦٧، سيشار له فيما بعد: طه حسين بك، آراء حرة؛ عبد الله بن العباس الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذ يتهم لأوروبا، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٦١ م، ص٢١٧، سيشار له فيما بعد: الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات؛ حموده، تاريخ الأندلس السياسي، ص٣١٦؛ ريسلر، الحضارة العربية؛ ص١٨٦؛ ستانوود كب المسلمون في تأريخ الضارة، ص١٠٠، محمد كرد علي، الإسلام والحضارة، ج١، ص٢٢٥.

(٢) عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص٣٨.

(٣) عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص٣٨؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص٤٤٧.

(٤) عبد الرحمن بدوي، دور العرب، ص٣٨؛ محمد عنان، نهاية الأندلس، ص٤٤٧؛ العبادي الحياة الاقتصادية، ص٣٤٨؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٢٣-٢٢٤؛ الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص٢١٠.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٦؛ انظر: المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٩.

(٦) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص٥٠؛ الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص٢١٠ Imamuddin , The Economic History Of Spain . P.219-220.

ويبدو من المخطوطات المحفوظة في المكتبات الإسبانية أن الورق الأندلسي كان يصنع من القطن والكتان والقنب، وكذلك من ألياف نبات الشهدانج(١). ومن الجدير ذكره أن الأندلسيين نجحوا أيام المرابطين في صناعة الورق الملون(٢)، ومن ثم تقدمت هذه الصناعة وتطورت خلال العصر الموحدي، حتى أنها بلغت الغاية في الجودة والإتقان، فقد روى المقرّي أن أحد المغاربة كتب إلى الملك الكامل ابن العادل الأيوبي (٦١٥-٦٣٦هـ/ ١٢١٨-١٢٣٨م) "رقعة في ورقة بيضاء إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية، وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت في الظل كانت حبراً أسود"(٣).

وقد نوه المقري بالورق المنصوري(٤) في بلاد الأندلس. وكان لهذا الورق شهرة بعيدة في كثير من الأقطار الإسلامية حتى أنه صار يصنع في جملة أماكن، من بينها العراق ومصر والأندلس، وذلك من باب التقليد والاقتباس(٥). واستمرت الأندلس بصناعة الورق خلال عهد الدولة النصرية. وكان الورق الإسلامي خلال هذه الفترة لا يستعمل إلاّ في جزيرة الأندلس ومدينة فاس، بينما بقية بلدان المغرب الإسلامي كانت تستعمل الورق الرومي(٦).

أما عن كيفية صناعة الورق في الأندلس، فقد زودنا المكناسي (ت ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) بنص مهم جداً، يوضح الطريقة التقليدية لهذه الصناعة، حيث شاهدها في مدينة شقوبية (Segovia) الإسبانية. ورغم أن المصدر متأخر قليلاً إلا أنه يمكننا الإفادة منه، وبخاصة إذا ما عرفنا أن الإسبان قد نقلوا صناعة الورق عن مسلمي الأندلس.

---

(١) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٨؛ الجراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات، ص٢١٠؛ ستانوودكب، المسلمون في تأريخ الحضارة، ص٩٩؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص٤٤٧؛ Imamuddin , The Economic History of Spain.P.220.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص٤٥؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٢٤.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج٤، ص٣٢٥-٣٢٧؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٢٤.

(٤) الورق المنصوري: ذكر السمعاني في كتابة الأنساب ضرباً من الورق، سماه " الكاغد المنصوري ". قال: وممن عرف بالكاغدي: " أبو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحمن الكاغدي، من أهل سمرقند وإليه ينسب الكاغد المنصوري المشهور ببلاد خرسان، توفي سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م بسمرقند " انظر: كوركيس، الورق أو الكاغد، ص٤٢٣.

(٥) كوركيس، الورق أو الكاغد، ص٤٢٣.

(٦) الونشريسي، المعيار المعرب، ص١، ص٨٥.

وفي ذلك يقول المكناسي:

"وقد أرونا بشقوبية الدار التي يصنع بها الكاغيد، وذلك أنهم عمدوا إلى وادي شقوبية، وأخذوا منه ساقية كبيرة ابتنوا عليها الدار المذكورة والآلات التي يخدم بها الكاغيد كلها بحركة الماء. وكيفية ذلك أنهم يجمعون من خرق الكتان المتلاشي شيئاً كثيراً يجلب إليهم من سائر البلدان، وقد أرونا من ذلك مخازن كثيرة مملوءة منه، ويخرجون منه شيئاً فشيئاً إلى نساء عجائز يميزون منه الجيد والوسط والرديء، وعندهم صهريج من خشب كبير تصب فيه أنابيب الماء يرسلونها وقت الاحتياج إليها ويمسكونها بعد، فيجعلون في الصهريج المذكور الخرق من جنس واحد بعد تمييزه، ويطلقون عليه الماء حتى يمتلئ الصهريج، ويغسلون الخرق المذكورة من الاوساخ حتى ينظفونها كما ينبغي، ويخرجونها من الصهريج ويجعلونها في موضع آخر متراكم بعضها فوق بعض، ويتركونها أياماً إلى أن تتلاشى وتنتن رائحتها وتعفن، ويقطعونها بعد ذلك إرباً إرباً. ولهم موضع فيه جفن مستطيل، في طول نحو الثلاثين شبراً وعرض نحو الخمسة أشبار، وقد نصبوا عليه قوائم الخشب في رؤوسها حدائد مثل المدي لها حركات بالماء تضرب في الجفن المذكور، فيجعلون الخرق الممزقة فيها، وترسل حركات الماء على قطع الخشب وتضرب في الجفن على الخرق إلى أن تصير مثل العجين، وينقلونها إلى موضع آخر فيعيدونها بالخدمة إلى أن تصير خدمة ذلك الغاية المعتادة، وعندهم صهريج آخر يملؤونه ماء، ويجعلون فيه الكتان المخدوم، ويحركونه بأعمدة، ويأتي المعلم بالقالب من السلك الرقيق فيغمسه في الماء، فيرفعه وقد علق به شيء من ذلك الماء الأبيض، فيقبضه من عنده معلم آخر ويضع القالب على حصيرة صغيرة من الحلفاء على قدر قالب الكاغيد، فيضع القالب عليها وقد علق بها ما كان به، وهي ورقة، ويجعل فوقها حصيرة مثلها، ويجعل عليها قالباً آخر وهكذا حتى يجعل رزمة مثل نصف قامة، ويجعلونها تحت تخت[1] ويديرونها عليها حتى يخرج جميع ما علق بها من الماء، ويأتي معلم آخر ويخرج الرزمة من التخت وينتزع الحصيرة العليا ويزيل الورقة التي تحتها ويجعلها على لوح، ويستمر على عمله إلى أن يزيل جميع ما بتلك الرزمة من الأوراق ويجعلها بعضها فوق بعض وبها بقية بلل، فيضعها في خزين معد عنده لذلك، وقد أدخلني إليه فوجدته مملوءاً من ذلك، وقد أدخلني موضعاً آخر فوجدته مملوءاً من

(1) التخت: آلت تستعمل لعصر الورق.

أطراف صغار من جلد البقر، وأصفاق ورقائق الجلد، فيطبخون من ذلك شيئاً فشيئاً وماؤه هو بمنزلة النشا، فحين يطبخ يخرجون الماء من الطنجير ويصبونه في جابية من الحجر، ويأتون بالرزمة من الكاغيد، وقد يبست وتلاصقت أوراقها، فيجعلونها في ماء الجلد المذكور إلى أن يتخللها البلل، ويجعلها تحت تخت، ويديره عليها إلى أن يخرج جميع ما علق بها من الماء، ويخرجها من تحت التخت، ويزيل الأوراق واحدة بعد واحدة، بعد أن ينفح على كل منها وينشرهم على أحبال حتى ييبسوا[١].

و. الزيوت والصابون

اشتهرت الأندلس بصناعة زيت الزيتون، وكان الزيت يستخلص بثلاث طرق وهي: العصر أو الطحن أو الغلي[٢]. وكانت معاصر الزيت منتشرة في مناطق لَوْشَه[٣] (Loja)، وبلّش[٤] (Velez) وغرناطة[٥]، وألش (Elche) وإشبيلية (Sevilla). وقد كان في مدينة ألش مائة وإحدى وعشرون معصرة بينما كان في مدينة إشبيلية أكثر من ثلاثمائة معصرة[٦]. وكانت معاصر الزيت تدار إما بقوة الماء أو الحيوانات[٧].

وتعتبر مدينة إشبيلية من أشهر المدن الأندلسية التي اختصت في إنتاج الزيت. ويمتاز زيتها بالرفعة والجودة لدرجة أنه يبقى برقته وعذوبته أعواماً دون أن يتغير طعمه[٨]. ولذا كان يشكل تجارة رابحة لأهل إشبيلية، إذ احترف بعض السكان تجارة

---

(١) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص١٣١-١٣٢.

(٢) أشارت كتب الفلاحة الأندلسية إلى بعض الطرق التي استخدمها الأندلسيون لعصر الزيتون واستخلاص الزيت منه، فمنهم من كان يبني بعضه على بعض بغصون الصفصاف ويلف عليه حبلاً ثم يكبسه باليد فيخرج الزيت النقي الصافي، ومنهم من كان يطحنه طحناً شديداً ثم يعصره فيخرج زيت أغلظ من الأول، ومنهم من كان يطحنه ويلقي عليه الماء الساخن ثم يرفعه في إناء لمدة ثلاثين يوماً فيخرج الزيت الصافي، وهو من أجود أنواع الزيت. انظر: ابن حجاج الإشبيلي، المقنع في الفلاحة، ص٥٤-٥٥؛ أبو خير الأندلسي، الفلاحة، ص٥٨-٥٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٩.

(٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٩٤.

(٤) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٧، ص١٤٠.

(٥) يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية، ص١٤١.

(٦) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، ص٣٩-٤١، ١٥٨-١٥٩.

(٧) Imamuddin , The Economic History Of Spain, P186.

(٨) العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٥؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٢.

الزيت[1]، فكان الفائض منه يصدّر إلى سائر بـــلاد الأندلس وبلاد الـــروم والمغــرب وإفريقية ومصر والإسكندرية، وقد يصدر بعضه إلى اليمن[2].

ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اختصت بصناعة زيت الزيتون، مدينة شـــوذر (Jodar) التابعة لجيان، وتعرف بغدير الزيت لكـــثرة زيوتـــها[3]. ومدينـــة لورقـــة[4]، ولَقْنت[5]، وقَفــــرة[6]، وتُدمير[7]، وقُلمرية[8].

وبالإضافة لزيت الزيتون برع الأندلسيون في استخلاص الزيوت والأدهان مـــن النباتات والبذور[9]، ومن جملتها زيت الجلجلان والكتـــان والجـــوز والشـــيرج (زيـــت السمسم)، ودهن اللوز والبطم والقطن والسوسن ودهـــن نـــوى المشـــمش[10] والبنفســـج والبابونج[11]. وكانت هذه الأدهان والزيـــوت تســـتعمل بكـــثرة مـــن قبـــل العطّـــارين والصيادية[12].

وكانت الزيوت تستعمل في تحضير أطباق الطعام الشهية، فضلاً عن اســـتخدامها كمادة للإنارة، وعلى سبيل المثال نذكر أن مسجد قرطبة الجـــامع فـــي القـــرن الرابـــع الهجري/ العاشر الميلادي كان يستهلك من الزيـــت ســـنوياً مائـــة وخمســـة وعشـــرين

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج5، ص541؛ الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص51؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص21؛ الحميري، الروض المعطار، ص59؛ المقري، نفح الطيـــب، مج1، ص158. مـــج 3، ص213.

(2) الزهري، الجعرافية، ص89.

(3) الحميري، صفة جزيرة الأندلس ص117.

(4) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص52.

(5) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص274.

(6) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص282.

(7) العذري، ترصيع الأخبار، ص4-5.

(8) Imamuddin , The Economic History of Spain.P186.

(9) كان لهذه النباتات والبذور معاصر خاصة بها حتى لا تختلط بزيت الزيتون. انظر الســـقطي، فـــي آداب الحسبة، ص68.

(10) السقطي، في آداب الحسبة، ص42؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص105.

(11) القرطبي، تقويم قرطبة، ص75،91.

(12) السقطي، في آداب الحسبة، ص41-42.

قنطاراً[1]، منها في شهر رمضان خمسة وسبعون قنطاراً، ومن هذه ثلاثون قنطاراً في ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان[2].ومن المدن الأندلسية الأخرى التي اختصت بصناعة زيت الزيتون، مدينة شوذر(Jodar) التابعة لجيان، وتعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها[3]. ومدينة لورقة[4]، ولَقْنت[5]، وقْبَرة[6]، وتُدمير[7]، وقُلمرية[8].

وبالإضافة لزيت الزيتون برع الأندلسيون في استخلاص الزيتون والأدهان من النباتات والبذور[9]، ومن جملتها زيت الجلجلان والكتان والجوز والشيرج (زيت السمسم)، ودهن اللوز والبطم والقطن والسوسن ودهن نوى المشمش[10] والبنفسج والبابونج[11]. وكانت هذه الأدهان والزيوت تستعمل بكثرة من قبل العطارين والصيادلة[12].

والزيت من المواد الأساسية التي تدخل في صناعة الصابون، كما كانت تستعمل في تحضير بعض المواد الأخرى، كمادة القَطَران التي كانت تستخرج من شجر العرعر[13]. ويطلق على صانع الصابون وبائعه في الأندلس لقب "الصّابوني"[14]. ورغم

---

(1) القنطار الواحد = أربع أرباع، والربع =٢٥ رطلاً، والرطل =١٦ أوقية. وبالتالي فإن القنطار =١٠٠ رطل أي ما يعادل ١٦٠٠ أوقية. انظر: السقطي، في آداب الحسبة، ص١٣، ٢٧-٢٨.

(2) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٨-٢٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢، ص٢٧٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٤٩.

(3) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٧.

(4) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٥٢.

(5) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٧٤.

(6) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٢.

(7) العذري، ترصيع الأخبار، ص٤-٥.

(8) Imamuddin , The Economic History of Spain. P186.

(9) كان لهذه النباتات والبذور معاصر خاصة بها حتى لا تختلط بزيت الزيتون. انظر: السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٨.

(10) السقطي، في آداب الحسبة، ص٤٢؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٥.

(11) القرطبي، تقويم قرطبة، ص٧٥، ٩١.

(12) السقطي، في آداب الحسبة، ص٤١-٤٢.

(13) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٩٤.

(14) انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢٦٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٥٠؛ المقري، نفح الطيب، مج٢، ص٦٠٩.

قلة المعلومات الواردة عن هذه الصناعة، إلاّ أنه يفهم من بعض الإشارات أنها كانت من بين الصناعات الأندلسية الرائجة، حيث كان الأندلسيون يعتنون عناية فائقة بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، "وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه"[١]. ومن هذه الإشارة يفهم أن مادة الصابون كانت متوافرة في أسواق المدن الأندلسية، ومن بينها أسواق مدينة قرطبة التي انتشرت بها دكاكين صناعة الصابون[٢].

كما يجب أن نأخذ بالاعتبار ظاهرة انتشار الحمامات العامة في المدن الأندلسية وما تستهلكه من مادة الصابون، وخاصة إذا ما علمنا أن عدد الحمامات قد وصل إلى (١٢٠٠) حمام في مدينة قرطبة وحدها، وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٣].

ز. الخزف

اشتهرت الصناعات الخزفية[٤] في الأندلس منذ وقت مبكر، فوجدت في مالقة (Malaga) و بلنسية (Valencia) وطليطلة (Toledo) وقلعة أيوب (Calatayub) ومرسية (Murcia) وبرشلونه (Barcelona)[٥]. وامتازت المصنوعات الخزفية بتنوعها من حيث الشكل وطرق الزخرفة وأساليب الصناعة، إذ تأثرت هذه الصناعة بالمنتجات الخزفية الإيرانية والعراقية والبيزنطية والقوطية[٦].

وبلغت الصناعة الخزفية منذ مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي درجة كبيرة من الإتقان والرقي. فبرع الفخارون في إنتاج أنواع عديدة من الأدوات والأواني

---

[١] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٢٣.

[٢] القاضي عياض، ترتيب المدارك، ص٦٨٢.

[٣] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٧٩.

[٤] الخزف: ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخّاراً، واحدته خزفه، ويقال لمحترف هذه الصناعة الخزاف والفخار. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص٦٧؛ زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١٢٢.

[٥] Williams , The Arts And Crafts of Older Spain, II,P.118-119.

[٦] مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٦٩-٣٧٠؛ كولان، الأندلس، ص١٧٩؛ Imamuddin, The Econoic History of Spain,P.233.

الفخارية لتلبية احتياجات الناس ورغباتهم. ومن جملة ذلك: القدور والجرار والقلل والقصاع والأباريق والكؤوس والأطباق والصحون والقوارير والقناديل والمصابيح[١]. وتدل البقايا الخزفية من آثار الزهراء(Alzahra) وإلبيرة (Elvira) وقرطبة (Cordoba) على وجود ثلاثة أنواع من الخزف في عصر الخلافة، وهي: الخزف الشعبي، والخزف المزجج، والخزف المذّهب[٢].

أما " الخزف الشعبي "، الذي شاع استعماله بين عامة الناس، فينقسم إلى نوعين: الأول، مجرد من الزخرفة، والثاني يزدان بزخارف ساذجة مدهونة بألوان مختلفة على سطح الآنية مباشرة، تمثل في معظم الأحيان رسوماً هندسية من دوائر ومعينات[٣]. وأما الخزف المزجج، فقد عثر على كميات كبيرة منه مختلفة الأشكال والألوان، وكان من جملتها جرار مخروطية، وقدور ذات أربعة مقابض مزخرفة، وأباريق مختلفة الأشكال، وقلل، وقصاع، وقناديل، ومصابيح، وأكواب مخروطية، وطاسات مطلية باللون الأصفر والأخضر، وجرار وأطباق تحمل زخرفة مطلية باللون الأبيض على الطمي الأحمر، وتزدان بزخارف تمثل دوائر ومعينات ونقط وسيقان نباتية، وأطباق وصحون مزدانة برسوم حيوانية وآدمية، وكتابات كوفية حسنة الزخرفة، وقد جرت العادة أن تزدان الأطباق المزججة باللون الأصفر بزخارف من لون أسود[٤].

أما الخزف المُذّهَّب المسمى " بالخزف ذي البريق المعدني "، فقد ازدهرت صناعتة في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي[٥]، ثم انتقلت إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث اكتشفت قطع من هذا النوع في مدينة الزهراء، وأكبرها قطعة يظهر فيها رأس حصان، وهناك " قطع أخرى عليها كتابات وليست بذات أهمية كبيرة. ولكن تفوق ما استورد من قطع أخرى عثر عليها في الزهراء وببشتر ومدينة سالم، وتختلف عن تلك إلى حد يجعلنا نوقن بأنها صنعت في إسبانيا نفسها من طينة:" ذات لون شديد الصفرة معتم في غير نقاء، مع

---

[١] مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٧٠ ٣٧٣.

[٢] مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨٢؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ١٤٩-١٥٠.

[٣] عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٥٠.

[٤] مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٧١-٣٧٢.

[٥] المصدر نفسه، ص٣٨٢؛ عاشور، المدينة الإسلامية، ص١٨٨-١٨٩.

وجود ضرب جديد من الكتابة الكوفية"[1]. وإذا كانت المعلومات المباشرة عنها تعوزنا فالمعروف أنه كان يعمل في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فخارون مشارقة، وفي مدينة طليطلة سجل من ذلك العصر يتضمن إشارة إلى أن القصاع المذهبة كانت من الصناعات المحلية فيها[2].

وازدهرت الصناعات الخزفية في الأندلس في عهد المرابطين. وكانت أهم مراكز إنتاجه في مالقة[3] والمرية[4] (Almeria) ومجريط (Magerit). وهذه الأخيرة اشتهرت بصناعة البرام (القدور)، التي تمتاز بقوتها ومتانتها وخاصيتها في حفظ الطعام، فكانت "تستعمل على النار عشرين سنة لا تتكسر، وما طبخ فيها لا يكاد يتغير في حر الهواء وبردها"[5]. وبرع الفخارون في صناعة الآنية والقلل والقدور وأقداح الوضوء[6]. وعرف المرابطون صناعة الأدوات الخزفية المزججة والمذهبة. وقد أشار السقطي إلى صناعة الخزف المزجج ذاكراً أن "كل ستة أحمال تراب طيبة حمارية مدروسة مغربلة"، كانت تنتج "مائتي قدر ثمينة وتزجج بربع ونصف من الزجاج وتطبخ بأربعة أحمال حطب"[7]. وكانت مالقة من أشهر مراكز إنتاج الفخار المذهَّب في العصر المرابطي[8].

وتميزت الأندلس في أيام الموحدين بإنتاج الخزف المزجج، الذي اشتهرت صناعتة في كل من مرسية والمرية ومالقة[9]. كما اشتهرت صناعة الأواني الخزفية المذهبة في قلعة أيوب، ومنها كانت تصدر إلى كل الجهات[10].

---

(1) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٨٣.

(2) المصدر نفسه، ص٣٨٣.

(3) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٢٤. رواية: (الحجاري في المسهب).

(4) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٣.

(5) الحميري، الروض المعطار، ص٥٢٣.

(6) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٧، ٧١؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٣.

(7) السقطي، في آداب الحسبة، ص٧١..

(8) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٢٤. رواية: (الحجاري في المسهب).

(9) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٢. رواية: (ابن سعيد).

(10) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦٣؛ مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٨٣.

وكان يصنع في الأندلس نوع من الخزف المفصّص المعروف في المشرق بالفسيفساء، ونوع آخر يستخدم لتبليط البيوت يعرف "بالزّلّيجي" وهو يشبه المفصّص، وله ألوان عجيبة، ويمكن أن يحل محل الرخام الملون الذي يستعمله أهل المشرق في زخرفة بيوتهم(١). وكانت إشبيلية (Sevilla) أهم مركز لصناعة الزليج في الأندلس، إذ حافظت على هذه الصناعة من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي(٢).

واشتهرت مملكة غرناطة النصرية بإنتاج الخزف منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. واختصت بهذه الصناعة مدينة مالقة والمرية وبرجة (Borja) وأنتقيرة(٣) (AnteQuera) وأندراش (Andrax). وكانت منتجات أندراش خاصة، تمتاز بالجودة العالية نظراً لجودة تربتها(٤). ومن المحتمل أن مدينة غرناطة كانت مركزاً مهماً لهذه الصناعة أيضاً، فأحد أبوابها كان يسمى "باب الفخارين" كما أن أحد أرباضها يعرف بـ"ربض الفخارين"، وكانت تقع شمال شرق غرناطة قرية يقال لها "قرية الفخار"(٥). وتجدر الإشارة إلى تفرد مدينة مالقة بصناعة الفخار المذهّب المتميز.

وقد حظيت هذه الصناعة بشهرة واسعة في الداخل والخارج، ولذا كانت تشكل تجارة رابحة لأهل الأندلس، وكان الفائض منها يصدّر إلى الأقطار البعيدة(٦) في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. وقد أشار ابن بطوطة (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) الذي زار

---

(١) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٢. رواية: (ابن سعيد)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٤. Williams . The Arts and Crafts of Older Spain, II,P 136-137

(٢) Williams. The Arts and Crafts of Older Spain,II.P.138.

(٣) محمد شبانة، يوسف الأول، ص١٩٢-١٩٣؛ حتاملة، ملامح حضارية، ١٩٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٤. رواية: (مسالك الأبصار)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٢.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٢٧-١٣٧، ٢٠٠-٢٠١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٧.رواية: (مسالك الأبصار)؛ وثائق عربية غرناطية، ص١٣٠-١٣١؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص١١٨. Williams. The Arts And Crafts of Older Spain .II.P.119

(٦) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٥٦؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٥٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ٢١٢.

الأندلس في أواسط هذا القرن إلى الفخار المالقي قائلاً: " وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب، ويجلب منها إلى أقاصي البلاد "[١].

وانتقلت صناعة الخزف إلى مدينة بلنسية الإسبانية في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكانت مدينة منسيس (Manises) الواقعة بالقرب من بلنسية هي مركز إنتاج الخزف المذهب المسمى " بالخزف ذي البريق المعدني"، الذي صُدِّر من بلنسية إلى البلاد الأوروبية في ذلك القرن والقرون التالية، فكان من آثار الحضارة الأندلسية أنها علَّمت أوروبا فن استخدام الخزف وتجميل المباني به[٢]. وبذلك انتقلت صناعة الخزف إلى إيطاليا وفرنسا وانجلترا وغيرها من البلدان الأوروبية[٣]. وما زالت هذه الصناعة قائمة حتى اليوم في بعض المدن الإسبانية ولا سيما في إشبيلية ومالقة، وما زالت المتاحف الإسبانية تحوي كثيراً من الأواني الخزفية في الأندلسية البديعة الصنع والزخرف[٤].

م. الزجاج

كانت صناعة الزجاج معروفة في إسبانيا منذ العصور القديمة. ورغم ذلك لم يكن استعمال الأواني الزجاجية شائعاً في الأندلس في القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري/ الثامن والتاسع الميلادي، إذ من المعروف أن زرياب الذي دخل الأندلس في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان أول من نصح الأندلسيين باستعمال آنية "الزجاج الرفيع" بدلاً[٥] من آنية الذهب والفضة. الأمر الذي أدى إلى نمو وتطور هذه الصناعة في الأندلس إبان العهد الإسلامي.

وقد نشطت صناعة الزجاج في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ومما ساعد على ذلك وفرة المواد الأولية اللازمة لها في أنحاء مختلفة من الأراضي الأندلسية،

---

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٦٧٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٥٢. رواية: (ابن بطوطة).

(٢) فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، ص٣٠٩.

(٣) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٨٥؛ عاشور،المدينة الإسلامية، ص١٨٩، ١٩٠؛ ريسلر الحضارة العربية، ص١٧٠.

(٤) محمد عنان، نهاية الأندلس، ص٤٤٧.

(٥) المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٢٢، ١٢٨. رواية: (ابن حيان)؛ بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص٢٣، Imamuddin,The Economic History of Spain .P.241.

حيث برع الأندلسيون في صناعة الزجاج من الحجارة والبلور الصخري(١). وكان أبو القاسم عباس بن فرناس(٢) هو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة(٣).

وازدهرت صناعة الزجاج في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فبرع الزجاجون في صناعة الأواني والتحف الزجاجية، ومن أمثلة ذلك الجرار والطاسات والقناني والأباريق والقوارير وأحجار الشطرنج، التي اشتهرت صناعتها في مدينة قرطبة(٤). وهنالك بعض الأمثلة من نماذج هذه الصناعة ما تزال محفوظة إلى اليوم في بعض المتاحف الإسبانية، وهي تعود في تاريخها إلى عصر الخلافة، وتدل على تنوع في أساليب الزخرفة وطرق الصناعة، ففي إلبيرة قنينات كروية من الزجاج المنفوخ، وأخرى في الزهراء كمثرية الشكل واسطوانية، " وتمتاز إحدى القوارير التي بإلبيرة وهي قمحية اللون، وكذلك الرقبة الطويلة لإحدى قوارير مدينة الزهراء، بأنهما يحملان في الجزء العلوي زخرفة من دوائر، وفي الجزء السفلي أنصاف دوائر في مجموعات قد صنعت بطريقة القوالب"(٥) كما أمدتنا مدينة الزهراء " بمجموعة من الأواني الزجاجية المصنوعة بطريقة القوالب، وهي وإن كانت تتمشى مع طريقة فنية كانت شائعة في أوائل العهد الإسلامي بمصر، إلا أنها قلدت بالأندلس على ما يظهر مع اتجاه زخرفي يفوق ما في مصر، وتنخرط في سلك الأسلوب القرطبي، وهي طاسات، غير ملونة ولكن تتخذ في حالات نادرة لوناً قمحياً أو أزرق مع زخرفة هندسية بطريقة القوالب"(٦).

---

(١) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤٠٩.

(٢) هو عباس بن فرناس التاكرني حكيم الأندلس، وهو مولى بني أمية، الذي اشتهر في عصر الحكم الربضي، وكان فيلسوفاً حاذقاً وشاعراً مفلقاً، مع علم التنجيم، وهو أول من فك الموسيقى، وصنع الآلة المعروفة بالمنقانة ليعرف الأوقات على غير رسم ومثال واحتال في تطيير جثمانه، وكسا نفسه بالريش وطار في الجو مسافة بعيدة ثم سقط، وتوفي في سنة (٢٧٤هـ/ ٨٨٧م)، انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٣؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٣٧٤.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٣. رواية: (ابن حيان)؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٣٧٤؛ محمد كرد علي، الإسلام والحضارة، ٢٢٥.

(٤) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤٠٩-٤١١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٤٩؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص١٨٩.

.Williams. The Arts And Crafts of Older Spain ,II,P.232

(٥) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤١٠.

(٦) المصدر نفسه، ص٤١٠.

واستخدم الأندلسيون الزجاج والبلور لتزيين مجالس القصور وأبهائها، فجدران مجلس القبلق المسمى " بقصر الخلافة " (أحد قصور الزهراء) صنعت من الذهب والزجاج الغليظ الصافي، وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس، وقامت على أعمدة من الرخام والزجاج الملون والبلور الصافي(١). وفي هذا الصدد يشار إلى قصر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة(٢) في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وذلك " أنه أتقنه إلى الغاية، وأنفق عليه أموالاً طائلة، ووضع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً بها، ويتصل بعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلاله مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري، والمأمون قاعد فيه لا يمسه من الماء شيء ولا يصله، وتوقد فيه الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب "(٣). وكان في ذلك القصر مجلس يقال له " المكرّم "فيه" بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الإبريز "(٤). وكان فيه مجلس آخر يقال له "مجلس التطييب"، قد وضعت فيه أواني الزجاج، وفياشات (قناني) البلور المحفور، وقوارير المها المحكمة الصنعة، الرائقة الهيئة، التي كانت تستخدم لحفظ أنواع العطور المتخذة من المسك والعنبر ورشح البان وماء الورد(٥).

هذا، وتميزت بعض المدن الأندلسية بصناعة الأواني والأدوات الزجاجية المتنوعة، مثل: إشبيلية وبلنسية في عصر ملوك الطوائف(٦)، ومالقة(٧) والمرية(٨) في عصر المرابطين. وفي هذا الأخير، كان الزجّاجون يصنعون القوارير والآنية وصنوج الموازين(٩). وكانوا يحرصون على ترك المصنوعات الزجاجية في أفران التبريد المعدة

---

(١) الزهري، الجعرافية، ص٨٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٦-٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

(٢) الطرطوشي، سراج الملوك، ص٤٥.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٨-٥٢٩؛ أرسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٤٣-٤٤٤.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص١٣٢-١٣٣. رواية: (ابن حيان).

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص١٣٢.رواية: (ابن حيان).

(٦) الأزدي، بدائع البدائه، ص١٨٠؛ المقري، نفح الطيب، مج٤، ص٢٧١، Williams , The Arts and Crafts of Older Spain,II,P.233

(٧) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٢٤. رواية: (الحجاري في المسهب).

(٨) المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٣؛ حمدي، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص٣٥٥.

(٩) ابن عبدون، في القضاء والحسبة،ص٤٠، ٤٣؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٥٣، ٢٨٩.

لهذا الغرض، مدة (٢٤) ساعة حتى تكتسب القوة والمتانة[١]. أما في عصر الموحديـــن، فقد اشتهرت صناعة الزجاج في كل من مرسية ومالقة والمريـــة[٢]. وكـــان الموحـــدون يستخدمون الزجاج لتزيين منشآتهم العمرانية وخاصة المساجد[٣].

---

[١] السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٧.

[٢] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٢. رواية: (ابن سعيد)؛ عز الديـــن موســـى، النشـــاط الاقتصـــادي، ص٢٥٤.

[٣] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٩٢.

الفصل الثالث

الصناعات الغذائية

أ. طحن الحبوب

كانت صناعة طحن الحبوب من الصناعات المزدهرة في الأندلس، وقد ساعد على ذلك وفرة المادة الأولية اللازمة، إذ انتشر زراعة الحبوب في مختلف المناطق الأندلسية كما ذكرنا أنفاً -، بالإضافة إلى أهمية هذه الصناعة وضرورتها في الحياة اليومية. وكانت الحبوب تطحن بواسطة الأرحاء التي تدار بقوة الماء أو الحيوانات أو الرياح، وإن كانت الأرحاء المائية هي الأكثر استعمالاً في الأندلس، بسبب وفرة مياه الأنهار والعيون[١]، حتى أن الأرحاء الطاحنة كانت تتخذ على أبواب المنازل في كل من حيان[٢] غرناطة[٣] وباغة[٤] وحصن يلوية من أعمال وشقة[٥].

وجرت عادة الأندلسيين على إقامة الأرحاء بالقرب من الجسور والسدود والأرصفة الواقعة على ضفاف الأنهار والعيون كما كان عليه الحال في المنَكب[٦]، وفرَيش[٧]، وإستجَه[٨]، وقبرة[٩]، وقلمرية[١٠]، وتطيله[١١]، ووادي آش[١٢] وطلبيرة[١]

(١) انظر: الزهري، الجعرافية، ص٨٠، ٩٧-٩٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٢٦-، ١٣٠-١٣١، ٢٢٦.

(٢) ذكر المقدسي أن في جبان إثنتي عشر عيناً ثلاث عليها أرحية تقوم بالأندلس. انظر، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٧١.

(٣) كان سور غرناطة وما وراءه يشتمل على أكثر من (١٣٠) رحى كما ذكر ابن الخطيب. انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ١٩٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٠٢؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٧٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٣٩؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٢٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٩.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧١.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص٥٦.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٥.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٠.

(٨) النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ١٠٢.

(٩) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٩.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٦٤.

(١١) أشار الرازي إلى موقع أرحاء تطلية بقوله: " وعند باب تطيله القنطرة المقامة على نهر إيره، وتحت أقواس القنطرة الأرحاء التي تدفعها مياه النهر أبدا، انظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص٦٩.

(١٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٩٢، الغساني، رحلة الوزير، ص١٥.

(Talavera)، وقونكة[2] (Cuenca)، وبيّانة[3] (Baena)، وصَدينة[4] ووبذه[5]، (Huete)، وشلب[6] ومالقة[7] وبلون[8] ووادي بجانة[9] (Guadpechina)، وقرطبة[10] التي اشتهرت بكثرة أرحائها، حيث كان على واديها أكثر من خمسة آلاف حجر[11] مخصصة لطحن الأقوات.

وابتكر أهل الأندلس طريقة طحن الأقوات بواسطة الأرحاء المتنقلة، وذلك بتجليس هذه الأرحاء في القوارب بحيث يكون بت الرحى داخل القارب والدولاب يدور خارجه في الماء، وبهذا يسهل الانتقال بها من موضع إلى آخر[12] لتقديم الخدمة للناس وهم في مواقعهم. وكانت هذه الطريقة متبعة في كل من مرسية وسرقطسة[13] وطرطوشة[14].

(1) طلبيرة، مدنية قديمة أزلية. تقع على نهر التاجه، ولها عليه أرحاء كثيرة، ولها عمل واسع ومزارعها زاكية، وبينها وبين طليطلة سبعون ميلاً. انظر: الحميري، الروض المعطار، ٣٩٥.

(2) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٤١٦.

(3) بيانة، من أعمال قرطبة، تقع شرقي قبرة على بعد ستة أميال، وهي على ربوة من الأرض طيبة التربة كثيرة المياه السائحة، ولها على نهر مربلة أرحاء كثيرة. الحميري. صفة جزيرة الأندلس، ص٥٩.

(4) صدينة: مدينة قديمة من أعمال شذونة، تطرد المياه داخلها من عين ثرة تطحن على جنوبها الأرحاء، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٠.

(5) وبذة مدينة بالأندلس، وهي على واد بقرب أقليش. الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٧.

(6) المصدر نفسه. ص٢٤٢.

(7) السقطي، في آداب الحسبة، ص٢٢.

(8) نهر بلون، يقع على بعد ميل من مدينة جيان وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٨؛ الحميري، الروض المعطار، ١٨٣.

(9) وادي بجانة: يقع على بعد أربعة أميال من مدينة المرية؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٢.

(10) تقع قرطبة على نهر الوادي الكبير، وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة، مثل أرحاء الزرادة وأرحاء نـاصح التي تقع بين إشبيلية وقرطبة، انظر: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٥٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٥، ٥٧٩؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٨.

(11) الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٥؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٧.

(12) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٢٨٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٣.

(13) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٢٨٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٢.

(14) القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥.

وكانت الأرحاء الهوائية قليلة الاستعمال إذ لم تشر المصادر الأندلسية إلا إلى ما كان موجوداً منها في طركونة[١]، ومدينة جبل طارق (Gibraltar)التي أمر بإنشائها أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، وذلك سنة (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)[٢]. وفي هذه المدينة الأخيرة صنع الحاج يعيش المهندس[٣] " رحى تطحن الأقوات بالريح "، ولكنها سرعان ما تعطلت لعدم الاهتمام بها[٤].

أما الأرحاء التي تدار بقوة الحيوانات فكثيراً ما كانت تستخدم لتلبية حاجة الجند أثناء الحملات العسكرية، حيث ذكر ابن الخطيب أنه كان مع الحاجب المنصور بن أبي عامر[٥] في صائفة سنة (٣٨٢هـ/١٠٠١) مائة رأس: " تحمل أرحاء الطحن الموزعة بجهات عسكره لطحن الأزواد ". وقد وصلنا نص يصف كيفية بناء الأرحاء الأندلسية ومقاييس أحجارها وأخشابها ومادة دواليبها وسدها وما يتصل ببيت الرحى من اصطبل للدواب وبرج. وذلك في نازلة وردت على ابن رشد (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) من جيان، ومما جاء في وصف بيت الرحى: أن حجم كل حجر من أحجارها " شبر وثلث، وسعته أربعة أشبار ونصف بالشبر الوسط، وتكون دواليبها من البلوط بأعمدة الحديد، وقطب وحلق وصنوج وقنوات، ومنصب البيت أربعة من الألواح، ويرفعون سد الرحى المذكورة بالحجارة والسلسل والأوتاد، ويخرج ماؤه في ساقية الرحى (ويكون) في جوف بيت الرحى اصطبل للدواب سعته مثل بيت الرحى متصل بالبيت طوله أربعة ألواح

---

[١] ذكر الحميري ان من الغرائب بطركونة أرحاء نصبها الأول تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسكونها، انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٦؛ هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٩٦.

[٢] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٨٥-٨٦؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٤-١٥٥.

[٣] هو: الحاج يعيش المالقي، الذي يعد من ألمع واشهر المهندسين الذين تألق نجمهم على عهد الموحدين، وقد كانوا يلجأون إليه في كل المشاريع المهمة، فهو الذي قام سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) بعملية تسريب الماء لسقي البحيرة الملكية، وتوصيله إلى داخل إشبيلية من قلعة جابر، انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٨٥.

[٤] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٨٨؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص١٥٥.

[٥] كان المنصور بن ابي عامر قد أرسل إلى منطقة الثغر الأعلى مائتي زوج من أزواج المطاحن التي تدار بقوة الحيوانات وذلك قبيل خروجه إلى قشتاله في صائفة سنة (٣٩٢هـ). ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٠-١٠١.رواية: (ابن حيان).

وارتفاعه ثلاثة ألواح بالطابية[١]. غلظ الحائط شبران بالشبر الوسط، وأسّسه بالحجر والطين، وغطاؤه وغطاء بيت الرحى بالقرميد، ويشكّون البرج المتصل ببيت الرحى المذكورة من ناحية الغرب بالجص"[٢].

وكان الأندلسيون يطلقون على خادم الرحى اسم المكّاس أو المقّاص، وأحياناً الطحان[٣]، كما تشير كتب الحسبة الأندلسية التي أسهبت في الحديث عن أساليب الغش والتدليس التي كان يمارسها أصحاب هذه الحرفة[٤].

ب. صناعة السكر

ازدهرت صناعة السكر (الطّبرزد) في الأندلس بفضل العرب المسلمين الذين أدخلوا إليها زراعة قصب السكر بعد الفتح[٥]، وقد نمت هذه الصناعة وتطورت في ظل الحكم الإسلامي.

ويفهم من بعض الروايات التاريخية[٦] أن محصول قصب السكر كان كبيراً في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلادي، وأن من أهم مراكز إنتاجه وتصنيعه إلبيرة[٧] وغرناطة[٨]، والمرية[٩]، وإشبيلية[١]، ومالقة[٢] (Malga)

---

[١] الطابية: هي خشبة للبناء معروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة اشبار. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٢٩.

[٢] ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج٢، ص١٢٠٣-١٢٠٦؛ احسان عباس، نوازل ابن رشد، ص٢٢.

[٣] الزبيدي، لحن العوام، ص١٧٠، ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٣؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٨٠.

[٤] السقطي، في آداب الحسبة، ص٢٠-٣٠؛ ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص٥٣.

[٥] حمودة، تاريخ الأندلس السياسي، ص٢١٧؛ عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي (د.ت) ص٦٥-٦٦، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: فراج، فضل علماء المسلمين.

[٦] انظر: القرطبي، تقويم قرطبة، ص٣٧، ٦١.

[٧] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٢.

[٨] غرناطة: هي أقدم مدن إلبيرة، تقع على بعد ستة أميال من مدينة إلبيرة؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢٤؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٥؛ شاكر مصطفى، الاندلس، ص١٣٧.

[٩] العذري، ترصيع الأخبار، ٨٥.

والمنكّب[٣] وجليانة[٤] (Guillena) وشَمْجَلَة[٥]. ونلاحظ أن إنتاج السكر قد قل في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، إذ كانت مدينة المنكب هي منطقة الإنتاج الرئيسية في الأندلس[٦]. وبقيت هذه المدينة تحتل مكان الصدارة في إنتاج السكر وتصنيعه خلال عهد الدولة النصرية (دولة بني الأحمر ٦٣٥-٨٩٧هـ/ ١٢٣٧-١٤٩٢)[٧].

واستمر إنتاج السكر في الأندلس حتى سقوط الحكم الإسلامي هناك سنة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) لدرجة أن الإسبان سمحوا لعدد من الموريسكيين أو العرب المتنصرين العاملين بزراعة قصب السكر بالبقاء في إسبانيا، لكنهم رفضوا، وترتب على رحيلهم تضاؤل كمية إنتاجه[٨].

ويجدر بنا أن نذكر أن السكر في القرون الوسطى كان يباع عند الصيادلة وأصحاب العقاقير[٩]، وكانت مراكز صناعته تعرف بالمعاصر والمطابخ والمسابك[١٠]. وكانت هذه المعاصر تشتمل على ما يلي:[١١].

١. التجهيز المائي: إذ كانت المعاصر تدار بقوة الماء التي تزودها السواقي بها.
٢. قاعة الآلات (موضع المعاصر وآلات السحق).

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ٢٩٣؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٥.
(٢) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٥.
(٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١١.
(٤) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٥.
(٥) شمجلة: قرية قريبة من البحر من أعمال رية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦١؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٥.
(٦) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٤٠.
(٧) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج٢، ص٢٨٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١١؛ الونشريسي، المعيار المعرب، ج١٠، ص٢٩٨-٢٩٩.
(٨) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٥.
(٩) بول برثي، قصب السكر في المغرب القديم، مجلة البحث العلمي، ع١، س١، جامعة محمد الخامس: الرباط ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م. ص٣٨. سيشار لهذا المرجع فيما بعد: بول برثي، قصب السكر.
(١٠) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٥٤٦.
(١١) بول برثي، قصب السكر، ص٣٥-٣٦.

٣. قاعة معالجة السكر: وفيها توجد الأفران والمواقد والجفان والأواني، وبعد معالجة السكر يوضع في قوالب خاصة حيث يكون جاهزاً للاستهلاك(١).

ج. صناعة الخمور

كانت الخمور في الأندلس تصنع من ثمار التين والعنب وأصناف الفاكهة الأخرى(٢) وذلك رغم تحريمها في الإسلام، وقد وردت بعض الإشارات التي تؤكد أن بعض الأندلسيين كانوا يشربون الخمر ويبتاعونها في أسواقهم(٣) وسُمّت بعض الأماكن التي كانت نقاط تجمع لشاربيها(٤) وذكرت أن بعضاً من القضاة(٥) والأمراء الأمويين كانوا يشربونها في مجالس الغناء والطرب(٦) هذا بالإضافة إلى تغني الشعراء بمجالس الشراب وأوصاف الخمر(٧).

وبذلت في عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠) جهوداً جادة لمنع صناعة الخمور ومكافحة شاربيها، إذ أن الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) قرر قطع الخمر من الأندلس، واصدر أوامره بإراقتها، وشدد في استئصال شجرة العنب ولكنه عدل عن رأيه عندما عرف أن الخمرة تصنع أيضاً من

---

(١) هياجنة، الوضع الزراعي في الأندلس، ص١٩٩.

(٢) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ق١، ط٢، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة، بيروت ١٩٨٣، ص٤٣. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الحميدي، جذوة المقتبس؛ انظر، النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١٨؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٤ (رواية القلقشندي).

(٣) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص١٩١،٩٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٣-٤٥.

(٤) كما هو الحال في قرية منية نصر التي تقع شرقي قرطبة، حيث فيها موضع يتجمع فيه النبيذيون وينتجعه الظرفاء فلا يكاد يخلو منهم، الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٧؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩١.

(٥) الأزدي، بدائع البدائه، ص٩٧-٩٨.

(٦) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص٩٢؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٢٥.

(٧) الكتاني، كتاب التشبيهات، ص٨٨-٩٧.

التين ومصادر نباتية أخرى[١] كما أصدر الحاجب المنصور أوامره بمنع شرب الخمر، "وشدد بأن لا يأتي شيء منه إلى الحضرة، أو يكون عند أحد"[٢].

أما في عهد ملوك الطوائف، فكان الخمر أكثر شيوعاً في الأسواق الأندلسية، لدرجة أن الضرائب كانت تفرض على باعتها[٣] وكان الملوك والأمراء يشربون الخمرة في مجالسهم وباحات قصورهم[٤] وازدهرت صناعة الخمور في عهد المرابطين وانتشر شربها بين بعض أمرائهم وبين كثير من العامة، حتى أن ابن عبدون اقترح على المحتسب أخذ السلاح من الشباب قبل أن يشربوا في الأعراس،[٥] ولم تبذل الدولة الموحدية جهوداً جدية لمنع الخمر إلا بعد أن تفاقمت الثورة الموحدية. ومنع الموحدون الخمر في دور الثورة، ولكن في طور الدولة أحلوا الرب المصنوع من العنب ولذا فإن الكثير من الناس كانوا يصنعون الخمر في منازلهم وبخاصة الفلاحين منهم[٦].

ومن المراكز المشهورة التي اختصت في تصنيع الخمور مدينة باغة من أعمال إلبيرة[٧] في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ومدينة مالقة[٨] ومرسية[٩] ولقنت[١]، ولورقة[٢] وبلنسية وإشبيلية[٣] في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي

[١] الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٤٣؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١٨؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٤: رواية (القلقشندي).

[٢] ويبدو أن المنصور قد نجح في ذلك، إذ أنه قال يوماً لأبي جعفر ابن الغزال (أحد الأطباء): أريد أن تجمع حوائج الترياق الكبير وتركيبه فامتثل أمره وجمع حوائجه وأعوزه الخمر الذي يعجن به أدوية الترياق، وأخبر المنصور بذلك، فقال له: تطلبه من كل ناحية، وانظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لنكمل الترياق، فتطلبه أبو جعفر من كل أحد ولم يجد شيئاً منه فقال المنصور: والله ما كان قصدي بتركيب الترياق في هذا الوقت إلا لأعتبر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٣٦.

[٣] ابن حزم، رسائل، ج٣، ص١٦٧؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٩٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج٢، ص١٢٢، ١٢٤.

[٤] الأزدي، بدائع البدائه، ص١٠٧-١٠٨، ٢٢٥، ٣١٠: (رواية ابن بسام)؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٤١.

[٥] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٤؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٤١.

[٦] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٤١-٢٤٢.

[٧] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص١٥٤. رواية: (الرازي).

[٨] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٢٤؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢١٩.

[٩] اختصت مرسية بتصنيع الخمر من التين والزبيب. ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٧٤؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٤٢.

ولقنت[1]، ولورقة[2] وبلنسية وإشبيلية[3] في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلاديين، كما اختصت غرناطة في إنتاج الخمر في ظل دولة بني الأحمر[4]. ويذكر أن غرناطة تتميز باعتمادها الكبير على فصل العصير الذي كان يقام عند جني محصول العنب وعصره وفي هذا الفصل يترك أهل غرناطة دورهم ناقلين معهم ما يلزمهم من الأثاث والمتاع هم وعائلاتهم ومعهم من الأسلحة ما يردون به العدوان[5].

د. الطباخة

تعتبر الطباخة من الحرف المعروفة عند الأندلسيين[6]. وكان المطبخ الأندلسي مشهوراً بمأكولاته المتنوعة، حيث كانت الأطعمة تقدم حسب نظام جديد أدخله زرياب (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) إلى الأندلس. فكانت تقدم أصناف الحساء أولاً فالأطعمة المطبوخة باللحوم والطيور، فالمأكولات المتبلة بالخل والمري، فأطباق الحلوى. وبين كل صنف من هذه الأصناف تقدم أنواع الثرائد والعجائن[7] ومختلف أطباق الكسكسو[8].

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ٢٧٤.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ١٧١.

(٣) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٤٢.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠، انظر: فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص١٤٢..

(٥) إحسان عباس، تاريخ الأدب الاندلسي، ص٤٨.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٥؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٦.

(٧) بروفنسال، الشرق الإسلامي، ص٢٣؛ لوسي بولنس، الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة (القرن ٥-٧هـ/ ١١-١٣م) مجلة دراسات أندلسية، ع٦، تونس ١٩٩١م. ص٥٦٦-٥٦٧، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: بولنس، الطبيخ الأندلسي.

(٨) الكسكسو: وهي " أنواع منها المسقى ويعرفه جميع الناس، ومنها الفتياني، ومنها نوع يصنع بفتات خبز الدرمك، وذلك أن يؤخذ الفتات ويحك بالكف في القصعة، ويجعل في قدره المثقوب، فإذا خرج بخاره أنزل في قصعة وحك بالدسم أو يسقّى بمرق اللحم المعدّ له " انظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص١٨٠-١٨١.

وكان زرياب هو أول من سّن في الأندلس أكل بقلة الهيليون المعروفة بالإسفراج[١] وأكل التفايا[٢] والفول المعروف بالفول الزريابي[٣].

وكانت المطابخ العامة منتشرة في الأسواق الأندلسية، لتقديم خدمة الطعام والشراب لأصحاب الحرف والصناعات ولعامة الناس،[٤] وتعد قرطبة من المدن المشهورة في هذا المجال، إذ تخصص أهلها في " المطاعم والمشارب"،[٥] ووجدت في أسواقها أماكن خاصة للطباخين.[٦] وذكر صاحب كتاب الطبيخ أنه كان يطبخ خارج باب القصر في قرطبة في كل يوم خمسة أقفزة[٧] من الحمص، وذلك في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلفه الحكم المستنصر[٨].

واشترط المحتسب في المطابخ العامة أن تكون مجصصة مسطحة للتمكن من غسلها في كل الأوقات وعلى الطباخين مراعاة شروط النظافة العامة، كتنظيف أبدانهم

---

(١) كانت بقلة الهيليون، تطبخ في العادة مع اللحوم وقد أشار صاحب كتاب الطبيخ إلى طريقة تحضيرها. انظر مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص١٤٤-١٤٥؛ ابن دحية، المطرب، ص١٣٧؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٢٧.

(٢) التفايا، عدها صاحب كتاب الطبيخ من بسائط الأطعمة، وهي أنواع التفايا البيضاء وتحضيرها من لحم الضأن الفتي السمين في قطع صغار، ويضاف إليها ملح وفلفل وكزبرة يابسة ويسير من ماء، ومغرفة من الزيت العذب وماء، وتجعل على نار لينة، وتحرك ويجعل فيها بندق ولوز مقشر، ومنها تفايا مبيضة باللوز، وأخرى مقلية. مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٨٥-٨٧؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٢٨-١٢٩.

(٣) ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٢١؛ ابن دحية، المطرب، ص١٣٧؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٢٨.

(٤) اختص بعض الطباخين في تحضير الولائم في المناسبات العامة وفي حفلات الأعراس، وكانوا يتقاضون أجراً معلوماً من صاحب العرس. انظر: ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٢.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٧.

(٦) ابن جلجل، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥م، ص١١٢-١١٣، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن جلجل، طبقات الأطباء.

(٧) القفيز: كان القفيز في قرطبة يتسع لـ ٤٤ مداً من أمداد النبي (صلعم)، أي أنه كان يكيل ٤٤ لتراً فالترهنتس، المكاييل والأوزان، ص٦٨.

(٨) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٨١.

وملابسهم، وتنظيف الأواني والقدور المستعملة في الطبـــخ وتنظيـف اللحــوم وســـائر المأكولات قبل طبخها، وتغطيتها " بمنديل نظيف"[١].

أما الأدوات المستعملة للطبخ فكانت تتألف من: الصحــــاف والقــدور والمقـــالي والمصافي[٢] والمهارس (جمع مهراس ويقال له الـــهاوون)[٣]، والمغـــارف والملاعــق المتخذة من الخشب الصلب، والألواح الخشبية وعليها تقطع اللحوم وتمد أطعمة الخــبز[٤] والآلة التي يصنع بها المركاس، وهذه تتخذ من الزجاج الأبيض أو من الفخار المزجــج أو من الخشب الصلب، وآلة الأمخاخ المتخذة من الزجـــاج، والطواجــن المتخــذة مــن الفخار، والآنية المسماة القرطون (وهي شكل كأس كبير واسع الفم وقعـــره ضيــق)[٥]، والمخوض وهي الأداة التي يحرك بها الشراب، والمسحته وهـــذه تتخــذ مــن الحديــد وتستعمل لدق اللحم[٦].

كانت الأطعمة الأندلسية متنوعة تنوعاً فرضه تعايش الأجناس البشرية المتنوعـــة والمجموعات الدينية المختلفة، فكل له عاداته في الأكل ومحرماته وطرقه في الطبـــخ[٧]، ومن أنواع الأطعمة التي كانت تطهى وتباع في الأســـواق المركـــاس[٨] والأحـــرش[١]

---

[١] السقطسي، في آداب الحسبة، ص٣٥-٣٧؛ مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٧٨-٧٩.

[٢] ابن عبد الــــرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٦-٩٧؛ ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٧٤، ١٧٧.

[٣] المهراس: كان يتخذ من حجر الرخام الأبيض أو من عود يكون من الخشب الصلب مثل خشب البلـوط أو البطم أو الزيتون أو الدردار أو البقس أو العنّاب، وكان يستخدم لدق الملح والثوم والكزبرة الرطبة والبصـــل والنعنع وغيرها من الأحباق والبقول، ولدق الفواكه مثل التفاح والسفرجل والرمان، واللحم والشحم واللـــوز والحشو الذي يصنع للكعك، وأطعمة الخبز. انظر: ابن هشام اللخمي، المدخـــل، مـــج٢، ص١٧٤؛ مؤلــف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٨٤.

[٤] مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٨٤.

[٥] مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٢٧، ٣٧، ٨٥، ٩٠، ٢٠٢-٢٠٣.

[٦] ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص١٧٥، ٣٣٢.

[٧] بولنس، الطبيخ الأندلسي، ص٥٦٧.

[٨] المركاس: نوع من اللحم المدقوق يحضر من لحم الضأن بحيث يحرك في قصعة بشيء من الزيت ويسير من المري النقيع وفلفل وكزبرة يابسة وسنبل وقرفة، ثم يضاف إليه الشحم ويعرك الجميـــع حتـــى يمـــتزج، ويحشى به المصران بواسطة آلة خاصة معدّة لذلك ثم يقطّع قطعاً صغاراً وكباراً، ويقلى بزيت عذب، فـــإذا نضج وأحمر صنعت له مرقة من خل وزيت، ويستعمل ساخناً. انظر، مؤلـــف مجـــهول، كتـــاب الطبيـــخ، ص٢١،٢٤.

والبلاجة والإسفنج والهرائس والمجبنات واللحوم المشوية والمقلوة[٢] وكان لهذه الأنواع من الأطعمة طباخون، هم الساجون[٣] والهرّاسون[٤] والشوّاؤون والقلاّؤون[٥].

وكان أهل الأندلس يصنعون المربى من السفرجل والتفاح والتوت والرمان والجوز والقرع والزنجبيل والشقاقل والأترج والجزر والصعتر والنعنع والعنب[٦] كما كانوا يصنعون الشراب والأشربة من التوت والكمثرى والتفاح والعناب والرمان والتمر الهندي والقسطل والحصرم، والصندل، والمصطكى[٧] والنعنع والجزر والريحان والبنفسج والأترج والبلوط[٨] ونظراً لما للأشربة من فوائد علاجية، كان الصيادلة يختصون بتصنيعها[٩].

---

[١] الأحرش: نوع آخر من اللحم المدقوق يحضّر من لحم الغنم الأحمر بحيث يحرك بشيء من المري والخل والزيت والثوم المدقوق والفلفل والزعفران والكمون والكزبرة، ويضاف إليه الشحم المقطع واللحم المقشر مدقوق ومقسوم ويسير من البيض، ويصنع منه قرص على قدر الكف أو أصغر، وتقلى بزيت كثير حتى تحمر ثم تصنع لها مرقة بخل وزيت وثوم، ويترك قسم منها دون مرقة، فهي طيبة ولذيذة. انظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٢٢.

[٢] السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٦، ٣٧، ٣٩؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٧-٩٨، ١٠١.

[٣] السفّاج: محترف إعداد الإسفنج " وهو من الفطائر المعروفة التي تتخذ من الدقيق والزيت، وتباع في حوانيت خاصة منذ الصباح الباكر، انظر: عبد القادر زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١١٥.

[٤] الهراس: محترف إعداد " الهريسة "، ويقال هرست الشيء أهرسه هرساً إذا دققته دقاً. فإن كثر منك الفعل فأنت هراس، فأما الهريس فالحب المهروس قبل أن يطبخ، فإذا طبخ فهو الهريسة. ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٣٢٤.

[٥] السقطي، في آداب الحسبة، ص٤٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٧-٩٨، ١٠١؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٥.

[٦] القرطبي، تقويم قرطبة، ص٣٧، ٧٧، ٨٩، ١١٩؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٤٤؛ مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٢٥٥-٢٥٦.

[٧] المصطكى: هي صمغة معروفة تجلب من جزائر الرمّانية، وشجرها من أصناف الضّرو وقد يوجد بالمغرب الأقصى مختلطاً بالضرو. انظر: ابن الحشاء، مفيد العلوم، ص٨٥.

[٨] القرطبي، تقويم قرطبة، ص٣٧، ٧٥، ٨٩، ١٠٣، ١١٩، ١٣١، ١٧٣؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٤٦. مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٢٣٥-٢٤٨.

[٩] السقطي، في آداب الحسبة، ص٢٦٨.

وكان الأندلسيون يصنعون أصنافاً متعددة من الحلوى مثل: الكعك والمسمّنات[١] والخبيص والزلابية[٢] والمجبنات؛ وهي نوع من القطائف تصنع من العجين وتحشى بالجبن وتقلى بالزيت، ثم يرش عليها السكر والقرفة المسحوقة. ومن الناس من يأكلها بالعسل أو بشراب الورد،[٣] ولما كان مجبنات شريش(Jerez) تمتاز بجودتها ومذاقها الطيب، فقد قالوا في أمثالهم: " من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم"[٤].

وكانوا يستعملون المجبنات في بعض المناسبات كحفلات الأعراس والختان والنزه التي كان يخرج إليها الأساتذة مع طلبتهم[٥] أما في الأعياد والمناسبات العامة فكانوا يصنعون تماثيل مختلفة من الحلوى مثل " مدائن ينير " التي كانت تصنع في عيد النيروز، وهي عبارة عن مدائن مصغرة ذات أسوار، ومما جاء في وصفها أنها كانت " تنقش وتصنع فيها اشكال من العجين مركبة على البيض المصبوغ بالحمرة أو الخضرة أو بغير ذلك من الألوان بحسب المتخير لها، ثم يفرم الجميع من الزعفران، ويطبخ في الفرن، ويجمع إليه أصناف الفواكه، ويحتفل كل إنسان في انتخابها وتجويد صنعتها، ويتباهى في الإنفاق فيها على قدرٍ وسعة واعتناء بذلك، ثم يدفع ذلك كله إلى الأصاغر إدخالاً للسرور عليهم وتوسيعاً في الترفيه لأحوالهم، وتبشيراً بخصب عامهم، وتفاؤلاً لبسط الرزق فيه لهم، فيلهجون ويتمكن جذلهم، ويتفاخرون بمقاديرها بينهم، وتتمادى لديهم أياماً بحسب كثرتها وقلتها، ثم يأتون عليها أكلاً وتفكهاً بما معها من أصناف الطرف الفواكه"[٦].

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٩.

[٢] ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٦٨.

[٣] مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص١٩٩-٢٠٠؛ الزجالي، أبو يحيى عبيد الله (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، أمثال العوام في الأندلس، ق١، دراسة: محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٥م. ص٢٣٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: الزجالي، أمثال العوام؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٨٤.

[٤] الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص٢٣٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٨٤.

[٥] ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، اختصار القدح المعلىّ في التاريخ المحلىّ، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص١٥٦، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن سعيد، اختصار القدح؛ الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص٢٣٥.

[٦] رواية: (ابن عبد الملك المراكشي في كتابه " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة "، انظر: الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص٢٣٨-٢٣٩.

أما "النصبات" - وهي نوع آخر من المدائن فقد روي في احتفال أهل الأندلس بها: "...أن النصبة ببعض بلاد الأندلس جبرها الله وأمنها يبلغ ثمنها سبعين ديناراً أو يزيد على السبعين بما فيها من قناطير السكر.. وأنواع الفواكه، ومن عراير التمر وأعدال الزبيب والتين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها، وضروب ذوات القشور من الجوز والقسطل والصنوبر والبلوط إلى قصب السكر، ورائع الأرتج والنارنج والليَم..."[١].

وكان المطبخ الأندلسي مشهوراً بأصناف مأكولاته المتنوعة، وهو وحده شاهد من شواهد الحضارة الغنية التي عرفتها شبة الجزيرة الأندلسية في العهد الإسلامي. وقد صنف بعض الأندلسيين كتباً في الموضوع تدل على تميز هذا المطبخ وتفرده بفنون المأكولات والمشروبات، ومن ذلك كتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان لابن رزين التيجيبي[٢]. "وكتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين"، وهذا الكتاب الأخير يتناول صفة ألوان الطعام وطرق الطبخ ووسائله وكيفيات تقديمه وفوائده[٣] فيتحدث عن صفة ألوان من اللحم المدقوق مثل المركاس والبنادق والأحرش[٤]، واللحم المطهو والمشوي، فيفصل الكلام عن شواء الدجاج ولحم الضأن والبقر[٥] والطيور[٦]، ويتكلم عن الأطعمة التي تقوم أساساً على الدقيق مثل أنواع الثرائد والعجائن والكسكسو والمجبنات والقطائف والسكريات والهرائس والفداوش والخبيز وأنواع الحلوى[٧]. ويتحدث عن الأطعمة المتخذة من الأسماك وألوان الحوت[٨]، والأطعمة المعمولة من الباذنجان[٩]. ويتحدث عن أصناف الشراب والأشربة والمعاجين

---

(١) الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص٢٣٩.

(٢) الودخيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص١٨٤؛ بولنس، الطبيخ، ص٥٦٥.

(٣) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص١٥، ٨٥.

(٤) مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٢١-٢٢، ٥٥، ٨٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٩-٣٢، ٥٦-٦٠، ١٢٥-١٣١.

(٦) مثل الحمام، اليمام، الزرازير، الحجل، الأوز. انظر المصدر نفسه، ص٤٣. ٥١، ٦٩، ٧٠-٧٤، ٨٩.

(٧) المصدر نفسه، ص٧٥، ٧٧، ١٧٩-١٨٥.

(٨) المصدر نفسه، ص١٧٢-١٧٨.

(٩) المصدر نفسه، ص١٦٤-١٦٧.

ويذكر فوائدها العلاجية[1]، ويشير في معرض حديثه إلى أسماء بعض المدن الأندلسية التي اختصت بصناعة الطبيخ مثل قرطبة وإشبيلية وشريش وطليطلة ولبلة[2].

واهتم الأندلسيون بصناعة العسل[3]، ومشتقات الحليب[4]، وحفظ الحبوب والفواكه اليابسة للاستفادة منها في أوقات لا تكون فيه متوافره بشكل طازج[5]، وتعتبر سرقسطة[6] وغرناطة[7] من أشهر المناطق التي اختصت بهذه الصناعة. وتبدو أهمية هذه الصناعة من إشارة كتب الفلاحة الأندلسية إلى أساليب تجفيف الفواكه وطرق حفظها[8]. واحترف بعض الأندلسيين الجزارة، وهي من الحرف التي كانت سائدة في المجتمع الأندلسي،[9] وعليها كانت تقوم بعض الحرف والصناعات الأخرى كحرفة (الكرّاش والسّلاخ والسّبّار والطبّاخ ودابغ الجلود والحدّاد والروّاس[10] والبلاج والسرّاج[1]. والفرّان والزقّاق[2] والرقّاق[3] والموّاق[4] وبائع الأخفاف والخفّاف

---

[1] المصدر نفسه، ص٢٣٥-٢٥٥.

[2] المصدر نفسه، ص٢٦،١٧٦، ١٨٨، ٢٠٠-٢٠١، ٢٠٩.

[3] كان العسل يصنع من عسل النحل وقصب السكر. ومن أشهر مناطق انتاجه وتوزيعه: إشبيلية، باجه، الإشبونة " لشبونة " لبلة وأورية، انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص٩٦؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٥؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ٢٩١-٢٩٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص٤٩٧، ٥٥٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٣٣٩، ٤١١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٦٨؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٨٦؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ص١١٦.

[4] من أشهر مراكز هذه الصناعة: طليطلة، قلمرية، قلعة رباح وقادس. انظر: ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٢؛ ابن عبد الرؤوف في آداب الحسبة، ص١٠٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٢؛ ابن الخرّاط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٤١؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٩، ٢٩٣. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٢١، ص١٣٢، ١٤٥.

[5] الزهري، الجعرافية، ص٨١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠، المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٧؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩١.

[6] الزهري، الجعرافية، ص٨١؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٩٧.

[7] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠.

[8] ابن حجاج الإشبيلي، المقنع، ص١٦، ٣٢-٣٨، ٤٨-٥٣؛ أبو خير الأندلسي، الفلاحة، ص٥١-٥٣.

[9] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٥؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٤٥.

[10] الروّاس: محترف شيّ رؤوس الغنم وبيعها والجمع رواسة: زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١١٤.

[1] السرّاج: صانع السروج وبائعها، زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١١٥.

والسرّاج[1]. والفرّان والزقّاق[2] والرقّـــــاق[3] والموّاق[4] وبائع الأخفـــاف والخفّـــاف والكبّار[5] والدفّاف[6]. والخرّاز[7]، والقرّان[8] والغربال والشكّاز[9] وصـــــانع الأوتـــار للعيدان وصـــــانع (المصحف والسقاء)[10] ومن هـــذا تبدو لنا أهمية هـــذه الحرفـــة الجزارة وأثرها في الحياة الاقتصادية الأندلسية.

واحترف بعض الناس العطارة، وعرف واحدهم بـــ(العطّار) واختص العطـــارون بصناعة وبيع مختلف الأعشاب والعقاقير الطبية، وأنواع العطور والطيوب ومن جملتـــها الحناء والعنبر والمسك والبخور والزعفران والبان والخولان.

والفلفل والزنجبيل والسنبل والقرفة والمصطكى والكهرباء والأدهان المتخذة مـــن النباتات والبذور[11] وكانت صناعة العطارة من الصناعات الأندلسية المزدهـــرة بفضـــل النباتات الطبية والعطرية، وحسن استغلالها من قبـــل المســـلمين. واختـــص الصيادلـــة

---

(1) السّراج: صانع السروج وبائعها، زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١١٥.

(2) الزقّاق: الزق من الأهب، وهو كل وعاء اتخذ لشراب، وقيل هو الذي تنقل فيه الخمر، ويقـــال لصانعـــه الزقاق، ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص١٤٣.

(3) الرقّاق: من الرق وهي الصحيفة البيضاء، وقيل: الرق، ما يكتب فيه وهو جلد رقيق، ابن منظور، لســـان العرب،مج١، ص١٢٣.

(4) الموّاق: الموق، ضرب من الخفاف يصنع من الجلد، والجمع أمواق، وقيل: وهو الذي يلبس فوق الخـــف، ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص٣٥٠.

(5) الكبّار: صانع الطبول، فقد جاء في لسان العرب أن الكبر طبل له وجه واحد، وقيل هو الطبل ذو الرأسين وجمعه كبار، ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص١٠٦.

(6) الخرّاز: من الخرز وهو خياطة الأدم، وقد خرز الخف وغيره يخرزه خرزاً، والخراز صانع ذلك وحرفته الخرازة. ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ص٣٤٤.

(7) القرّان، وهو الذي يستعمل قرون الحيوانات في بعض الصناعات مثل صناعة سنان الرماح، ابن منظـــور، لسان العرب، مج١٣، ص٣٣١.

(8) الأشكز، ضرب من الأدم أبيض. ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ص٣٦٢.

(9) ابن مطروح السرقسطي، (ت٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م)، روضة المحاسن وعمدة المحاســـن، تحقيـــق: منجـــد مصطفى بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م، ص٤١-٤٢/ ١١٣-١١٥. سيشار لهذا المصـــدر فيما بعد: ابن مطروح السرقسطي، روضـــة المحاسن.

(10) السقطي، في آداب الحسبة، ص٤١؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٠؛ ابن عبد الرؤوف، فـــي آداب الحسبة،ص٨٦؛ المقري، نفح الطيب، مج٢، ص١٢٤، مج٣، ص٤٧٨.

(11) السقطي، في آداب الحسبة، ص٤١-٤٣؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٨٦-٨٧.

بصناعة المعاجين[1] والأشربة والعقاقير الطبية والأكحال والشيافات والكافور والمسك والعنبر والزعفران[2].

[1] كانت المعاجين تصنع من ثمار الجوز والسفرجل والجزر والورد والبنفسج والنعنع والنارنج والكراويا والقرنفل والمسك والقرصعنه وغيرها، وكان لها فوائد علاجية كثيرة، انظر: مؤلف مجهول، الطبيخ، ص٢٤٨-٢٥٤.

[2] السقطي، في آداب الحسبة، ص٤٤-٤٧.

الفصل الرابع

الصناعات الرسمية

أما الصناعات الرسمية، فقد أفردت في الفصل الأخير من هذا -الباب الثالث- نظرا لأهميتها، إذ أنها كانت تخضع لإشراف الدولة ورقابتها المباشرة، وقد أولاها الأمراء والخلفاء جل اهتمامهم وعنايتهم، كونها كانت تشكل مصدرا من مصادر الأندلس الأساسية التي اعتمدت عليها الدولة في بناء قوتها العسكرية والاقتصادية، كي تتمكن من مواجهة الأخطار المحدقة بها، فضلا عن أنها كانت تشكل مظهرا من مظاهر القوة والمنعة التي ساهمت إلى حد كبير في إشاعة الرفاه والرخاء الاقتصادي بين أهل الأندلس الأمر الذي مكنهم من السير قدما نحو التقدم والإزدهار.

أ. صناعة السفن والأساطيل الحربية

كان الأمير عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس أول من اتخذ قوة بحرية لمواجهة الأخطار المحدقة بالأندلس من الخارج، لا سيما خطر العباسيين، وأهل جزر البليار (منورقة، ميورقة، يابسة)، والفرنجة، ولذا أمر بإنشاء دور الصناعة[١] في مراسي طركونة (Tarragone)، وطرطوشة (Tortosa)، وقرطاجنة (Cartagena)، والمرية (Almeria)، وإشبيلية، لبناء المراكب والسفن الحربية، من أجل تدعيم البحرية الأندلسية[٢]. وبالتدريج نمت هذه الصناعة وتطورت في الأندلس، بفضل وفرة المواد الأولية اللازمة لها كالخشب والحديد والنحاس والألياف النباتية والزفت والقطران والكبريت والكتان في مناطق الأندلس المختلفة[٣] وبفضل اعتناء الأمراء الأمويين بها، وبخاصة الأمير الحكم بن هشام الربضي[٤] (١٨٠-

---

[١] سمى العرب المعامل التي كانت تبنى فيها المراكب البحرية بدور الصناعة، وربما قالوا الصنعة، ومشى كتابهم على هذا الإصطلاح، فترى مؤرخينا يقولون: كانت الصنعة في صور،أسس فلان دار الصنعة في تونس، أو كانت صنعة الأندلس بالمرية وما أشبه ذلك، انظر: شكيب، أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا، وإيطاليا، وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان (د.ت)، ص١٣٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب.

[٢] شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١١٨-١١٩، ١٣٩.

[٣] أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ج٢، مؤسسة شباب الجامعة، ص٥٧-٥٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: تاريخ البحرية الإسلامية.

[٤] تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٦٠؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٥.

٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) وخلفه الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط الذي أولى هذه الصناعة أهمية خاصة نتيجة للغارة التي شنها النورمان[١] على شواطئ الأندلس الغربية سنة (٢٢٩هـ/ ٨٤٤م)[٢]، إذ نبهت هذه الغارة الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى ضرورة الاهتمام بالقوة البحرية عن طريق إنشاء دور الصناعة لتزويد البلاد بأعداد وفيرة من السفن اللازمة لمواجهة الغارات البحرية المقبلة " فأمر بإقامة دار صناعة بإشبيلية، وأنشاء المراكب، واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم فاستعد بالآلات والنفط"[٣].

ومما يدل على تقدم هذه الصناعة وتطورها في الأندلس أن الأمير عبد الرحمن الأوسط جهز أسطولا من ثلاثمائة مركب فتح به جزيرتي ميورقة ومنورقة سنة (٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)[٤]، وأنشأ دارا لصناعة الأسلحة اللازمة للسفن في مدينة قرمونة[٥] (Carmona). كما واصل الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) الاهتمام ببناء السفن الحربية، إذ أنشأ عددا منها في دار الصناعة بقرطبة، وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري قائلا: "وفي سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م)" أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر المحيط الرعيطي المعروف بابن مغيث، وكان قد رفع إليه رافع أن جليقية من ناحية البحر المحيط لا سور لها، وأن أهله لا يمتنعون من جيش إن غشيهم من تلك الناحية. فلما كملت المراكب بالإنشاء قدم عبد الحميد بن مغيث عليها، فلما دخل البحر " تعرضت سفنه لعاصفة عاتية وتفرقت ولم

---

(١) النورمان: ويطلق عليهم في المصادر الإسلامية اسم المجوس الأردمانيين، لأنهم كانوا يشعلون النيران في كل موضع يمرون به، فحسبهم المسلمون مجوسا لهذا السبب، والنورمان جنس آري قديم سكن شبة جزيرة أسكنديناوة وجوتلند وما يجاورها منذ أزمان مغرقة في القدم، وقد تعرضت سواحل الأندلس الغربية لهجمات النورمان ابتداءا من سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م. انظر: تاريخ البحرية الإسلامية، ص١٥٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣١؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٢٩-١٣٠، ١٦٣.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٨؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢ ن ص١٦٠؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص١٤٤؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٩.

(٥) تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٦١؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية. ص٣٦.

يجتمع بعضها إلى بعض[1]. وفي رواية أخرى أن الأمير محمد أنشأ في البحر سبعمائة غراب[2]، وهي من المراكب الحربية، سميت بهذا الإسم لأن مقدمة هيكلها على شكل رأس الغراب[3].

وبلغت صناعة السفن الحربية والتجارية[4] شأوا عظيما في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ اهتم الخلفاء الأمويون بإنشاء السفن والأساطيل لتدعيم البحرية الأندلسية من أجل مجابهة الأخطار الخارجية، المتمثلة بالخطر الفاطمي الماثل في جنوب الأندلس، وخطر الممالك المسيحية وافرنجة وقطلونية في شمالها، وخطر النورمان في غربها[5] ولذلك أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بإنشاء دور لصناعة السفن في كل من: طركونة[6] وطرطوشة التي اشتهرت بصناعة المراكب الكبار من خشب الصنوبر النابت بجبالها، ومنه كانت تتخذ الصواري والقرى[7]. ودانية (Denia)، وفيها كانت تصنع السفن الكبار والمراكب الصغار[8] ولقنت (Alicante) وكانت تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق[9]، وبجانة[10] (Pechina) والمنكب (Almundcar)[1] ومالقة[2] (Malage)

---

[1] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٤؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١٠٩.

[2] ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٥٧.

[3] درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ط٢، دار المعارف، ١٩٧٩م. ص١٠٤، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: النخيلي، السفن الإسلامية.

[4] محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص٤٦٩.

[5] تاريخ البحرية الإسلامية، ص١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥.

[6] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٦؛ محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص٤٦٩؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥.

[7] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٥؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٤٩؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٢؛ الحميري،، الروض المعطار، ص٣٩١؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج٣، ص١٠.

[8] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٧، ٥٦٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣٢.

[9] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٧، ٥٦٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١١.

[10] إحسان عباس، اتحاد البحريين في بجانة الأندلس، مجلة الأبحاث، تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج١-٤، السنة ٢٣، كانون الأول، ١٩٧٠. ص٣-٨، سيشار لهذا المرجع فيما بعد. إحسان عباس، اتحاد البحريين؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ص١٦٧-١٦٨.

والجزيرة الخضراء[٣] (Algeciras)، وقرطبة[٤] (Cordoba)، والزهراء[٥] (Alzahra)، والقصر[٦] (Alcazar)، وشلطيش[٧] (Saltis) وشنتمرية الغرب[٨]، (Santa Mariade Algarve) وشلب[٩] (Silves)، وقصر أبـي دانـس[١٠] (Alcacer Dosal) وميورقـة ويابسة من جزر البليار[١١]. وبهذا استطاع الخليفة عبد الرحمـن النـاصر أن ينشـيء أسطولا قويا لمواجهة الأخطار الخارجية، وقد بلغ اسطول الأندلس فـي أيامـه مـائتي مركب أو نحوها[١٢]. وكان لهذا الأسطول الفضل الأكبر في الإستيلاء على طنجة ومليلة سنة (٣١٤هـ/ ٩٢٧م). وعلى سبتة (٣١٨هـ/ ٩٣١م)[١٣]. ووجه عبد الرحمن الناصر الأسطول الأندلسي سنة (٣١٩هـ/ ٩٣٢م) لغزو العدوة المغربية، وكان يتألف من مائـة وعشرين قطعة بحرية، كان من بينها المراكب الحمالة والفتاشة وقـوارب الخدمـة[١٤]. وفي سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م) أرسل الأسطول لغزو بلاد الفرنجة، " وكانت عدة مراكبـه أربعين مركبا؛ عشرين حراقات، فيها النفط والآلات البحرية، وعشـرين فيـها الرجـال المقاتلة وكان عدة ركابه من الجنود ألف رجل، ومن البحريين ألفيـن"[١٥]. وفـي سـنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) أغزا الأسطول إلى العدوة المغربية لنصرة موسى بن أبي العافية فـي

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١١. رواية: (ابن فضل الله العمري).

(٢) تاريخ البحرية الإسلامية، ص١٧٥؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٧.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٣.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٤٢٥.

(٥) تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٧٥؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥؛ هياجنة، الوضع الزراعـي في الأندلس، ص٢١٢.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٦١.

(٧) الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٤؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥.

(٨) الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٧؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٧٦.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٤٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤٢.

(١٠) تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٧٥؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٧.

(١١) الحميري، الروض المعطار، ص٦١٦؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٦؛ محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص٤٦٩.

(١٢) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٧٩٩.

(١٣) تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٧٦؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٧-٣٨.

(١٤) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣١٢-٣١٣.

(١٥) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٦٦.

أربعين قطعة بحرية، تحمل من المقاتلة ثلاثة آلاف رجل فيهم من الحشم خمسمائة، وتمكن الأسطول من فتح مدينة مليلة ونكور وجراوة[١]. وفي سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٢م) أرسل الخليفة الناصر حملة بحرية إلى بلاد الفرنجة بقيادة محمد بن رماحس، وكان الأسطول الأندلسي يتألف من "ثلاثين مركبا حربية وستة شواني"[٢]. وفي سنة (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) أرسل الأسطول بقيادة محمد بن رماحس لغزو بني محمد في المغرب. وكان هذا الأسطول يتألف من خمسة عشر مركبا حربية وشينيين وفتاش[٣].

وفي سبيل خدمة الأسطول وجه الخليفة عبد الرحمن الناصر اهتماما خاصا للمرية فبنى حولها سورا سنة (٣٤٣هـ/ ٩٥٤م)، وأنشأ فيها دارا لصناعة السفن جعلها قسمين، قسما للمراكب الحربية والآلة والعدة، وقسما للقيسارية أو (للمراكب التجارية)[٤]. وأصبحت المرية أهم موانئ الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأشهر مراسيها وأعمرها، وكان خليجها العميق الفسيح يضم معظم وحدات الأسطول الأندلسي[٥]، حيث كانت "مرسى الأندلس ومجتمع مراكبها" وأساطيلها ودار صناعتها[٦]، وكانت دار الصناعة في المرية تقوم بإنشاء السفن والعدة والآلات اللازمة لها، ولما يقوم به الأسطول[٧]. وقد اشار ياقوت الحموي إلى أهمية المرية كميناء تجاري فقال: " وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار، وفيها تحل مراكب التجار، وفيها مرفأ للسفن والمراكب "[٨].

وعمل الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) منذ توليه الخلافة على تدعيم البحرية الأندلسية لمواجهة الغزو النورماني المتكرر على سواحل الأندلس، ففي سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م) حاصر المجوس حصن القبطة من حصون المرية، فمني النورمان بالهزيمة، وعلى أثر ذلك اصدر الحكم المستنصر أوامره بإنشاء الأسطول

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٨٢؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ص١٧٨.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨١.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨٢؛ إحسان عباس، اتحاد البحريين، ص١٠.

(٤) احسان عباس، اتحاد البحريين، ص١٠.

(٥) تاريخ البحرية الإسلامية، ص١٧٩؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٧.

(٦) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص١٦٥؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص٧٤.

(٧) ابن غالب، فرحة الأنفس، ٢٨٣؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٣٧.

(٨) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٩.

لغزوهم، وبلغ عدد مراكبه " ستمائة جفن بين غزوي وغيره "[١]. وفي أول رجب سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) وردت الأخبار بظهور أسطول النورمان في مياه قصر أبي دانس، واضطراب الساحل الغربي للأندلس كله لذلك. وتأهب المسلمون لتلقي الغزاة عندما وصل هؤلاء إلى بسيط أشبونة، ودارت بين الطرفين معركة استشهد فيها جماعة من المسلمين، وقتل جماعة من المشركين، واشترك أسطول إشبيلية في المعركة فهاجم النورمان بوادي شلب وحطم عددا من سفنهم فإنهزموا إثر ذلك خاسرين[٢]. ويبدو أن سفن النورمان كانت تمتاز بمزايا خاصة كالسرعة في الحركة مما دعا الحكم المستنصر إلى إصدار الأمر بإنشاء أسطول في إشبيلية على هيئة مراكب النورمان، إذ كان يتوقع رجوعهم من جديد لسواحل الغرب، وقد حدث ما توقعه الخليفة، إذ هاجم النورمان سواحل الأندلس الغربية سنة (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، وسنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م)[٣].

واهتم الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر في خلافة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م) ببناء السفن والمراكب الحربية، ومما يذكر أن المنصور بن أبي عامر أنشأ أسطولا كبيرا في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وخرج به في صائفة سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) لغزو شنت ياقب (Santiago de Compostela) من مملكة جليقية[٤]. وقد قال ابن دراج القسطلي في وصف الأسطول الذي انشأه ابن أبي عامر[٥]:

تحمل منه البحر بحرا من القنا ... يروع بها أمواجه ويهول
بكل ممللات الشراع كأنها ... وقد حملت أسد الحقائق غيل
إذ سابقت شأو الرياح تخيلت ... خيولا مدى فرسانهن خيول
سحائب تزجيها الرياح فإن وفت ... أطافت بأجياد النعام فيول
ظباء سمام ما لهن مفاحص ... وزرق حمام ما لهن هديل

---

[١] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٤١-٤١.

[٢] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٦؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٨١-١٨٢، عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٣.

[٣] تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص١٨٢؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٣.

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٥؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ص٨٨.

[٥] المقري، نفح الطيب، مج٤، ص٨٧؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٨.

ويلاحظ مما سبق ذكره ازدهار صناعة السفن والأساطيل الحربية في الأندلس، وبخاصة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ حظيت هذه الصناعة باهتمام الخلفاء ورعايتهم الخاصة، الأمر الذي أدى إلى تنوع قطع الأسطول الأندلسي وتعددها، فتنوعت في الحجم والنوع والوظيفة، وهذا ما سنشير إليه في الصفحات القادمة، وأدى ذلك إلى تطور القوة البحرية الأندلسية، فوصلت إلى أوج عظمتها وازدهارها، وحققت الانتصار تلو الانتصار على المعتدين. وفي ذلك دلالة واضحة على إتقان الأندلسيين لهذه الصناعة، وإشارة جليلة إلى مدى التقدم والرقي الذي وصلت إليه.

أما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فقد اقتسم ملوك الطوائف الأسطول الأندلسي المرابط في مراسي بلنسية (Valencia)، ودانية، ومرسية (Murcia) والمرية، وإشبيلية فيما بينهم[١]. واهتم بنو عباد (٤١٤-٤٨٤هـ/ ١٠٢٣-١٠٩١م) خاصة بشؤون البحر لوقوع معظم ثغورهم على المحيط الأطلسي، فكان لهم أسطول تتوزع قطعة البحرية عند مصب نهر الوادي الكبير وفي مياه شلب، ويبدو أن داري صناعة إشبيلية، وشلب كانتا تنتجان أعدادا كبيرة من السفن في عصر بني عباد، ومما يؤكد ذلك أن الخشب بجبال شلب كان يحمل منها إلى سائر أنحاء إشبيلية لصناعة السفن[٢].

واحتلت المرية مكانة مهمة في عصر ملوك الطوائف، نظرا لكثرة سفنها ونشاط دار صناعتها في الإنتاج، وخاصة في عهد المعتصم بن صمادح (٤٤٤-٤٨٠هـ/١٠٥٢-١٠٨٧م)، الذي حرص على إنشاء أسطول قوي يرابط في المرية لمواجهة المعتدين. وكان هذا الأسطول يتألف من عدد كبير من الجواري والفلك والأجفان[٣]. غير أن هذا الأسطول لم يلبث أن أحرقت معظم قطعه على يدي معز الدولة ابن المعتصم عندما تغلب المرابطون على المعتمد بن عباد[٤].

---

(١) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٨.

(٢) تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص٢٠١-٢٠٢.

(٣) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٨-٤٩.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٩٢؛ عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٤٩.

ونشطت حركة بناء السفن الحربية والتجارية في عصر المرابطين الذين استفادوا من الخبرات السابقة في الصناعات البحرية والإنشاء،[١] واستثمروا دور الصناعة التي كانت قائمة في مراسي المدن الأندلسية، مثل طرطوشة وبلنسية، ودانية، ولقنت، والمرية، ومالقة، وقادس، وشلب، وقصر أبي دانس[٢]. واشتهرت المرية بصناعة الأجفان (نوع من السفن الحربية) التي لم يكن في بلاد الأندلس أعظم منها، وقد بلغت المائة[٣].

ومما يدل على تقدم المرابطين وبراعتهم في صناعة السفن الحربية، أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/ ١١٠٦-١١٤٢م) أصدر أمره سنة (٥٠٨هـ/ ١١١٤م) بتعمير ثلاثمائة قطعة، فامتثل أمره واندفعت هذه القطع جميعها من هناك إلى جزيرتي يابسة (Ibiza) وميورقة (Mallorca)، لصد الهجوم الذي شنه أهل بيزة وجنوة عليها[٤].

واستفاد الموحدون من دور الإنشاء الأندلسية التي ورثوها عن المرابطين، فاهتموا ببناء السفن والأساطيل الحربية[٥]. ومما يذكر أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي* أمر في سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م) بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل بلاده، وعزم على غزو بلاد الروم في البر والبحر، فأنشأ منها أربعمائة قطعة، منها في حلق المعمورة (المهدية) ومرساها مئة وعشرون قطعة ومنها ببلاد الأندلس ثمانون قطعة[٦].

---

[١] عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٥٠؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٢.

[٢] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٢.

[٣] الزهري، الجعرافية، ص١٠١.

[٤] ابن الكرديوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص١٢٢-١٢٣.

[٥] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٣٢.

* هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي، نسبة إلى قبيلة كومة، وهي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان. وقد ولد بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا، وذلك في آخر سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، وتولى أمر الموحدين في المغرب والأندلس خلال الفترة الواقعة بين(٥٢٤-٥٥٨هـ/ ١١٢٩-١١٦٢م). المراكشي، المعجب، ص١٩٤، ١٩٦-١٩٨.

[٦] ذكر ابن صاحب الصلاة أن عبد المؤمن بن علي أمر بإنشاء مائتي قطعة بحرية في سواحل العدوة والأندلس، فأعد منها في مرسى المعمورة (١٢٠قطعة)، وأعد باقي العدد في أرياف العدوة والأندلس. انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٤٧؛ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت بعد ٧٤١هـ/ =

وكانت قطع الأسطول الأندلسي في عصر الموحدين ترابط في مراسي المرية، ومالقة، وجبل الفتح، وإشبيلية[1]. وبفضل هذا الأسطول تمكن الملك الناصر محمد بن يعقوب المنصور (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٨-١٢١٣م) من غزو جزيرة ميورقة، والقضاء على قوات عبد الله بن اسحق بن غانية سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م). ومن الجدير بالذكر أن هذا الأسطول كان يتألف من " ثلاثمائة جفن: منها سبعون غرابا، وثلاثون طريدة، وخمسون مركبا كبارا، وسائرها قوارب منوعة ".[2]

وفي عهد الدولة المرينية، كانت السفن والأجفان الحربية تصنع في دور الإنشاء الأندلسية المعدة لهذا الغرض في كل من: الجزيرة الخضراء، وطريف[3] (Tarifa)، والمنكب[4].

أما في عهد الدولة النصرية (دولة بني الأحمر ملوك غرناطة)، فكانت المراكب التجارية والسفن الحربية تصنع في المرية، والمنكب، ومالقة[5]. وقد قدم لنا ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وصفا دقيقا لأسطول مملكة غرناطة المرابط في ساحل الأندلس الجنوبي، فذكر أن " بالبلاد البحرية أسطول الحراريق المفرق في البحر الشامي، يركبها الأنجاد من الرماة والرؤساء المهرة، فيقاتلون العدو على ظهر البحر، وهم الظافرون في الغالب، ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل وما هو بقربه، فيأسرون أهلها ذكورهم وإناثهم، ويأتون بهم إلى بلاد المسلمين، فيبرزون بهم ويحملونه إلى غرناطة إلى السلطان فيأخذ منهم ما يشاء ويهدي ويبيع "[6].

-

١٣٤٠م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٢٠١. سيشار لهذا المصدر فيما بعد: ابن أبي زرع الأنيس المطرب.

(١) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٥١.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٨-١٨٩.

(٣) طريف: جزيرة طريف، نسبة لطريف بن عبد الله مولى موسى بن نصير، ويكنى أبا زرعه من البرابر، وهو أول من جاز إلى الأندلس من المسلمين فنزل بها، فسميت به. انظر: ابن هشام اللخمي، المدخل، مج٢، ص٢٥٩.

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٣٥٧-٣٥٨.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٠، ٢١١، ٢١٢. رواية: (ابن فضل الله العمري)؛ انظر: عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٥٢؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٦٢؛ تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص٣٠٢-٣٠٣.

هذا واستمرت الأندلس في إنتاج السفن والأساطيل الحربية حتى سقوط غرناطة، آخر معقل إسلامي في أيدي النصارى الإسبان، سنة (٨٧٩هـ/١٤٩٢م)[١].

ومن المفيد أن نشير هنا إلى أبرز أنواع السفن التي يتألف منها الأسطول الأندلسي، وأهم عددها وآلاتها الحربية:

١. "**الشواني**"[٢]، جمع شيني أو شونة، وهي أجفان حربية كبيرة مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وأبراجها ذات طبقات مربعة فالطبعة العليا منها يقف فيها الجنود المسلحون بالقسي والسهام. وفي الطبقة السفلى الملاحون الذين يجذفون بنحو من مائة مجذاف، ويتراوح ما تحمله الشونة من المقاتلة ما بين (١٥٠-٢٠٠)[٣].

٢. "**الحراقات**"[٤]، جمع حراقة، وهي مراكب حربية كبيرة، كانت تزود بمكاحل البارود والعرادات والمنجنيقات[٥] لقذف النفط المشتعل على الأعداء. وكان الأندلسيون يعملون الحراقة على هيئة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس.[٦]

٣. "**الشلنديات**". جمع شلندي، وهي مراكب كبيرة مسطحة استخدمت لحمل المقاتلة والسلاح، وتعادل أهميتها الشونة والحراقة، وأصلها في اللاتينية

---

(١) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٥٢.

(٢) انظر: ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٢٣؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص٨١-٨٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٢٠.

(٣) عبد الرحمن البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٩٣م، ص١٦١، ١٦٥-١٦٦، سيشار لهذا المرجع فيما بعد، البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، النخيلي، السفن الإسلامية، ص٨٣-٨٤.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٦٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٥٨؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٦٢.

(٥) مكاحل البارود هي المدافع التي يرمي عنها بالنفط وحالها تتنوع، فبعض يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر، وبعض يرمي عنه ببندق من حديد. والعرادات، جمع عرادة، وهي آلة أصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة أو السهام المرمى البعيد، وبقدور النفط أو العقارب. والمنجنيق آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يوضع فيها الحجر. انظر: البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦-١٦٧.

(٦) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦-١٦٧؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص٣٢-٣٦.

(Chelandium).واستعملها العرب فقالوا: صندل، ويستعملها الفرنج لنقل البضائع والأمتعة.[1]

٤. "**الحربيات**"[2]، جمع حربي وحربية، نوع من الشواني، لكنها أصغر منها، امتازت بسرعتها وخفة حركتها واستخدمت في الأسطول الأندلسي.[3]

٥. "**البوارج**"، جمع بارجه، نوع من السفن الحربية التي تمتاز بضخامتها، وهي أكبر من الشواني.[4]

٦. "**المسطحات**"، جمع مسطح، وهي من كبار السفن، استخدمت لنقل المقاتلة والسلاح.[5]

٧. "**القراقير**"[6]، جمع قرقور، وهي "مراكب كبار بقلوع مربعة، تجري إلى أمامها وإلى خلفها"[7]، وكانت تستخدم لحمل المواد التموينية والإمدادات العسكرية، واسمها بالإسبانية (كاراكا)[8].

٨. "**الطرائد**"[9]، جمع طريدة، وقد أخذ الإسبانيون هذا الاسم فقالوا: Tarrido، وهي السفن التي تحمل الخيل، وأكثر ما يكون فيها أربعون فرسا، وكانت تفتح من الخلف حتى يسهل الصعود إليها والنزول منها[10].

٩. "**البطسات**"[1]، جمع بطسة، وهي سفينة عظيمة الحجم كثيرة القلوع، قد تصل عدد القلوع في الواحدة منها إلى أربعين قلعا. وتختص تلك السفن بنقل المواد التموينية

---

(1) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٩؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص٧٨-٨١.

(2) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨١-٨٢.

(3) حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٦؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص٣٧.

(4) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦.

(5) ابراهيم طرخان، المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦، ص٦٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: طرخان، المسلمون في أوروبا؛ البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥.

(6) الزهري، الجعرافية، ص٩٢؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٨٠.

(7) الزهري، الجعرافية، ص٩٢.

(8) طرخان، المسلمون في أوروبا، ص٧٠؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٢٠-١٢١؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥.

(9) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٩.

(10) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٩؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥-١٩٦.

والإمدادات والذخائر العسكرية. وكانت الواحدة منها تشتمل على عدة طبقات، يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتهم.[٢]

١٠. "**الأغربة**"[٣]، جمع غراب، وهي من المراكب الحربية شديدة البأس التي استعملها المسلمون والفرنج في العصور الوسطى في الغارة والغزو. وأطلق عليها اسم الغراب، لأن مقدم هيكلها كان على شكل رأس غراب.[٤]

١١. "**الحمالات**"[٥]، جمع حمالة، من ملحقات الأسطول الحربي، استخدمت لنقل مؤونة الجيش وأسلحته. وكانت تستعمل في حمل الخيول كذلك[٦].

١٢. "**الفلائك والقوارب**"، من توابع الأسطول الأندلسي، وهي سفن صغيرة الحجم تتحرك بالمجاديف، وترافق السفن الكبيرة لحمل الأمتعة الخفيفة[٧].

أما عدد الأساطيل وآلاتها، ومعداتها الحربية، فكانت تتألف من الرماح والعصي والتراس والزرد والدرق والخوذ والمنجنيقات والعرادات[٨] التي اشتهرت صناعتها في أنحاء مختلفة من الأندلس.

واستخدم الأندلسيون في حروبهم البحرية النار اليونانية، وهي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والأدهان في شكل سائل يطلقونه من أسطوانة نحاسية مستطيلة يشدونها في مقدم السفينة فيقذفون منها السائل مشتعلا، أو يطلقونه بشكل كرات مشتعلة، أو قطع من الكتان الملوث بالنفط فيقع على السفن فيحرقها حرقا، ومن مميزات هذه النار

=

(١) المراكشي، المعجب، ص٢٨٠.

(٢) النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٤-١٥؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٦؛ طرخان، المسلمون في أوروبا، ص٦٩.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٢٣؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٥٧، ١٢٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٩.

(٤) النخيلي، السفن الإسلامية، ص١٠٤-١٠٧؛ طرخان، المسلمون في أوروبا، ص٦٩؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣١٣.

(٦) النخيلي، السفن الإسلامية، ص٤٠-٤١.

(٧) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٩؛ طرخان، المسلمون في أوروبا، ص٧٠؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص٥٩.

(٨) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٩.

أنها تشتعل في الماء والهواء[١]، واستخدم الأندلسيون معدات حربية أخرى، مثل التوابيت التي كانت تعلق فوق أبراج السفن، وهي عبارة عن صناديق كبيرة مفتوحة أعلاها يصعد إليها الرجال قبل استقبال العدو، فيقيمون فيها للاستكشاف ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق، فيرمون العدو بها وهم مختبئون في هذه الصناديق، ومعهم عدا الحجارة قوارير النفط وجرار النورة، وهي مسحوق ناعم مؤلف من الكلس والزرنيخ يرمون بها الأعداء في مراكبهم فتعمى أبصارهم بغبارها، وقد تلتهب فيها التهابا[٢] وكانوا يرمون الأعداء بقدور الحيات والعقارب، وبقدور الصابون اللين كي يزلقو أقدامهم.

وكان الأندلسيون يحيطون مراكبهم بالجلود أو اللبود المبلولة بالخل والماء أو الشب والقطران لحمايتها من النفط المستخدم من قبل العدو. وكانوا يجعلون في مقدمة سفنهم أداة كالفأس يسمونها اللجام، وهي حديدة طويلة محددة الرأس وأسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل في أسفلها خشبة كالقناة في مقدم المركب، يقال لها " الاسطام " فيصير اللجام كأنه سنان رمح بارز في مقدم المركب، فيطعنون مركب العدو به فلا يلبث حتى ينخرق فينصب فيه الماء فيغرق[٣].

ب. صناعة الأسلحة

برع الأندلسيون في صناعة أنواع عديدة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة الدفاعية والهجومية[٤]. وكانت الأسلحة الدفاعية تتألف من التراس والدروع والبيضات والدرق والتجافيف والسواعد والجواشن والمغافر. وكانت الأسلحة الهجومية الخفيفة تتألف من: السيوف والرماح والحراب والقسي والسهام والمزارق والطبرزينات (الفؤوس) والمعاول. أما الأسلحة الهجومية الثقيلة التي كانت تستخدم في حصار المدن، فكانت تتألف من: المنجنيقات والعرادات والدبابات.

---

(١) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٩-١٧٠؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٦.

(٢) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٧١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧١-١٧٢.

(٤) عبد الواحد ذنون طه، تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي، مجلة المورد، مج١٧، ع١، بغداد، ١٩٨٨م. ص٢١، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبد الواحد، تنظيمات الجيش.

وقد استخدم المسلمون " الدبابة " في بداية الفتح الإسلامي للأندلس، حين أمر القائد موسى بن نصير بعمل " دبابة " لنقب أسوار مدينة ماردة (Merida). وفي ذلك يقـــول صاحب كتاب أخبار مجموعة: وعمل موسى دبابة، " فدب المسلمون تحتها إلى برج مـــن أبراجها، فنقبوا صخرة، فلما نزعوا صخره أفضوا في داخله إلى الصماء التي يقال لـــها اللاشة ماشة بلسان أهل الأندلس، فنبت عنها معاولهم وفؤوسهم، فبينا هم يضربون فيـــها إذا استفاق عليهم العلوج، فاستشهد المسلمون تحت الدبابة، فسمي ذلـــك الـــبرج " بـــرج الشهداء"[١] والدبابة: هيكل ضخم من الخشب السميك المغطى بقطع من الجلد أو اللبـــود من الجوانب لحماية الجنود الذين يعملون تحته، وكانت تتحرك على بكرات أو اسطوانات خشبية، فتدفع إلى الأمام حتى تلتصق بالأسوار[٢].

واستخدم الجيش الأندلس من أدوات القتال في عهد الإمارة: القسي، وكانت تتخـــذ من قرون الأيل والتيوس البرية[٣] والجعاب، وهي أوعية السهام التي تتخذ من الجلـــد[٤] والسيوف التي اختص بصناعتها الصياقلة (جمع صيقل)[٥]، والمـــزارق وهـــي الرمـــاح القصيرة[٦]، والمنجنيقات، وهي من أسلحة الحصار الثقيلـــة، التـــي ترمـــى بواســـطتها الحجارة والأنفاط، آلة " لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبة خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يوضع فيها الحجر، يجذب حتى ترتفع أسافله على أعاليه، ثـــم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر أو النفط منه فما يصيب شيئا إلا عصـف به عصفا"[٧] وقد ورد أن الأمير عبد الرحمن الداخل استخدم ستة وثلاثين منجنيقـــا فـــي إحدى حملاته العسكرية على مدينة سرقسطة[٨] (Zaragoza). كمـــا اســـتخدم الجيـــش الأندلسي دروع الفضة لوقاية أجسادهم من ضربات العدو، فذكر ابن الكردبوس أن جيش المسلمين انتهى في أيام الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط إلى " مائة ألف فارس منـــهم

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦-١٧؛ انظر كذلك المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٧٠.

(٢) عبد الواحد، تنظيمات الجيش، ص٢٢.

(٣) القرطبي، تقويم قرطبة، ص١٠٥؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٩.

(٤) ابن سيدة، المخصص، مج٢، س٢، ص٦٩.

(٥) ابن سيدة، المخصص، مج٢، س٢، ص٢٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٢.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص١٣٩؛ مؤلف مجهول.، أخبار مجموعة، ص٦٠.

(٧) البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦-١٦٧.

(٨) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٥-١١٦؛ عبد الواحد، تنظيمات الجيش، ص١٩.

انتهى في أيام الأمير عبد الرحمن الثاني الأوسط إلى " مائة ألف فارس منهم عشرون ألفا بدروع الفضة"[1].

وتعد قرطبة وطليطلة من أشهر مراكز صناعة السلاح في عهد الإمارة. وكانت طليطلة تنتج أنواعا عديدة من الأسلحة كالسيوف الفولانية التي حظيت بشهرة واسعة، والدروع الحديدية والبيضات[2] أو (الخوذات) التي تستخدم لحماية الرأس، وتصنع في العادة من الحديد، وقد سميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام[3] وكانت صناعة الأسلحة مزدهرة في طليطلة قبيل الفتح الإسلامي، ويبدو أنها توقفت بعد الفتح كنتيجة لحالة الفوضى وعدم الاستقرار التي صاحبت عملية الفتح، إذ إن من المعروف أن الأمير عبد الرحمن الأوسط، هو الذي عمل على إحياء هذه الصناعة في طليطلة، فتطورت وازدهرت من جديد، واستمرت فيها طوال العصر الإسلامي[4].

وحرص الأمويون في عصر الخلافة على تزويد الجيش الأندلسي بالمعدات والآلات الحربية اللازمة لمواجهة الأخطار المحدقة بالأندلس من الخارج، لا سيما خطو الممالك المسيحية في الشمال[5]. لذا حظيت صناعة الأسلحة باهتمام الخلفاء ورعايتهم الخاصة، فتقدمت تقدما كبيرا وبلغت الغاية في الجودة والإتقان.

وقد أنشأ الخليفة عبد الرحمن " دارا لصناعة آلات السلاح للحرب " في مدينة الزهراء[6] (Alzahra). وكانت معامل الأسلحة تنتج أنواعا مختلفة من العدد والآلات الحربية، كالرماح والأقواس والنبال والدروع والبيضات[7] والحراب والتراس المذهبة

---

(1) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٥٧.

(2) Imamuddin , The Economic History of Spain ,P226, 229؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص١٥٣،١٨٨؛ كيب، مدنية المسلمين في إسبانيا، ص٤٣؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٤٠-٤٤١.

(3) ابن سيدة، المخصص، مج٢، س٢، ص٧٣؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٧، ص١٢٤-١٢٥.

(4) Imamuddin . The Economic History Of Spain. P229; عبد الرحمن زكي، صناعة السيف في الإسلام، ومشاهير الصناع في العصور الوسطى، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج٢٠، ١٩٧٩-١٩٨٠. ص١١٨، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: عبد الرحمن زكي، صناعة السيف.

(5) حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٥-١٩٦.

(6) ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص٣١٢.

(7) الكتاني، التشبيهات، ص١٩٩-٢٠٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤-٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٠-١٠١. رواية: (ابن حيان).

والمفضضة[1]، وهي من الأسلحة الدفاعية التي يتوقى بها، وتصنع العادة من الحديد، ويقال لصانعها التراس[2]. والمغفر[3]، وهذه تصنع من صفائح أو رقائق حديدية وتغطي الرأس كله باستثناء العينين والأنف والفم، ويلبس المقاتل تحتها كوفية تضم شعره[4]، والدرق، وهي نوع من التراس تتخذ من الجلود، وتستخدم لحماية الجسم من ضربات العدو وسهامه[5]. والتجافيف، وهي التي توضع على الخيل من حديد أو غيره، وقيل: ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح[6]. والدبابيس، وهي أعمدة ذات رؤوس حديدية مدورة ومضرسة[7] والمنجنيقات، والعرادات (جمع عرادة)، وهي آلة أصغر من المنجنيق ترمى بواسطتها الحجارة أو السهام أو قدور النفط[8]. والسيوف المموهة بالذهب والفضة[9] وأغمدة السيوف ومقابضها، وهذه تصنع من السفن الذي يتخذ من جلود الأسماك[10] والجواشن، وهي نوع من الزرد الذي يغطى به الصدر[11].

---

(1) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٧، ١١٧-١١٨؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص٨٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٨٧.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مج٦، ص٣٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠١؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٥، ص٤٧٧.

(3) المغفر، قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس، وقيل زرد من الدرع ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ص٢٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٢٤٨.

(4) Williams , The Arts And Crafts of Older Spain, I,224-225.

(5) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٨؛ ابن منظور، لسان العرب، مج١٠، ص٩٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٣؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٩.

(6) ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص٣٠؛ ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص٣٠٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٣٥٨.

(7) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٤٩.

(8) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٦١، ١٧١-١٧٢؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٣، ص٢٨٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٨-١٥٩؛ البرقوقي، حضارة العرب في الأندلس، ص١٦٦.

(9) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص١٣٠-١٣٣.

(10) اختصت بهذه الصناعة مدينة مالقة كما ذكرنا سابقا: انظر، الاصطخري، مسالك الممالك، ص٤٢؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٣٩؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص١٣٢؛ ابن منظور، لسان العرب، مج١٣، ص٢١٠.

(11) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٢، رواية: (ابن حيان)؛ عبد الواحد، تنظيمات الجيش، ص٢٢.

ومما يصور تقدم وتطور صناعة السلاح في عصر الخلافة، الهدية التـــي قدمـــها ابن شهيد للخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٢٧هـــ/ ٩٣٨م). إذ أنها كانت تشتمل علـى مائة ألف سهم من النبال البارعة الصنعة، وألف ترس سلطانية، وثمانمائة من التجفـافيف التي تستخدم في أيام البروز والمواكب[١]. والهدية التي أنعم بها الخليفة الحكم المسـتنصر على حاجبه جعفر المصحفي يوم توليته الحجابة، وكانت تشـتمل علـى مائـة مملـوك إفرنجي متقلدين "السيوف والرماح والدروق والتراس والقلانس الهندية، وثلاثمائة ونيـف وعشرون درعا مختلفة الأجناس، وثلاثمائة خوذة كذلك، ومائة بيضة هندية، وخمسـون خوذة خشبية من بيضات الفرنجة من غير الخشب (التي) يسمونها الطشطانة، وثلاثمائـة حربة إفرنجية، ومائة ترس سلطانية، وعشرة جواشن فضة مذهبة"[٢].

وازدهرت صناعة الأسلحة كثيرا في عهد الحاجب المنصور محمـد ابـن أبـي عامر، حيث كانت المصانع تنتج في كل عام إثني عشر ألف تـرس عامريـة لقصـري الزهراء والزاهرة[٣] وذكر ابن الخطيب في رواية أخرى أن " دار التراسين كانت تنتـج من أصناف التراس في كل سنة ثلاثة عشر ألف ترس، ومن أصناف القسي إثني عشـر ألف قوس، منها ستة آلاف قوس عربية تنتج في دار التراسين بقرطبة، وكان القائم علـى صناعتها رجل يدعى أبا العباس البغدادي، ويلقب " بالمعلم الأكبر ". وستة آلاف قـوس تركية أي تصنع على نمط القوس التركي تنتج في دار التراسين بمدينـة الزهـراء، وكان يتولى الإشراف على صناعتها رجل صقلبي يدعى " طلحة الصقلبي "، وكانت تنتج من أصناف النبال في كل شهر عشرين ألفا[٤].

واشتهرت مدينة سالم (Medinaceli) بإنتاج المجانيق والتراس والسهام وغير ذلك من العدد والآلات الحربية وقد زودت هذه المدينة الحاجب المنصـور بسـتة مجـانيق،

---

[١] ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص٣٠٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٣٥٨؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٣.

[٢] ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص٣١٢-٣١٣. رواية: (ابن حيان)؛ المقـري، نفـح الطيـب، مـج١، ص٣٨٢.

[٣] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨٩؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٨٥.

[٤] ابن الخطيـب،أعمال الأعلام، ص١٠١. رواية: (ابن حيان)؛ عبد الواحد، تنظيمات الجيش، ص٢٢.

ومائتي ألف سهم وخمسة آلاف ترس سلطاني، ومائتي زوج من أزواج المطلحن وآلات الحديد، وذلك حين خرج إلى قشتالة (Castilla) في صائفة سنة (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)(١).

وتجدر الإشارة هنا إلى بعض أنواع الأسلحة وأدوات القتال التي اصطحبها معه الحاجب المنصور في هذه الصائفة، فقد كان من جملتها: ستمائة ترس عامري، وألف ترس سلطاني، وألفي حربة إفرنجية، وإلفي وضم للرجم، إضافة إلى الزيت والنفط والقطران، وآلات المنجنيق، وتوابيت النبال، والأخبية. وهذه الأخيرة كان يصنع منها في كل سنة ثلاثة آلاف خباء كعدة للجند(٢).

ويضاف إلى ذلك الكثير من الأسلحة المحفوظة في " خزائن السلاح "، والمعدة للتوزيع على رجاله قرطبة وغيرهم من حشود المتطوعين أيام البروز والاحتفالات. فقد كان في مدينة الزاهرة (Azzahira) وحدها أربعون ألف ترس، ومن أبدان* الدروع سبعة آلاف درع، ومن أصناف الدروع السوابغ والغلائل السابرية* خمسة آلاف درع، ومن الجوشن، سبعمائة قطعة(٣).

ومن الجدير بالذكر أن جميع أنواع الأسلحة في عصر الخلافة، كانت تحفظ في "خزائن السلاح"(٤) المعدة لهذا الغرض في حال خروجها من المصانع، وكان يتولى الإشراف عليها موظف رفيع المستوى يطلق عليه اسم "خازن الأسلحة"(٥)، ولأهميته كان

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠١، رواية: (ابن حيان)؛ عبد الواحد، تنظيمات الجيش، ص٢٣.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٠-١٠١. رواية: (ابن حيان).

* البدن، هي الدروع بأنواعها.

السابغة: هي الدروع الواسعة.

الغلالة، تلبس تحت الدرع من ثوب أو غيره، ربما كانت درعا صغيرا تحت العليا. ابن سيدة، المخصص، مج٢، ص٦، س٧٠-٧٠. * السابري من الثياب: الرقاق، وكل رقيق: سابري، والأصل فيه الدرع السابرية، منسوبة إلى سابور. ابن منظور، لسان العرب، مج٤، ص٣٤٢.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٢. رواية: (ابن حيان)؛ عبد الواحد، تنظيمات الجيش، ص٢٢-٢٣.

(٤) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٧؛ ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٨١، ٩٧، ٤٨٨؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٩٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٢.

(٥) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص١٣١؛ التهامي الراجحي، نظم وإدارة بني أمية بالأندلس، ص٣٩٨.

الخليفة يتولى بنفسه عملية تعيينه وعزله،[1] وعليه كانت تقع مسـؤولية خـزن السـلاح وحفظه وتوزيعه على الجند عند الحاجة، ومثال ذلك أن الخليفة الحكم المسـتنصر "أنفـذ عهده إلى الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان بجمع رجالـه قرطبـة مـن أحداثها وفتيانها المحسنين لحمل السلاح، واكتتاب أسمائهم على تطبيقهم فـي أرباضـهم وإعطائهم التراس والحراب من خزائن السلاح، ليشاهدوا يوم الموكب إلى الزهراء"[2].

وأن المظفر عبد الملك بن المنصور (٣٩٢-٣٩٩/١٠٠١-١٠٠٨م)، قد " عـهد في غزوته التي فتح فيها حصن منغص من ثغر برجلونة إلى الخزان بتوزيـع خمسـة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة وخمسة آلاف مغفر على طبقات الأجناد الدراعين "[3].

وكان المسلمون في عهد ملوك الطوائف يستعملون في حروبهم القسي العقـارة[4] والتراس والنبال والرعادات[5]وغير ذلك من أنواع الأسلحة التي اشتهرت صناعتها فـي كل من طليطلة[6] وغرناطة[7] وإشبيلية والمرية[8]، ويبدو أن إنتاج الأندلس من الأسـلحة في هذه الفترة حقق فائضا، فقد استورد يوسف بن تاشـفين سـنة (٤٧٤هـ/ ١٠٨١) كميات كبيرة منها[9].

---

[1] فمثلا في سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م) ولى عبد الرحمن الناصر كلا من عبد الملك بـن سـليمان الخولانـي، وموسى بن سليمان الخولاني خزانة السلاح، وفي سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م) ولى محمد بن يمليح خطة السلاح، وعزل خلف بن أيوب عنها. وتولاها الطبيب أبو عبد الملك الثقفي في عهد الناصر والمستنصر، انظر: ابـن حيان، المقتبس، ج٥، ٨١، ٩٧، ٤٨٨؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٩٢.

[2] ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤٧.

[3] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٨٧. رواية: (ابن حيان)؛ عبـد الواحد، تنظيمات الجيش، ص٢٢-٢٣.

[4] نوع من الأقواس الكبيرة التي شاع استخدامها في المغرب الإسلامي، وتميزت ببعد مداها، وكانت تستخدم في وضعية الجثو من قبل جنود أقوياء البنية، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٧٦.

[5] الصنهاجي، التبيان، ص١٢٠.

[6] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٩.

[7] الصنهاجي، التبيان، ص١٢٠.

[8] عبد الرحمن زكي، صناعة السيف، ص١١٨-١١٩.

[9] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٣٧-٣٨.

واهتم المرابطون بصناعة الأسلحة، بعد أن بسطوا سيطرتهم على الأراضي الأندلسية، فأكثر الأمير يوسف بن تاشفين من عمل السهام والمطارد* والعرادات، وغير ذلك من الآلات الحربية[1] واستخدم جيش المرابطين من أنواع السلاح الدرق، والرماح الطوال، والمزاريق، والتراس[2] ولم يألف المرابطون في بدء أمرهم لبس الخوذات والدروع مثلما كان الأندلسيون يفعلون، لكن حروبهم مع النصارى الإسبان اضطرتهم لاتخاذها والإكثار منها خاصة في مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[3] ومما يذكر في هذا الصدد أن مدينة وشقة (Huesca) اشتهرت بعمل الدروع والبيضات الرشيقة[4]، وأن الأمير تاشفين بن علي (٥٠٠-٥٣٧هـ/ ١١٠٦-١١٤٢م)، أمر بضرب السهام وعمل التراس والدروع والبيضات والسيوف في مدينة غرناطة سنة (٥٢٣هـ/ ١١٢٨م)[5].

أما في عهد الموحدين، فقد اهتم أهل الأندلس بإنتاج آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر.[6] وقد حرص الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/ ١١٢٩-١١٦٢م) على "استجلاب الخيل للجهاد، والاستكثار من أنواع السلاح والعدد، وأمر بضرب السهام في جميع عمله، فكان يضرب له كل يوم عشرة قناطير"[7] وكانت أدوات الحرب المستعملة في عصره تتمثل في السيوف، والرماح الطوال والدروع والبيضات والتراس والقسي والسهام[8] والدرق

---

* المطرد: نوع من الرماح القصيرة. ابن سيدة، المخصص، مج١، س٦، ص٣٢.

[1] مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٦٨.

[2] الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، سراج الملوك، المكتبة العربية ومطبعتها، ط١، ١٩٣٥م. ص١٧٥، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: الطرطوشي، سراج الملوك؛ انظر كذلك: المالقي، أبو القاسم بن رضوان (ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م)، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق، علي سامي النشار، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٤. ص٣٩٥-٣٩٦، وسيشار لهذا المصدر فيما بعد: المالقي، الشهب اللامعة.

[3] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٢.

[4] الزهري، الجعرافية، ص٨٢؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٠.

[5] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٤٥٧-٤٥٨.

[6] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٢. رواية: (ابن سعيد).

[7] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٠١.

[8] ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٤٣،١٣٧،١٤٨،٤٠٣،٤٠٥،٤٠٧.

اللمطية[١]، ثم صار الموحدون يتشبهون بالنصارى في أزيائهم وأسلحتهم، فكانوا يستوردون الأسلحة الأفرنجية من المناطق المجاورة لهم، لا سيما السيوف المعروفة بالبرذليات، نسبة إلى مدينة برذيل أوبوردو(Bordeaux) الواقعة شمال مدينة برشلونة[٢].

وكانوا يعتمدون في حروبهم على التراس والدروع والرماح الطويلة الثقيلة، على عادة النصارى الذين يقاتلونهم[٣]، ولكنهم لا يعرفون الدبابيس، ولا قسي العرب، بل يستعملون قسي الأفرنج للمحاصرات في البلاد، وهي تكون بيد الرجالة عند الاصطفاف للحرب[٤].

وتطورت صناعة الأسلحة تطورا كبيرا في عهد الموحدين، ومما يدل على ذلك استخدام الجيش الموحدي للكرت الحديدية الملتهبة في دك الحصون، والمجانيق الكبار التي يرمي الواحد منها مائة ربع من الحديد[٥]. واستخدامهم للمجانيق والسلالم والمساحي والفؤوس والمعاول والرقائق والحبال والدروع والسيوف والرماح والبيضات والتراس والدرق والقسي وذلك في الحملة العسكرية التي وجهها الملك الناصر محمد بن يعقوب (٥٩٥-٦١١هـ/ ١١٩٨-١٢١٤م) إلى جزيرة ميورقة سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)[٦].

هذا، وقد كانت مرسية والمرية ومالقة وإشبيلية من أشهر مراكز صناعة السلاح في العهد الموحدي[٧].

---

(١) الزهري، الجعرافية، ص١١٨؛ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٢) قال ابن سعيد: وفي شمالي برشلونة مدينة بردال التي تنسب إليها السيوف البردالية. انظر: ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٨١؛ ابن سعيد، بسط الأرض، ص١١٤؛ ابن السباهي، أوضح المسالك، مخ، ص٣٠/ ب؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٢.رواية: (ابن سعيد).

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٥، ص٥٣-٥٤.رواية: (ابن سعيد)؛ المقري، نفح الطيب. مج١، ص٢٢٣. رواية (ابن سعيد).

(٤) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٢٣. رواية (ابن سعيد).

(٥) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٢.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٨.

(٧) المقري،نفح الطيب، مج١، ص٢٠١-٢٠٢، رواية: (ابن سعيد)؛ عبد الرحمن زكي، صناعة السيف، ص١١٨؛ شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص١١٤؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٧.

أما سلاطين بني نصر ملوك غرناطة، فقد استخدموا الأسلحة التقليدية المعروفة كالسيوف والخناجر والدروع والدرق والجواشن والبيضات والقسي والرماح، التي اشتهرت صناعتها في كل من المرية وغرناطة[١]، واستخدموا في حروبهم "الأمداس" وهي "العصي الطويلة المثناة بعصى صغار ذات عرى في أوساطها، تدفع بالأنامل عند قذفها"[٢]، والأقواس القذافة أو "راجمات النبال" التي ترمي مجموعة سهام دفعة واحدة، وتعرف باسم الأقواس الأفرنجية. وكان مشاة الجيش الأندلسي يتدربون بصورة مستمرة على هذا السلاح لما يتطلبه من دقة في الرماية[٣].

كما استخدم الجيش الأندلسي أنواعا عديدة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة، حين خرج لفتح (حصن أشر) Lzanjar في عهد السلطان الغني بالله محمد بن يوسف (٧٥٥-٧٦٠هـ/ ١٣٥٤-١٣٥٨م). وفي ذلك يقول ابن الخطيب الذي رافق السلطان في هذه الحملة: "واستصحبنا أعجالا تحمل جوالقات السهام، وآلات الهدم، وماعون النقب من الدبابات والستائر الخشبية والنفوط والترسة والدرق إلى الحصاصيد والسلالم"[٤] وغير ذلك مما كان ينتج في مصانع الأسلحة المنتشرة في مملكة غرناطة النصرية.

وقد تأثرت مملكة غرناطة بالنظم الحربية للبلاد المسيحية المجاورة كقشتالة وأرجون،[٥] وذلك بعد أن تمكن النصارى الإسبان من بسط سيطرتهم على معظم الأراضي الأندلسية، فأخذ المسلمون يقلدونهم ويتشبهون بهم في ملابسهم وشارتهم وأسلحتهم، لأن المغلوب كما يقول ابن خلدون " مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده "كما هو الحال في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشارتهم والكثير من عوائدهم

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٥٣٤؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ج٢، ص٢٣-٢٤؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص١٩٨؛ يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢م. ص٩٢-٩٣، ١٤٥، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد: فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٢؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٩.

(٣) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص٩٣؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٦-١٩٧.

(٤) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، مج١، ص١٤٦،١٤٨.

(٥) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين، ص٤٣-٤٤.

وأحوالهم"[1]. وفي هذا الصدد يروى ابن الخطيب في وصف ملابس الجيش الأندلسي وأسلحته ما يلي:

(وجندهم صنفان أندلسي وبربري، الأندلسي منه يقوده رئيس من القرابة (أي قرابة السلطان) أو أحظياء الدولة، وزيهم في القديم شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم في إسباغ الدروع وتعليق الترسة وجفاء البيضات، واتخاذ عراض الأسنة وبشاعة قرابيس السروج واستركاب حملة الرايات خلفهم: كل منهم بسمة تخص سلاحة، وشهرة يعرف بها. ثم عدلوا الآن عن هذا الزي إلى الجواشن المختصرة والبيضات المذهبة، والسروج العربية، واليلب اللمطية والأسل اللطفية "*[2].

واستخدم مسلمو الأندلس الزفت والقطران والنيران والمجانيق للدفاع عن مدينة المرية حين هاجمها البرجلوني صاحب أرغون (Aragon) سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، "فدافعهم المسلمون وطرحوا عليهم الزفت والقطران، ورموا بالنيران، حتى فر النصارى عنها وتمكن المسلمون من كثير منهم"[3] وقد " كان لأهل البلد أي المرية منجنيق واحد يرمون بها برا وبحرا بحسب الحاجة، فلما تكسرت لحجر أصابها صنعوا ثلاثة مجانيق أخرى".[4] وفي ذلك دلالة واضحة على تخصص أهل المرية في صناعة الأسلحة والمعدات الحربية، وبراعتهم في صناعة المجانيق خاصة، وإشارة جلية إلى استخدام الأسلحة النارية في الأندلس في أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

ففي هذه الفترة توصل المسلمون إلى اكتشاف خاصية جديدة للنفط، كمادة هادمة متفجرة إذا اختلطت بملح البارود أو النشادر، وحصى الحديد في درجة حرارة عالية. وهذا الإكتشاف أدى إلى ظهور المدافع والأسلحة النارية.[5] وقد استخدم مسلمو الأندلس لمقاتلة النصارى الإسبان، آلات تقذف اللهب، والحجارة ويصحبها دوي مخيف كدوي

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٦٢٠-٦٢١.

(2) اليلب: جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس خاصة، وقيل: هي جلود تلبس مثل الدروع، وقيل: جلود تعمل منها الدروع * والأسل: اسم يجمع بين النبل والرماح. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص١٥، ٨٠٦.

(3) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٣٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٩.

(4) ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص١٣٨، ١٤١.

(5) العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٥١.

الرعد[1]، وظهرت براعتهم في استعمال هذه الآلات في عدة مواقع؛ ففي شـــهر رجـــب سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م) حاصر سلطان غرناطة اسماعيل بن فرج (٧١٣-٧٢٥هـــ/ ١٣١٣-١٣٢٤م) مدينة أشكر (Huescar) في جنوب الأندلس " ونشر الحـــرب عليـــها، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة، طاق البرج المنيـــع مـــن معقلـــه فاندفعت يتطاير شررها فألقى الله الرعب في قلوبهم، وأتوا بأيديهم، ونزلوا قسرا علـــى حكمه في الرابع والعشرين من الشهر "[2]. وفي وصف هذه الآلة العظمى يقول الشـــاعر أبو زكريا بن هذيل:

وظنوا بأن الرعد والصعق في الســـما ... فحـــاق بهم من دونه الصعق والرعـــد

غرائب أشـــكال ســـما هرمـــس بـــها ... مهندمـــــــة تأتي الجبال فتنهـــــد.

ألا إنـــها الدنيـــا تريـــــك عجائبـــــا ... وما في القوى منها فلا بد أن يبـــدو[3].

ومما يذكر هنا أن المصادر الإسبانية المعاصرة في وصفها لأحداث هذه الحرب، أشارت إلى هذا السلاح الجديد. ففي حوليات ثوريتا الإسبانية، نجد العبارة التي تقول مـــا معناه: " وانتشرت الإشاعات أن ملك غرناطة يمتلك سلاحا جديدا مبيدا[4].

كما استعملت مثل هذه الآفات في موقعـــة وادي لكـــه (Rio Guadalete) ســـنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)، وفي الدفاع عن الجزيرة الخضراء سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) وذلك في عصر السلطان أبي الحجـــاج يوســـف بـــن اســـماعيل (٧٣٣-٧٥٥هـــ/ ١٣٣٢-١٣٥٤م)[5] وفي الدفاع عن مدينة مالقة سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م)[6]. ويبدو من وصـــف

---

[1] محمد عنان، نهاية الأندلس، ص٢١٢.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٣٨٥، ٣٩٨؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٧٨،٨٥؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٥١.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٣٩٨؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٨٥.

[4] العبادي، الحياة الاقتصادية، ص٣٥٢.

[5] محمد عنان، نهاية الأندلس، ص٢١٢.

[6] مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص٩٢-٩٣.

هذه الآلات أنها كانت نوعا من المدافع الساذجة التي تحشى بالحديد والحجارة وبعض المواد الملتهبهالتي كانت فيما مضى عماد الحراقات أو الانفاط الشرقية(١).

وتطورت صناعة المدافع والأسلحة النارية حتى أصبحت من الصناعات المتقدمة عند مسلمي الأندلس. فصنف أحد الأندلسيين كتابا متخصصا في الموضوع، وهو كتاب " العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع "(٢)، ومؤلف هذا الكتاب هو " ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي " وهو من بقايا مسلمي الأندلس (الموريسكيون أو العرب المتنصرون) الذين أخفوا إسلامهم، وكان خبيرا بالمدفعية وصناعة البارود، وقد ورث هذا العلم أبا عن جد منذ عصور الأندلس.

وقد وصف المؤلف في هذا الكتاب كيفية صناعة المدافع والآلات الحربية البارودية، وكيفية إدارتها واستعمالها وتعميرها، ووصف اثنين وثلاثين نوعا من المدافع المختلفة الأحجام والصناعة والأغراض، ووصف أصناف البارود، وأنواع الحجارة التي يقذفها المدفع، ووصف صناعة المدفع وطريقة وزنه بميزان خاص للتأكد من دقة إصابته للهدف. ومن الجدير ذكره أن هذا الكتاب مزود برسوم توضيحية ملونة لمختلف أنواع المدافع، ومختلف القطع التي تركب منها(٣).

---

(١) ذكر صاحب كتاب نبذة العصر أنه كان لصاحب قشتالة سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م. أنفاط يرمي بها صخورا من نار، فتصعد في الهواء وتنزل على الموضع وهي تشتعل نارا فتهلك كل من نزلت عليه وتحرقه. وقد استخدمها في حصار إلبيرة وحصن مكلين وقلنبيرة. انظر: مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص٨٠-٨١، ٨٦؛ محمد عنان، نهاية الأندلس، ص٢١٢.

(٢) يوجد من هذا الكتاب عدة نسخ مخطوطة، إحداهما بخزانة الرباط العامة تحت رقم (١٤١)، ونسخة مصورة عنها في مكتبة الجامعة الأردنية، ميكروفيلم، رقم (٢١٩). وهذا الكتاب خارج نطاق دراستنا. ولذا نكتفي بالإشارة إلى بعض محتوياته.

(٣) يرجع تاريخ هذا الكتاب إلى أواخر القرن (١٠هـ) وأوائل القرن (١١هـ)/ ١٦-١٧م، وقد ألفه إبراهيم بن أحمد بلغة " الألخيمادو" الشهيرة، وهي لغة رومانية قشتالية تكتب بأحرف عربية، وقام بترجمته إلى العربية كاتب موريسكي يدعى الشهاب الحجري، أبا العباس أحمد بن قاسم. وقد توفي في تونس حوالي سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م). انظر: محمد عنان، من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي، العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج١٦، ١٩٧١م. ص١١-١٩، سيشار لهذا المرجع فيها بعد: عنان، من تراث الأدب الأندلسي؛ انظر كذلك، الفنجري، العلوم الإسلامية، ج٣، ص٤٩-٥٠.

ج. سك النقود

السكة: "هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطـــابع حديـد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار أو الدرهم، فتخرج رســـوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصـه بالسبك مرة بعد أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بـــوزن معيـن صحيـح يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عددا، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنــا. ولفظ السكة كان اسما للطابع[1]*، وهي الحديدة المتخذة لذلك، ثم نقل إلى أثرهـــا وهــي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم، ثم نقل إلى القيام على ذلك، والنظر فـــي استيفاء حاجاته وشروطه، وهي الوظيفة، فصار علما عليها في عرف الـــدول. وهـــي وظيفـة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة "[2].

والسكاك: محترف صناعة ضرب النقود، وحرفته السكاكة[3] أما صاحب السـكة، فهو الذي يتولى مهمة الإشراف على دار السكة، ويكون من أهم واجباته الإشراف علـــى ضرب العملة، والنظر في العملة المتداولة بين الناس في معاملاتهم التجارية، وحفظـــها مما يداخلها من الغش أو النقص[4].

وكانت العملة في المجتمعات الإسلامية تضرب على شكل مستدير، وتتم الكتابـــة عليها في دوائر متوازية، يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهليلا وتحميدا وصـــلاة على النبي وآله، وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة[5].

وقد تأثرت العملة التي سكها المسلمون بعد توسع فتوحاتهم بمؤثرين قويين همـــا: الفارسي الساساني والبيزنطي، وكان أهم فرق بينهما أن النظام البيزنطي كـــان يسـوده

---

(1) عنان، من تراث الأدب الأندلسي، ص١٤-١٨؛ الفنجري، العلوم الإسلامية، ج٣، ص٥٠.

* يعرف الطابع الذي تطبع به الدنانير والدراهم في الأندلس باسم الروسم. انظر: ابن هاشم اللخمي، المدخـل، مج٢، ص٢٠٨.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٨٠٨-٨٠٩.

(3) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١١٧،١١٩، ١٣٤-١٣٥.

(4) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٧٤٧.

(5) وذلك كما كان عليه الحال أيام الأمويين والعباسيين والعبيديين. انظـــر: ابـن خلـدون، المقدمـة، ج٢، ص٨١٠.

طابع المركزية الذي ميز الأمبراطورية البيزنطية وريثة الحضارة الرومانية، مما جعل السكة تكاد تكون موحدة في جميع أنحاء إمبراطوريتهم. أما الأمبراطورية الفارسية فقد انتشرت فيها سكك مختلفة متعددة. وأما المسلمون فإنهم بعد امتداد فتوحهم إلى شمالي إفريقية وإسبانيا كانوا أقرب إلى الأخذ بالنظام البيزنطي في سكة نقودهم، وكانت العملة المضروبة في الشمال الإفريقي تحمل اسم إفريقية والمضروبة في إسبانيا تحمل اسم الأندلس[١].

وكان المسلمون في بداية الفتح الإسلامي للأندلس " يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم أهل المشرق "[٢] فضلاً عن استعمال النقود المضروبة في إسبانيا قبل الفتح. وقد تأثرت العملة التي سكها الفاتحون الأوائل بالعملة التي وجدوها في البلاد من حيث الشكل والنقوش، فكان يكتب على العملة في بداية عصر الولاة حيث كانت الأندلس تابعة لخلافة المشرق في هذا العصر نصوص لاتينية إسلامية الطابع، وذلك في الفترة الواقعة ما بين سنة (٩٦-هـ٩٧/٧١٤-٧١٥م) ثم أخذت تظهر اللغة العربية إلى جانب اللغة اللاتينية منذ سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م)، ولكن هذه المرحلة لم تدم كثيراً إذ سرعان ما اختفت اللاتينية وبقيت العربية بصفة نهائية اعتباراً من سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م)[٣].

وفي عهد الإمارة استقلت الأندلس سياسياً عن المشرق الإسلامي، إلا أنها من الناحية الدينية بقيت تابعة للخلافة العباسية، إذ لم يجرؤ الأمراء الأمويون على التسمي بألقاب الخلافة، وفي هذا دليل واضح على أنهم ظلوا يحترمون الخلافة المشرقية ويخشونها، وقد ترك ذلك أثره على سكة نقودهم إذ أنهم لم يضربوا عملة ذهبية بل اكتفوا بضرب الدراهم والفلوس[٤]. ويؤكد ذلك ابن الفقيه الهمداني (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) الذي أشار إلى العملة المتداولة بين الناس في عهد الإمارة، ذاكراً أن للأندلسيين فلوساً " يتعاملون بها ستين فلساً بدرهم ودراهم تسمى طَبَلّياً "[٥] وقد كان الأمير عبد

---

(١) خايمة لويس، ملاحظات حول سكة النقود الإسلامية بالأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج٤، ع١-٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م. ص٢٤٢، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: لويس، ملاحظات حول سكة النقود.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٢٢.

(٣) رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص٤٧٨.

(٤) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٣٤.

(٥) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص٨٨.

الرحمن الأوسط أول من اتخذ داراً لسك النقود في مدينة قرطبة، وضرب الدراهم باسمه[١]. وكانت دار الضرب في موضع يقال له " باب العطارين "[٢]، مما يشير إلى وجود دار السكة خارج القصر في العهد الأموي.

وكان لبعض الثوار الخارجين على بني أمية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي دور سكة خاصة بهم، فديسم بن اسحاق[٣] الخارج على الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) في مدينة لورقة (Lorca) من أعمال تدمير "عثر على معادن الفضة بتدمير فضرب الدراهم على اسمه". واستمر على ذلك إلى أن غزاه الأمير عبد الله، فأعلن الولاء والطاعة وضرب الدراهم باسم الأمير[٤].

ويبدو أن إنتاج دار السكة كان كبيراً في عصر الإمارة، إذ كانت تصدر نقوداً في كل سنة بصفة مستمرة منتظمة، ومما يدل على ذلك التواريخ لمنقوشة على مجموعة من النقود المنتمية إلى هذا العصر والتي عثر عليها في منطقة إستيا (Esteila) في مملكة نبرة (Navarra) شمال إسبانيا. الأمر الذي يدل على قيام تبادل تجاري في ذلك الوقت مع هذه الدولة، ويؤكد النفوذ القوي الذي كان للنقود الإسلامية على إسبانيا المسيحية في تلك الفترة، بل يمكن أن نؤكد أن الحياة الاقتصادية في الممالك النصرانية لإسبانيا لا سيما الشرقية منها كانت تقوم على أساس هذه النقود، ومن المحتمل أنها كانت تصل إلى الشمال وتستعمل هناك بعد فترة قصيرة من ضربها في عاصمة الأندلس الإسلامية[٥].

وكان عهد الخلافة الأموية، عهد الاستقلال السياسي والديني الكامل عن المشرق الإسلامي، إذ أعلن عبد الرحمن الناصر لدين الله قيام الخلافة الأموية في الأندلس سنة

---

[١] قال الرازي، أن عبد الرحمن الأوسط أحدث بقرطبة دار السكة، وضرب الدراهم باسمه، ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها العرب. انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٢٢.

[٢] الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص٨٨.

[٣] ديسم بن اسحاق: كان ديسم بن اسحاق من فرسان عمر بن حفصون المنتزي ببشتر، ثم أنه ملك لورقة وغلظت شوكته، وكثر أتباعه وأعلن بالخلعان، وحارب أهل الطاعة، توفي بمرسية سنة ٢٩٣/ ٩٠٥م: العذري، ترصيع الأخبار، ص١١.

[٤] العذري، ترصيع الأخبار، ص١١-١٢.

[٥] لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٣٤؛ رجب العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص٤٧٩.

(٣١٦هـ/ ٩٢٨م)[١]، وأمر بإنشاء دار للسكة داخل مدينة قرطبة[٢]، لضرب الدنانير والدراهم من خالص الذهب والفضة، وفي ذلك يقول ابن حيان: وفي سنة ٣١٦هـ "أمر الناصر لدين الله باتخاذ دار السكة داخل مدينة قرطبة لضرب العين من الدنانير والدراهم، فاتخذت هناك على رسمه، وولي خطتها أحمد بن محمد بن حدير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان منها، فقام الضرب فيها من لدن هذا التأريخ من خالص الذهب والفضة "[٣]. وكانت هذه الدار تصدر في كل سنة مائتي ألف دينار، وكان هذه مرتبطاً بالرخاء والازدهار الاقتصادي الذي بلغته الأندلس في تلك الفترة[٤].

وقد حظيت دار السكة باهتمام خاص في عهد الخلافة، إذ نلاحظ أن اسم "صاحب السكة" كان يضرب على قطع النقد إلى جوار اسم الخليفة[٥]. وكان الخليفة يتولى بنفسه عملية تعيين وعزل صاحب السكة[٦]، الذي كان يُختار في العادة من بين العائلات المشهورة، ومن رجالات الدولة المقربين للخليفة كالوزراء والولاة والقضاة[٧]، ومنهم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر مثلاً: أحمد بن محمد بن موسى بن حدير، الذي تولى السكة سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، ومحمد بن فطيس سنة (٣٢١هـ/ ٩٣٣م)وسعيد بن جساس سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣)، وعبد الله بن جساس سنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) ثم تولاها سعيد بن جساس للمرة الثانية، واستمر فيها إلى أن عزله الناصر سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)[٨]. وفي هذه السنة تولى الإشراف على دار السكة قاسم بن خالد " صاحب العيار الجيد المضروب به المثل إلى اليوم "[٩] وإليه تنسب " الدراهم القاسمية "[١] التي

---

[١] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٤١؛ لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٣.

[٢] قال أحمد بن محمد الرازي؛ فيها اتخذ الناصر لدين الله دار السكة لعياره، وقد كان الضرب للنقد معطلاً قبله بدهر، فعظمت منفعة الناس واكتملت خصال دولته. انظر: ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٤٣.

[٣] المصدر نفسه، ص٢٤٣؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩٨.

[٤] ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٤؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢١١؛ لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٤.

[٥] ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص١٠٨-١٠٩؛ لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٣.

[٦] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٤٣-٢٤٤، ٤٧٠،٤٨٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١٥.

[٧] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٤٤، ٤٨٦؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤١، ٧٢؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص٦٣.

[٨] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٣٤. رواية: (أحمد بن محمد الرازي).

[٩] المصدر نفسه، ص٢٤٣.

شاع استعمالها في البلاد، حتى أنه ورد ذكرها في بعض دساتير مملكة ليـــون (Leon) تحت اسم (Kazimi) أو (Cathimi)، مما يدل على رواجه فـــي إســـبانيا المســـيحية[٢]، وأثره في الحياة الاقتصادية آنذاك.

وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر يباشر موضوع السكة بنفسه، ويشتد في عقـــاب كل من يحاول التلاعب بالعملة، ففي سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)، " عزل الناصر لديـــن الله سعيد بن جساس عن خطتي الوزارة والسكة معاً، وسخط عليه وحبسه مهاناً، لما اطلـــع عليه من غشه في السكة وعملها، وبدا له من فساد نقد المال، الذي ضرب في مدتـــه "[٣]. وفي سنة (٣٣٦هـ/ ٩٤٧م) عزل " عبد الله بن محمد عن السكة، وسخط عليه لتقصـــير ما كان فيه، وأمر بسجنه "[٤].

وفي هذه السنة (٣٣٦هـ) نقلت دار السكة من قرطبة إلى مدينة الزهراء، بـــأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر[٥]، وقلدها عبد الرحمن بن يحيى الأصم "[٦]. حيـــث أغلـــق دار السكة بقرطبة، مما يؤكد طابع المركزية في سك النقود، وحـــرص الخليفـــة علـــى إصدار عملة موحدة يتم التعامل بها في جميع أرجاء البلاد.

أما أشهر من تولى دار السكة في عهد الخليفة الحكم المستنصر، فهو وزيره جعفر بن عثمان المصحفي، الذي ينسب إليه " الدينار الجعفري " المشهور بـــالأندلس[٧] كمـــا تولى خُطة السكة قاضي إشبيلية وصاحب المواريث محمد بن أبي عامر الملقب بالحاجب

---

[١] الدراهم القاسمية، منسوبة إلى عامل دار ضربها وكانت فضة خالصة بالكيل القرطبي، انظر: ابن حيـــان، المقتبس، ج٥، ص٤٨٦-٤٨٧؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٦؛ ياقوت الحموي، معجـــم البلـــدان، ج٣، ص١٦١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١.

[٢] ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٥٩، هامش رقم (٢)؛ رجـــب، العلاقـــات بيـــن الأندلـــس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص٤٧٩.

[٣] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٤٨٦.

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١٥.

[٥] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١٥.

[٦] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٤٤.

[٧] ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٩٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٨٧. روايـــة: (ابن غالب).

المنصور، وإليه تنسب الدنانير العامرية[١] وفي سنة (٣٦١هـ/ ٩٧١م) تقلدها صاحب الشرطة العليا بجيان يحيى بن إدريس الذي قال عنه ابن حيان: " أنه لم يستقل بأمر السكة ولا تهيأ له قعود فيها ولا ضرب ديناراً ولا درهماً إلى أن صرف عنها بأحمد بن حدير في صدر رمضان من هذه السنة "[٢].

وقد تولى الخلافة بعد وفاة المستنصر ابنه هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م) فحجر عليه الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، ولم يترك له سوى الخطبة "والضرب باسمه للدينار والدرهم"[٣].

وكان النشاط النقدي في الأندلس في عهد ملوك الطوائف، امتداداً لما كان في عصر الخلافة. ونلاحظ أن النقود التي سكها بنو حمود ملوك مالقة (Malaga) في ذلك الوقت، كانت تشبه إلى حدٍ كبير نقود الخلفاء الأمويين، إلا أنها تختلف عنها في أن هؤلاء كانوا يهتمون بنقش اسم ولي العهد على قطعهم، ولعل ذلك كان محاولة لضمان الاستقرار السياسي في تلك الفترة التي تميزت بالاضطراب والصراع الداخلي المتواصل[٤]. وكان من مميزات عصر الطوائف أنه بالرغم من تمزق الدول الأندلسية، وكثرة الأمراء المتغلبين على سائر أجزائها فإن النقد كان موحداً، وقد كانت معظم قطع النقود تضرب باسم الخليفة هشام المؤيد حتى بعد وفاته، وكان يصحب ذلك نقش اسم الأمير المتغلب على كل ناحية إلى جوار اسم الخليفة باعتباره حاجباً له[٥].

وكانت النقود في عصر الطوائف تضرب من الذهب والفضة، ومثال ذلك النقود التي ضربها بنو جهور ملوك قرطبة.[٦] وبنو عباد ملوك إشبيلية.[٧] ويفسر ذلك بنصيب ملوك الطوائف المحدود من الغنى والثروة إذا ما قسناهم بخلفاء بني أمية، وكذلك بقلة وسائلهم الصناعية ودور سكهم بعكس ما كان في عهد الخلافة حين كانت دار سكة

---

[١] ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٤١؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص٦٣؛ المراكشي، المعجب، ص٣٨؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٨٨.

[٢] ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٧٢.

[٣] ابن الكرديوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ص٦٢.

[٤] لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٤.

[٥] المصدر نفسه، ص٢٤٤.

[٦] الونشريسي، المعيار المعرب، ج٦، ص١٦٣-١٦٤.

[٧] ابن رشد، فتاوى، ج١، ص٥٧٠-٥٧١.

قرطبة وحدها تقوم بطبع نقود الأندلس كلها، حيث تركزت جودة الصناعة ومهرة الصناع حينئذ في العاصمة[١].

وقد بقي أثر النقود الإسلامية على حياة إسبانيا المسيحية في هذه الفترة رغم ازدياد قوتها السياسية والعسكرية، وتعليل ذلك أن ملوك اسبانيا كانوا يتقاضون جزية نقدية سنوية من ملوك الطوائف مقابل الكف عن قتالهم، الأمر الذي ساعد على انتشار العملة الإسلامية في ممالك إسبانيا المسيحية.[٢]

وأما المرابطون فلم يسكوا نقوداً في الأندلس إلا بعد سنة (٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، وكانوا يسكون نقودهم قبل ذلك في إفريقية[٣]. وكانت العملة الرئيسية للدولة المرابطية هي الدينار الذهبي الذي كان عماد الاقتصاد في الدولة. فقد ضرب يوسف بن تاشفين دنانير ذهبية مستديرة الشكل، وكتب في أحد وجهيها العبارة التالية: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وتحت ذلك "أمير المسلمين يوسف بن تاشفين"، وكتب في الدائرة الآية الكريمة التالية: "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين" وكتب على الوجه الآخر ما يفيد الاعتراف بسلطة الخلافة العباسية الروحية ونصه: "الأمير عبد الله العباسي"، وفي الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكة[٤]. وكان أول من ضرب الدراهم المرابطية في الأندلس، تميم بن بلقين[٥] صاحب مالقة، الذي قدم فروض الولاء والطاعة ليوسف بن تاشفين[٦]. وكان اسم ولي العهد ينقش على النقود المرابطية ابتداءً من أيام علي بن يوسف بن تاشفين[٧].

---

[١] لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٤.

[٢] لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٤-٢٤٥؛ رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص٤٧٩-٤٨٠.

[٣] لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٥.

[٤] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٣٦-١٣٨؛ انظر كذلك: حمدي عبد المنعم، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف المرابطي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦. ص٣١٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: حمدي، تاريخ المغرب والأندلس.

[٥] هو تميم بن بلقين بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب مالقة وأخو عبد الله بن بلقين أمير غرناطة، انظر: الصنهاجي، كتاب التبيان، ص١٦٢.

[٦] الصنهاجي، كتاب التبيان، ص١٦٢.

[٧] لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٥.

ومن أنواع العملة المتداولة في المجتمع الأندلسي أيام المرابطين: الدينار المشرقي (وهو مشوب بالنحاس)، والدينار العبادي، (وهو مخلوط بالفضة)، والدينار المرابطي (وهو ذهب خالص). ومن أنواعها الدراهم الثلثية (وهي فضة مشوبة بالنحاس)، والدراهم الثمنية، والقراريط اليوسفية، التي تنسب إلى يوسف بن تاشفين[١]، وكانت تضرب من الفضة[٢]. وقد كانت النقود المرابطية بوجه عام أكثر جودة في الصناعة من نقود عصر الطوائف، بسبب وحدة الدولة وقوتها السياسية، وتحسن أوضاعها الاقتصادية[٣].

وانتشرت دور سك العملة في أنحاء مختلفة من الدولة المرابطية. فضرب المرابطون العملة الذهبية والفضية في مدن إشبيلية (Sevilla)، والجزيرة الخضراء (Algeciras)، وغرناطة (Granada)، وقرطبة (Cordoba)، ومالقة (Malga)، وشريش (Jerez)، وقُونكة (Cuneca)، وبلنسية (Valenciea)، وشاطبة (Jativa)، ودانية (Denia)، والمرية (Almeria)، ومارتُلة (Mertpla) وسرقسطة (Zaragoza)، ومرسية (Murcia)[٤]، ولذا كانت العملة المضروبة مختلفة ومتعددة.

وقد ظلت النقود المرابطية، لا سيما المضروبة في مرسية منتشرة بشكل واسع بين المسيحيين، ومما يدل على ذلك هذه العملة التي جرى مسيحيو قشتالة على تسميتها بـ(Morabetions Lopinos) التي ظلوا يتعاملون بها خلال فترة طويلة من الزمن[٥].

أما الموحدون، فقد سكوا نقوداً مربعة الشكل، وكان المهدي محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية في المغرب أول من ضرب الدرهم المربع، وكانت الدرهم قبل ظهور الدولة الموحدية كلها مستديرة[٦]، ويؤكد ذلك ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) بقوله: " ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سنَّ لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل، وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه، ويملأ من أحد الجانبين تهليلاً

---

(١) ابن رشد، فتاوى، ج١، ص٥٧٠-٥٧٢؛ احسان عباس، نوازل ابن رشد، ص١٢-١٣.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨-٢٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٤.

(٣) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٥.

(٤) عز الدين موسى؛ النشاط الاقتصادي، ص٢٥٣؛ حميد، تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٢٠.

(٥) لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٥.

(٦) الحكيم، الدولة المشتبكة، ص١١١.

وتحميداً، ومن الجانب الآخر كتباً في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون، وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد"[1].

وقد جرى خلفاء الدولة الموحدية على سنة المهدي في ضرب النقود، فضربوا الدراهم والدنانير المربعة[2]. وكان ينقش على العملة الموحدية عبارات دينية وسياسية، تمثل ثورتهم الدينية مثل "الله ربنا ومحمد نبينا والمهدي إمامنا" و "لا قوة إلا بالله"[3]. وقد بلغ الدينار الموحدي ضعف الدينار العادي في الوزن، ولهذا عرف باسم (Dobla) وهي عملة ذهبية عند النصارى. وضرب الموحدون في أيام أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م) نصف دينار موحدي يزن ديناراً عادياً. وكان الوزن القانوني للدينار قبل الموحدين (٣٥, ٢جرام) فأصبح (٧٠, ٤جراماً)[4].

وكانت الدراهم تضرب في مختلف أرجاء الدولة الموحدية، حيث كانت " ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها، إلى أن صار التعامل في الدراهم على وزن هذه اليعقوبية "[5]، بينما كان الدينار الموحدي يضرب بمدينة فاس والأندلس، حيث كان فيهما داراً سكة أُعدتا لهذا الغرض، ثم نقلهما الخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٩-١٢١٣م) لدار أعدها في قصبة (قلعة) مدينة فاس حين بناها سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، ومنذ ذلك الوقت أصبح الدينار الموحدي يضرب في هذه الدار فقط[6].

وأما العملة التي سكها سلاطين بنو نصر في مملكة غرناطة، فقد كانت من الفضة الخالصة والذهب الإبريز[7]. وقد احتفظت الدراهم الفضية بالتقليد الموحدي فيما يتصل بهيئتها، أي أنها كانت مربعة لا مستديرةً فكان لهم درهم مربع الشكل من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين[8].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٨١٠.

(٢) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١١١.

(٣) المصدر نفسه، ص١١١؛ لويس، ملاحظات حول سكة النقود، ص٢٤٥.

(٤) الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص١١١.

(٥) المصدر نفسه، ص١١١.

(٦) المصدر نفسه، ص١١١؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٣.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٣؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٠.

(٨) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٤٣.

وكانت العملة المتداولة بين الناس في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، هي: الدينار، والدرهم، والقيراط (وهو نصف الدرهم)، والربع (وهو نصف القيراط)[١]. وقد قدم لنا ابن الخطيب المعاصر لهذه الفترة معلومات تفصيلية عن هذه العملة، فذكر أن وحدة الوزن بينها جميعاً هي (الأوقية)، والتي كانت تعادل في الوزن سبعين درهماً، في حين كان الدينار الواحد يساوي ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية، وكانت الأوقية تساوي ستة دنانير وثلثي دينار"[٢].

وأشار ابن الخطيب إلى الكتابات التي كانت تنقش على العملة، فالدرهم كتب على أحد وجهيه عبارة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر شعار بني الأحمر ومكان الضرب (لا غالب إلا الله، غرناطة)، والقيراط كتب على وجهه الأول (الحمد لله رب العالمين) وعلى وجهه الثاني (وما النصر إلا من عند الله). وكتب على الربع في شق (هدى الله هو الهدى) وفي الشق الآخر (العاقبة للتقوى). أما الدينار، فقد كتب على أحد وجهيه الآية الكريمة (قل اللهم مالك الملك بيدك الخير). وفي الدائرة قوله تعالى: (إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم). وكتب على الوجه الثاني اسم الأمير الذي ضربت في عهده العملة وهو (الأمير عبد الله بن يوسف، بن أمير المسلمين أبي الحجَّاج، بن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن نصر، أيد الله أمره)، ويستدير به شعار هؤلاء الأمراء (لا غالب إلا الله).

أما الدينار الذي ضرب في عهد الأمير محمد بن يوسف بن نصر، فقد كتب على وجهه الأول قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" ويستدير به شعار بني الأحمر (لا غالب إلا الله)، وعلى الوجه الثاني (الأمير عبد الله الغني بالله، محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر، أيده الله وأعانه) وفي الدائرة ضُرب (بمدينة غرناطة حرسها الله)[٣] والعملة المتداولة في الأندلس في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تعرفنا عليها من خلال كتاب (وثائق

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه، مج١، ص٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٣-٢٤٤. ومن الجدير بالذكر أن الأمير محمد تولى الحكم في سنة ٧٩٣-٧٩٧هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٤م.

عربية غرناطية)[1] الذي زودنا بمعلومات قيمة عنها، إذ يرد في هـــذه الوثـــائق ذكـــر للدينـــار الفضي العشري[2]، وللدينار الذهبي العيني الجديد من سكة السلطان أبـــي عبـــد الله الصغير[3]، وللدينار العيني السعدي (أي من ضرب الســـلطان ســـعد)[4]، وللدينـــار الذهب من السكة البالية المطبوعة[5]، والسكة الجديدة الطيبة[6]. كما يجدر ذكر الدنـــانير الفضية الغالبية (نسبة إلى السلطان الغاب بالله)[7]، والريـــالات القشـــتالية التـــي شـــاع استعمالها في غرناطة خلال هذه الفترة[8].

ويتضح من الوثائق أن بعض العملات الفضية التي سكها سلاطين بني نصر قـــد أعطيت قيمة عملة ذهبية معينة، واحتفظت بالتقليد الموحدي فيما يتصل بهيئتها، أي أنـــها مربعة لا مدورة كما كانت الدبلة (dobla) وهي عملة ذهبية "وهذه الهيئة المربعـــة هي التي حيرت علماء النميات إذ أنهم لم يكونوا يتصورون أن هذه الدوريات الفضيـــة أو الفضية المموهة بالذهب أو النحاسية كانت تتداول بين الـــناس بقيمـــة العملـــة الذهبيـــة، وظنوا أنها عملات مزيفة سكت لتحل محل العملة الذهبية عن طريق الغش "[9].

---

(1) وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تحقق، لويس سيكودى لوثينـــا، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م. سيشار لهذا المصدر فيمـــا بعـــد: وثـــائق عربيـــة غرناطية.

(2) أنظر: وثيقة رقم (٨٧)، المؤرخة بـ (٢٩صفر ٨٩٩هـ/ ٧ ديســـمبر ١٤٩٣م)، ووثيقـــة رقـــم (٩٢)، المؤرخة بـ (١١ جمادى الثانية ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م)، وثائق عربية غرناطية، ص١٣٧/١٤٤.

(3) أنظر: وثيقة رقم (١٩أ)، المؤرخة بـ(٢٨ جمادى الأولى ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م)، وثائق عربية غرناطيـــة، ص١٨م. ٤٠. وأبو عبد الله الصغير هو أبو عبد الله محمد بن علي بن سعد الذي شهد تسليم غرناطة للملكين الكاثوليكيين فرديناند وأزبيلا سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م، انظر: مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص١١٦-١٣٢.

(4) وثائق عربية غرناطية، ص١٨م. والسلطان سعد هو سعد بن علي بن يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة، كان يلقب بأمير المسلمين المستعين بالله (ت٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م)، مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص٨٧.

(5) وثائق عربية غرناطية، ص١٣٨.

(6) وثائق عربية غرناطية، ص١٤٤-١٤٥.

(7) انظر: وثيقة رقم (٨٧) و (٩٢)، وثائق عربية غرناطية، ص١٨م، ١٣٧، ١٤٤.

(8) وثائق عربية غرناطية، ص١٨م.

(9) وثائق عربية غرناطية، ص١٦-١٧م؛ شبانة، يوسف الأول، ص٢٠٢.

ويتبين من الوثائق أن الدينار الذهبي كان يساوي سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير الفضية[1]، ويساوي (٧٥) درهماً فضياً، كما أن دينار الفضة كان يساوي (١٠) دراهم فضية[2].

ج. العاج

برع الأندلسيون في الصناعات الفنية الدقيقة، كصناعة التحف العاجية، التي كانت تستخدم لحفظ الحلي والعطور النسائية، وكانت هذه التحف مقتصرة على العلب التي تشبه الصناديق الصغيرة. وأشكالها إما أسطوانية مع غطاء مقبب، وإما مستطيلة مع غطاء مسطح، أو على شكل هرم ناقص[3].

ولقد وصلت إلينا من هذه التحف أمثلة كثيرة تكشف بأشكالها وزخارفها عن جمالها ودقة صنعها. ومعظم هذه التحف تحمل نصوصاً تاريخية، تتضمن أسماء من صنعت لهم وتاريخ صنعها، وأسماء الصناع الذين تولوا صناعتها، وفي بعض الأحيان اسم المكان الذي صنعت فيه، الأمر الذي يزيد من أهميتها ويجعلها بحق من أصدق المصادر التي تعيننا على دراسة هذا الفن الصناعي وتطوره[4].

وقد بدأت صناعة العاج في الأندلس ببداية التوسع الخلافي في المغرب الأقصى، عندما احتك الأندلسيون بسكان المناطق الداخلية في المغرب، وكانت تجارة العاج من التجارات الرائجة التي يشتغل بها الغانيون والمغاربة ما بين غانة والسودان في الجنوب، وبلاد المغرب في الشمال[5].وقد استوردت الأندلس كميات كبيرة من العاج،

---

(١) انظر: وثيقة رقم (٥٤)، المؤرخة بعام ١٤٨٥م.

(٢) انظر: وثيقة رقم (٦٥)، المؤرخة بـ (٢٧جمادى الأولى ٨٩٦هـ/ ٧ إبريل ١٤٩١م)، وثائق عربية غرناطية.

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق، (صفحات من الفن الإسلامي في الأندلس: التحف المصنوعة من العاج) مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج١٧، ج٢، ديسمبر ١٩٥٥م. ص١-٣، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي؛ انظر كذلك: مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٥؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٢؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٦٣.

(٤) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٢.

(٥) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٢.

مما وفر المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة، فاشتهرت قرطبة (Cordoba) والزّهراء (Alzahra) بإنتاج المصنوعات العاجية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[١].

ويبدو أن دار الصناعة في قرطبة قد بدأت في الإنتاج منذ أوائل القرن الرابع الهجري، ومما يشير إلى ذلك أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أهدى لموسى بن أبي العافية سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) نماذج من التحف العاجية كان من بينها " حُقّ عاج أبيض فيه عود بخور مطري بعنبر، وحقّ عاج آخر بأوصال فضية أيضاً داخله قدح عراقي مملوء غالية مرتفعة، وحقّ عاج ثالث بأوصال فضية مبسوطة الأعالي فيه بخور الملوك، وحقّ عاج رابع أوصاله فضة أيضاً فيه ذريرة للصيف تستعملها الملوك، وغشاء ديباج فيه مشط عاج كبير سلطاني لتسريح اللحية "[٢] كما استخدم العاج في تزيين قصور مدينة الزهراء التي أمر ببنائها الخليفة الناصر سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)، إذ كان يوجد في كل جانب من جوانب المجلس المسمى (بقصر الخلافة) في الزهراء "ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب"[٣].

ومن أهم نماذج هذه الصناعة صندوق يتكون من لوحين مستطيلين من العاج تربطهما ببعضهما من ناحية واحدة مفصلتان تساعد على فتح هذين اللوحين أو قفلهما كأنهما كتاب. وفي كل منهما تجويفات عميقة كانت في الغالب معدة لوضع الحلي والعطور وغير ذلك من أدوات الزينة. وكان هذا الصندوق مما عمل للخليفة عبد الرحمن الناصر، وهو الآن محفوظ في المتحف الأهلي للآثار بمدينة برغش (Burgos)[٤].

وازدهرت صناعة التحف العاجية في عهد الخليفة الحكم المستنصر، ونستدل على ذلك من خلال بعض النماذج العاجية التي ما تزال ماثلة للعيان في عدد من المتاحف الأوروبية، ومن جملة ذلك: علبة أسطوانية الشكل ذات غطاء مقبب، وهي محفوظة اليوم

---

[١]مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٥-٤٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٢؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص١٤٧؛

.Imamuddin . The Economic History of Spain, P244

[٢] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٥٢.

[٣]المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

[٤] مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٤-٤٦؛ mamuddin . The Economic History of Spain , .P247

في المتحف الأهلي للآثار بمدينة مدريد، وتزدان بزخارف نباتية جميلة بينها صور طيور وحيوانات متقابلة. وقد صنعت بمدينة الزهراء، بأمر الحكم المستنصر، للسيدة أم عبد الرحمن[١] على يدي (دري الصغير) الفتى الصقلبي في سنة (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)[٢].

وهناك نموذج آخر صيغ بمدينة الزهراء سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) على يدي الصانع (خلف)، وهو عبارة عن صندوق مستطيل الشكل، يزدان بزخارف نباتية جميلة، محفوظ الآن في كنيسة أبدوشية فيتيرو بنبرة (Navarra)[٣]. ونجد في أسفل غطائه المسطح النص العربي الآتي مكتوباً بالخط الكوفي: " بسم الله بركة من الله ويمن وسعادة وسرور ونعمة لأحب ولادة مما عمل بمدينة الزهراء سنة خمس وخمسين وثلث مايه عمل خلف"[٤].

وفي متحف الفنون الزخرفية بباريس (Musee Des Arts Decoratifs) صندوق مستطيل مسطح الغطاء يزدان بزخارف نباتية وهندسية، وقد صنع سنة (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) في عهد الخليفة الحكم المستنصر[٥]. وفي متحف فيكتوريا والبرت بلندن علبة أسطوانية صغيرة الحجم، تزدان بزخارف متقطعة، تمثل في تقاطعها أشكالاً هندسية مختلفة يتخللها زخارف نباتية، وقد صنعت بأمر الحكم المستنصر على يدي (دري الصغير)[٦].

وفي متحف اللوفر بباريس علبة أسطوانية الشكل ذات غطاء مقبب، تمتاز برسوم تمثل مجالس الأنس والشراب، ومناظر الصيد والطعام، وتزدان بزخارف نباتية جميلة تتخللها صور طيور وحيوانات، وصور آدمية. وقد صنعت هذه التحفة للمغيرة ابن

---

(١) السيدة أم عبد الرحمن، هي حظية أو زوجة الخليفة الحكم المستنصر، وتسميها الكتب العربية " صبح "، أما الكتب الأجنبية فتطلق عليها (Aurore). وعبد الرحمن هو ولدها الأول من الحكم، وقد توفي وهو طفل وأنجبت صبح بعده من هذا الخليفة ولده هشام: مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٤.

(٢) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٤؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٣؛ مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٥.

(٣) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٥؛ مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٣.

(٤) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٥؛ في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٤٧.

(٥) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٨.

(٦) المرجع نفسه، ص١٠-١١.

الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٥٧هـ/ ٩٦٨م)[١]، ونستدل على ذلك من نقش كتابي في أسفل الغطاء المقبب، ونقرأ فيه: " بركة من الله ونعمة وسرور وغبطة للمغيرة ابن أمير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلث مائة "[٢].

وبعد وفاة الحكم المستنصر توقف النشاط الفني في صناعة العاج إلى أن كانت أيام الحاجب عبد الملك بن المنصور (٣٩٢-٣٩٩هـ/ ١٠٠١-١٠٠٨م) فأحيا هذه الصناعة إذ ظهرت قطعتان رائعتان يرجع تاريخهما إلى سنة (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)[٣] وأولى هاتين القطعتين صندوق مستطيل له غطاء على هيئة هرم ناقص، يزدان بزخارف وصور آدمية وحيوانية، تمثل مناظر لحياة البلاط في قرطبة، ومناظر صيد ومبارزات[٤]. وكان عبد الملك بن المنصور قد " أمر بعمله على يدي الفتى الكبير نمير بن محمد العامري مملوكه سنة خمس وتسعين وثلث مائة "[٥]، وهو محفوظ اليوم في كاتدرائية بنبلونة بإسبانيا[٦].

والقطعة الأخرى محفوظة في كاتدرائية براج (Braga)، وتتوزع فيها عقود حذوة الفرس التي تضم أشجاراً كثيفة الأوراق تتنافر بين أوراقها العصافير، ورجلين صغيرين ينتزعان فروعاً منها، هذا إلى جانب حيوانات أخرى في دوائر صغيرة[٧].

ولا شك في أن خراب قرطبة والزهراء في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إثر اشتعال الفتنة في الأندلس، قد أدى إلى توقف دار الصناعة في كل منهما عن الإنتاج، فانتقل محترفوا صناعة العاج للعمل في أماكن أخرى، كان

---

[١] مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٩؛ مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٦.

[٢] مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص٩-١٠.

[٣] مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٧؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٦٥.

[٤] مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص١٠-١١؛ مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٧-٣٥٨؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٣-١٣٤.

[٥] مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص١١.

[٦] مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٦٨؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣٤.

[٧] مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٧.

من بينها مدينة قونكة (Cuenca) إحدى مدن مملكة طليطلة في عصر الطوائف[١]. وكان ملوك بني ذي النون في طليطلة (٤٠٠-٤٧٨هـ/ ١٠٠٩-١٠٨٥م)، هم الذين أقاموا مصنعاً للعاج في قونكة تحت إشراف رجل يدعى محمد بن زيان وقد وقّع باسمه سنة (٤١١هـ/ ١٠٢٠م) على صندوق عاجي، محفوظ إلى الآن في دير سيلوس (Silos) بإسبانيا[٢].

ومن نماذج هذه الصناعة التي اختصت بها مدينة قونكة في عصر ملوك الطوائف، صندوق مستطيل الشكل له غطاء على هيئة هرم ناقص، يزدان بزخارف محفورة تمثل حيوانات متقابلة بينهما شجرة الحياة وفروع نباتية جميلة. وقد صنعه عبد الرحمن بن زيّان في مدينة قونكة سنة (٤٤١هـ/ ١٠٤٩م)[٣]، بأمر " الحاجب حسام الدولة أبو محمد اسماعيل بن المأمون ذي المجدين بن الظافر ذي الرياستين أبي محمد بن ذي النون أعزه الله "[٤].هذا، وقد انتقلت صناعة العاج إلى إسبانيا المسيحية بعد سقوط طليطلة في أيدي الأسبان سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)[٥].

ويبدو أن بعض محترفي هذه الصناعة قد هاجروا إلى مدينة غرناطة واستقروا فيها، الأمر الذي ساعد على نمو وتطور صناعة العاج في ظل دولة بني الأحمر، إذ استخدم العاج في صناعة الصناديق الصغيرة وعلب العطور،وأحجار الشطرنج، كما استخدم في تزيين مقابض وأغمدة السيوف وطعمت السقوف والصناديق وحشوات الأبواب والمنابر الخشبية بزخارف من العاج تمثل النجوم وآلات الموسيقى ورسوم الطيور وسائر الحيوانات[٦]، وقد ذكر ابن فضل الله العمري أن منبر المسجد الجامع في غرناطة مصنوع من العاج والأبنوس[٧].

---

(١) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٥٥، ٣٦٨؛ عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة في قرطبة، ج٢، ص١٣٤؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٦٥.

(٢) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٦٨.

(٣) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص١٣؛ مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٣٦٨.

(٤) مرزوق، صفحات من الفن الإسلامي، ص١٤.

(٥) مورنيو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ص٤٦٩؛ بروفنسال، حضارة العرب في إسبانيا، ص١٢٧.

(٦) يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص١٤٧؛ محمد شبانة، يوسف الأول، ص١٩٤؛ شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص١١٥.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٩. رواية: (مسالك الأبصار).

هـ. الطراز

كان للأمراء وللخلفاء في قصورهم معامل خاصة تعرف بـ(دور الطراز)، تختص في تطريز " أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الأبريسم* " وتعني كلمة طراز في الأصل " التطريز " ثم صارت تعني النسيج المحلّى بسطور من الكتابة، وكانت الكتابة تنسخ على حافة القماش وتحوي اسم الخليفة أو (الأمير) ولقبه وبعض عبارات الدعاء. وكانت الكتابة تحاك من خيوط الذهب، أو من خيوط ذات ألوان زاهية تخالف في العادة لون الثوب. وبذلك تصبح هذه " الثياب الملوكية معلمة " بذلك الطراز قصد التنوية بلابسها من السلطان فمن دونه، أو التنوية بمن يختصه السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دولته "(١).

وكانت دار الطراز مظهراً من مظاهر الملك والسلطان، وكان المشرف عليها يسمى " صاحب الطراز "، ومن اختصاصه النظر في أمور الصباغ والآلة والحاكة، والإشراف على الصنّاع وتوزيع الأجور عليهم، ولذا كان الخلفاء يقلدون هذه الوظيفة الخواص من دولتهم وثقات مواليهم(٢).

وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط أول من أنشأ دار الطراز بالأندلس(٣)، وإن أكد غيره أن هذه الدار من بنيان الأمير عبد الرحمن الداخل الذي أنشأ داراً لصناعة البرود الأميرية غربي قصر قرطبة عرفت (بدار البُرْد أو الدار البردية)(٤)، ثم تطورت واتسعت في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط(٥).

وتقدمت صناعة الطراز كثيراً في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ أصبحت دور الطراز تنسج ما يحتاج إليه الخليفة من " الخلع والكسي وملابس الحرم وغير ذلك "(٦)، وقد تنوعت دور الطراز وتعددت في الأندلس، وتخصص كل منها بنوع

---

* الإبريسم: ضرب من الخز وقيل هو ثياب الحرير. انظر: ابن سيدة، المخصص، مج١، س٤، ص٦٩.

(١) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٨١٦؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٠٦.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٨١٦-٨١٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة، حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٥٤.

(٤) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٦٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٥٤.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٠؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٢١٥-٢١٦.

(٦) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٢١٦.

خاص من الطراز، وكانت منتوجاتها تصدَّر إلى مصر وغيرها[١] ويقول ابن الخطيب معلقاً على دور الطراز: " ولو تتبعنا أصنافهم وما كانوا يحاولونه من صناعتهم ويناغون به المشرق من بضائعهم ومقدار جراياتهم ونفقاتهم لضاق عنه الكتاب "[٢]. ويفهم من هذا النص أن المنسوجات الأندلسية المتنوعة التي تصنع في دور الطراز كانت تضاهي ما يصنع في المشرق الإسلامي من حيث الكمية المنتجة وجودة المصنوعات ولكننا مع الأسف نقف عاجزين أمام صمت ابن الخطيب عن تتبع هذه الصناعة بقصد الاختصار، وهذه مشكلة تواجه الباحثين في النواحي الاقتصادية.

وتجدر الإشارة إلى اهتمام خلفاء بني أمية بصناعة الطراز، إذ أنهم كانوا يصدرون الأوامر إلى الولاة في شهر أيار من كل سنة لجمع غلة الحرير وإرسالها إلى معامل الطراز الموزعة في مناطق الأندلس المختلفة[٣] مما يدل على اعتنائهم ورعايتهم لهذه الصناعة.

وكان صاحب الطراز في عهد بني أمية مسؤولاً عن معامل الطراز حيث كانت تنسج ثياب الخلفاء والأمراء وأعيان الدولة من الديباج والحرير المختم المرقوم بالذهب المختلف الألوان[٤]، وكانت هذه الثياب إضافة إلى اسم الخليفة أو الأمير تشتمل أحياناً على أبيات الشعر، ومن ذلك أن ولادة بنت المستكفي[٥] كتبت بالذهب على طرازها الأيمن:

أنا والله أصلح للمعالي ... وأمشي مشيتي وأتيه تيهاً

وكتبت على الطراز الأيسر:

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ص١٠٥.

(٢) عبد العزيز سالم، قرطبة الخلافة، ج١، ص٢١٦.

(٣) القرطبي، تقويم قرطبة، ص٩١.

(٤) ابن خلدون، العبر، مج٤، ق٢، ص٣٠٠؛ التهامي الراجحي، نظم وإدارة بني أمية بالأندلس من " خلال المقتبس لابن حيان "، مجلة المناهل، ع٢٩، س١١، ١٩٨٤، ص٣٨٥، سيشار له فيما بعد: الراجحي، نظم وإدارة بني أمية.

(٥) ولادة بنت المستكفي بالله، أمير المؤمنين، محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله بن الناصر بن عبد الرحمن بن محمد المرواني، من بني أمية بالأندلس، وهي أديبة شاعرة كانت تخالط الشعراء وتساجل الأدباء. انظر: ابن دحية، المطرب، ص٧-٨.

وأمكن عاشقي من صحن خدي   وأعطي قبلتي من يشتهيها[١].

وكانت وظيفة صاحب الطراز تسند في كثير من الأحيان إلى الصقالبة " الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر "[٢] ونذكر على سبيل المثال الفتى خلف الكبير الذي تولى الطراز في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر[٣]، والفتى فائق المعروف بالنظامي الذي تولى البرد والطراز في عهد الخليفة الحكم المستنصر[٤].

وكانت أهم مراكز دور الطراز في العهد الأموي موزعة في مناطق: قرطبة[٥]، وبجانة[٦]، وفِنيَانة[٧] (Finana)، وبسطة[٨]، ومالقة[٩]، والمرية[١٠]، ومرسية[١١]، وكان لبعض الخارجين على بني أمية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، طرز خاصة بهم، فكان لإبراهيم بن حجاج[١٢] حاكم إشبيلية طرز يطرز بها على اسمه تشبهاً بالملوك، وذلك لإضفاء صفة الشرعية على حكمه[١٣].

---

(١) المقري، نفح الطيب، مج٤، ص٢٠٥.

(٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٣٨٧: رواية (ابن حيان)؛ الراجحي، نظم وإدارة بني أمية، ص٣٨٥.

(٣) تولى خلف الكبير الطراز سنة (٣١٣هـ/ ٩٢٥م)؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩١.

(٤) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٦٦، ١١٧؛ ابن عذري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١؛ عبد العزيز سالم، حاضرة الخلافة في قرطبة، ج٢، ص١٥٥.

(٦) الحيمري، صفة جزيرة الأندلس، ص٣٨.

(٧) فنيانة: قرية بالقرب من وادي آش. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٣.

(٨) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٤.

(٩) Willams , The Arts and Crafts , III,P4-5.

(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٦٢.

(١١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٥.

(١٢) هو ابراهيم بن حجاج بن عمير اللخمي، ملك إشبيلية وقرمونة، إذ استقل بهما عن بني أمية وأقام دولة بني حجاج المشهورة. توفي عام (٢٨٨هـ/ ٩٠٠م). انظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٤-٣٥.

(١٣) ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ق٣، ص١١-١٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٧: رواية: (ابن حيان)

وكانت منتجات دار الطراز مما يهادي به الخلفاء والأمراء، ومن جملة ذلك هدية الخليفة عبد الرحمن الناصر لمحمد بن خزر أمير زناتة سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م)(١)، وهديته لموسى بن ابي العافية، واشتملت على خمسة وعشرين قطعة من الطرز، ومائة ثوب من ثياب الخز المختلفة لكسوة رجاله، وعشرة شقاق من الشقاق الطرازية المصبوغة، وفراش ديباج أرضية قوشية مطرزة، ومخدتان مفضضتين مختمتين، بطانتهما، خز طرازي أرجواني(٢). كما أهدى الوزير أحمد بن شهيد إلى الخليفة الناصر ثلاثين شقة من الحرير المختَّم المرقوم بالذهب المختلف الألوان والصنائع(٣). وكان الخليفة الحكم المستنصر يهادي شيوخ القبائل البربرية من فاخر الكسوة المصنوعة في دار الطراز(٤).

كما كان المنصور بن أبي عامر يهادي ملوك إسبانيا المسيحية، ومن حَسُنَ بلاؤه من المسلمين في الحروب والغزوات بفاخر أنواع المنسوجات المصنوعة في دار الطراز، وقد وزع في غزوته إلى شنت ياقوب(Santiagode Compstella) سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) " ألفين ومائتين وخمساً وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي، وإحدى وعشرين كساء من صوف البحر، وكسائين عنبريين، وأحد عشر سقلاطوناً، وخمس عشر مُرَيشات، وسبعة أنماط ديباج)(٥).

وكانت دور الطراز منتشرة في مناطق الأندلس المختلفة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي(٦)، نتيجة للتنافس الذي جرى بين ملوك الطوائف، إذ

---

(١) أهدى الخليفة الناصر لمحمد بن خزر، عشر قطع مختلفة الأجناس مما استعمل لكسوته الخاصة، من عتيق الخز العبيدي، وغريبه وبديعه في التأليف والصنعة. وكانت مطرزة باسم محمد بن خزر. كما تضمنت الهدية خمسين قطعة من قطع الثياب الرفيعة المختلفة الأجنس. انظر: ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٥١-٣٨٩-٣٩٠، ٤٢٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٥٥.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ٣٥٧: رواية: (ابن خلدون).

(٤) ومن ذلك خمسون جبة من الديباج المضلع الملون، وخمسون جبة من الخز الطرازي الملون، ومائة جبة من المطارف المفصلة الملونة، وذلك في سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٢م). انظر: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص١٠٨، ١٥١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٧؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٥٥.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق١، ٤، مج١، ص٥١، ١٣٠-١٣١.

بذل كل واحد منهم قصارى جهده لإحاطة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة تشبهاً بما كان يفعله خلفاء قرطبة. وترتب على ذلك أن تقدمت الفنون والصناعات تقدماً لم تشهده البلاد من قبل، وأخذت كل حاضرة تنافس غيرها في هذا المضمار، ونالت المرية في زمن الطوائف نصيباً كبيراً من هذا التقدم، بفضل تشجيع ملوكها، فتقدمت فيها الصناعات وبخاصة صناعة النسيج، التي بلغت أوج ازدهارها في عهد المرابطين[١].

وفي أوائل عهد الموحدين سقطت وظيفة صاحب الطراز من وظائف الدولة، بسبب تورع الموحدين عن ارتداء الملابس الغالية الثمن المصنوعة من الحرير الموشى بالذهب[٢]. ولكن هذه الأمر لم يستمر طويلاً، بل أخذ الموحدون يقلدون الأندلسيين في ارتداء هذا النوع من الملابس فأنشئت في أواخر دولتهم دور الطراز لصناعة المنسوجات الحريرية والديباج المطرز[٣]، وكانت مراكزها موزعة في مناطق مرسية وبلنسية وغرناطة ومالقة والمرية[٤]. ويبدو أن الناس قد أسرفوا في ارتداء الملابس الحريرية في عهد الموحدين، مما اضطر الخليفة المنصور[٥] إلى إصدار أمر في سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) يقضي، بقطع لباس الغالي من الحرير والاجتزاء منه بالرسم الصغير، ومنع النساء من الطراز الحفيل، وأمر بالاكتفاء منه بالساذج القليل، وأمر بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم تعرف ولم تستقصى"[٦].

واحتلت صناعة الطراز مكانة خاصة في عهد دولة بني الأحمر، واهتمت نساء غرناطة بهذا الفن اهتماماً بالغاً، فتفردت غرناطة بصناعة المنسوجات الحريرية الموشاة بالخيوط الذهبية والفضية، وامتازت بنقش الصور الملونة عليها، كما كان هناك نموذج

---

[١] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ٥٦٢؛ أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص٢٠٨-٢٠٩.

[٢] ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٨١٧.

[٣] ابن خلدون، المقدمة، ج٢ ن ص٨١٧؛ ابو رميلة، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية، ص٣٩٩-٣٤٠؛ كولان، الأندلس، ص١٨٢.

[٤] أبو رميلة، علاقة الموحدين بالمالك النصرانية، ص٣٤٠.

[٥] الخليفة المنصور: هو يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م)؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٦٩.

[٦] أبو رميلة، علاقة الموحدين بالممالك النصرانية، ص٣٤٠.

ذو تصميم خاص مطرز بتلك الخيوط الثمينة، إضافة إلى الصور الملونة. وقد استمرت هذه الصناعة في الأندلس حتى أواخر الحكم الإسلامي[١].

و. الرخام

واشتهرت الأندلس بإنتاج الرخام المتعدد الألوان، كالخمري، والمجزّع والأبيض والأحمر[٢]. وكانت أهم مراكز إنتاجه في عهد دولة بني أمية منتشرة في أنحاء مختلفة من الأندلس، وبخاصة في ناحية قرطبة التي اشتهرت بإنتاج الرخام الأبيض الناصع اللون والخمري[٣]. وفي قرية ناشرة من أعمال المرية، التي تميزت بعمل الأعمدة الرخامية[٤].

وفي مدينة باغة (Priego) من أعمال غرناطة، حيث كانت مركزاً مهماً لإنتاج الرخام الغريب الموشى بالحمرة والصفرة وغير ذلك من الرخام الحالك والمجزّع[٥]. وفي طرّكونة (Tarragona) التي اختصت بإنتاج الرخام الأبيض والاسود[٦]. كما اشتهرت ريُّة (Rayyo) بإنتاج الرخام المجزع[٧]، والمرية (Almeria) بالرخام الأبيض[٨]، وسلبانيَة من أعمال إلبيرة بإنتاخ الرخام الأبيض الملكي الناصع اللون[٩]. وتميزت قَسْطيلية وهي حاضرة إلبيرة وفحصها بعمل الأقداح والأطباق والأكواب والأسطال والحقاق من الرخام الأبيض اللين[١٠] إذ يمتاز بسهولة عمله وتشكيله.

---

(١) محمد شبانة، يوسف الأول، ص١٩١.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص١٦٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٢٧؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٤.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠١. رواية: (الرازي).

(٤) المصدر نفسه، ص٢٠١، رواية: (الرازي).

(٥) المصدر نفسه، ص٢٠١. رواية (الرازي)؛ حتاملة، ملامح حضارية، ص١٩٤.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٦؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٠١.

(٧) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧. رواية: (ابن حيان)؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٧٠.

(٨) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧. رواية: (ابن حيان).

(٩) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٣.

(١٠) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٨٣. رواية: (الرازي).

وقد ساعدت وفرة الرخام على استعماله بكثرة في أعمال البناء. ولذا اهتم الرّخامون بعمل السواري والأعمدة والألواح التي تستعمل في كسوة الجدران والأرضيات والسقوف، واهتموا بعمل الأحواض وأماكن الوضوء. وقد استعملت مثل هذه المنتجات لتزيين المنشآت العمرانية[١]، وبخاصة المساجد والقصور التي ابتنيت في عصر الخلافة، كمسجد قرطبة الجامع، ومنشآت مدينة الزهراء.

أما المسجد، فقد كان فيه من أعمدة الرخام ألف ومائتان وثلاثة وتسعون عموداً[٢]. وكانت أرضية المحراب مفروشة بالرخام الأبيض، وجدرانه مكسوة بثمانية ألواح من الرخام، وسقفه مكسو برخامه بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة قد أحكمت وأنزلت في موضعها بأتقن صنعه[٣]. وكان " على رأس المحراب خصة رخام قطعة واحدة مشوكة محفورة منمقة بأبدع التنميق من الذهب واللازورد وسائر الألوان "[٤]، وكان للجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغريبة الصنعة الرائقة الشكل والمثال، وكان يستدير بها صفان من قسي دائرة على عمد الرخام الحسن[٥]، وكان فيها من أعمدة الرخام نحو مائتين وخمسين عموداً، وكانت عدة ألواح الرخام التي تكسو جدرانها أربعة وخمسين لوحاً[٦].

وذكر ابن بشكوال (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م)، أن الحكم المستنصر أقام أربع ميضآت في كل جانب من جانبي المسجد الشرقي والغربي، " وقد أجرى في جميعها الماء في قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة إلى أن أصبت ماءها في أحواض رخام لا ينقطع جريانه الليل والنهار، وأجرى فضل هذا الماء العذب إلى سقايات أتخذهن على أبواب هذا المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية، أجراها إلى هنالك إلى ثلاث جواب

---

[١] انظر: العذري، ترصيع الأخبار، ١٠-١١؛ الزهري، الجعرافية، ص٨٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٠٩؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، مج٢، ص٢٥-٢٦؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٥٢.

[٢] وفي رواية أخرى (١٢٧٣) عموداً، انظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٤٧. رواية: صاحب كتاب " مجموع المفترق".

[٣] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٧.

[٤] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٧؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٤.

[٥] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٦.

[٦] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٧-٢٩٨.

من حياض الرخام استقطعها بمقطع المنستير بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير، وألقاه الرخامون هنالك، واحتفروا أجوافها بمناقيرهم في المدة الطويلة حتى استوت في صورها البديعة لأعين الناس، فخفف ذلك من ثقلها، وأمكن من إهباطها إلى أماكن نصبها بأكناف المسجد الجامع، فتهيأ حمل الواحد منها فوق عجلة من ضخام خشب البلوط على فَلَك موثقة بالحديد المثقف محفوفة بوثاق الحبال قرن لجرها سبعون دابة من أشد الدواب، وسهّلت قدامها الطرق والمسالك، وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى على هذه الصفة في مدة إثني عشر يوماً، فنصبت في الأقباء المعقودة لها "[1] ومن ذلك يستدل على ضخامة هذه الأحواض، وعلى براعة محترفي هذه الصناعة ومدى إتقانهم لصنعتهم.

أما مدينة الزهراء التي ابتدئ بنيانها في أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر، من أول سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)، فقد ازدانت منشآتها وقصورها بأصناف الرخام الملون، إذ أن الخليفة الناصر شجع الصنّاع على جلب الرخام إلى هذه المدينة، فكان يصلهم على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير[2]، إضافة إلى ما كان يلزم من النفقة على قطعها ونقلها ومؤونة حملها[3]، فجلبوا إليها الرخام من طرّكونة، والرخام الأبيض من المرية، والمجزّع من ريُّة، والوردي والأخضر من قرطاجنة وإفريقية وتونس والقسطنطينية.وكان الأمناء الذين يجلبونه هم: عبد الله بن يونس، وحسن القرطبي وعلي بن جعفر الإسكندراني[4].

هذا، وقد أُقيمت سواري الرخام في مباني مدينة الزهراء، فبلغ عددها أربعة آلاف وثلاثمائة وثلاث عشرة سارية، منها ألف وثلاث عشرة أُحضرت من إفريقية، ومائة

---

(١) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٥٥؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٥٢.

(٢) ذكر ابن عذاري في رواية أخرى أن الناصر كان يصلهم على كل رخامه ثلاثة دنانير، وعلى كل سارية ثمانية دنانير. انظر: ابن عذاري، البيان، ج٢،ص١٣٢.

(٣) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧.رواية: (ابن حيان).

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٨؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧؛ المقري، أزهار الرياض، ٢٧٠.

وأربعون من القسطنطينية، وسائر ذلك من رخام الأندلس[١]. كما استخدم الرخام في تزيين مسجدها الجامع، حيث فرش صحنه المكشوف بالرخام الخمري[٢].

واستخدم الرخام بكثرة في عهد ملوك الطوائف، إذ أنهم تنافسوا في تشييد وبناء القصور، وحرصوا على تزيينها بكل مظاهر الروعة والجمال، فازدانت مجالسها وأبهاؤها بالأحواض والسواري والألواح الرخامية. فقد كان في قصر المأمون بن ذي النون في طليطلة، بحيرتان، " وقد وضع في قعر كل بحيرة منهما حوض رخام يسمى المَذْبَح، محفور من رفيع المرمر، كبير الجِرْم، غريب الشكل، بديع النقش؛ قد أبرزت في جَنَبَاته صور حيوان وأطيار وأشجار "[٣] وكانت مجالس " بستان الصمادحية " في مدينة المرية، مفروشة كلها بالرخام الأبيض[٤]. وكان قصر مملكة بني عباد في إشبيلية، مفروشاً كله بالرخام الأبيض، وكان فيه من سواري الرخام مائة وأربع[٥].

وتجدر الإشارة هنا إلى أشهر المراكز الأندلسية التي اختصت بإنتاج الرخام في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي والثاني عشر الميلاديين، وهي: قرطبة[٦] وغرناطة[٧] وفِرِّيش والمرية، وهذه الأخيرة تميزت بإنتاج الرخام الصقيل الملوكي[٨]، واشتهرت فريش بأجود أنواع الرخام الأبيض، الذي يمتاز بصفائه وشدة صلابته[٩].

---

[١] ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ٢٦٨.

[٢] المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٦.

[٣] ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مج١، ص١٣٤.

[٤] بني هذا البستان في عهد المعتصم بن صمادح (٤٤٤هـ ٤٨٠/١٠٥٢-١٠٨٧م) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨٤-٨٥.

[٥] المكناسي، الإكسير، ص٣٤-٣٥.

[٦] ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٥٢٤.

[٧] ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢١٥.

[٨] الشقندي، فضائل الأندلس وأهلها، ص٥٨؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص٢٢٠.

[٩] ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٤؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٧.

الباب الثالث

الحالة الاجتماعية للعاملين في الحرف والصناعات

الفصل الأول

شرائح المجتمع الأندلسي الحرفية

لم تكن الحرف والصناعات في المجتمع الأندلسي مقصورة على فئة اجتماعية معينة دون الأخرى، وإنما كانت تمارس من جميع الفئات، من العرب والبربر وأهل البلاد الأصليين والموالي والصقالبة واليهود وموالي اليهود، حتى أن المرأة الأندلسية مارست بعض الحرف والصناعات وأتقنتها. وسنعرض فيما لكل من هذه الفئات، ولطبيعة الحرف والصناعات التي مارستها:

أ. العرب

كان العرب أبعد الناس عن الحرف والصناعات، والسبب في ذلك كما ذكر ابن خلدون أنهم أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري، وما يدعو إليه من الصناعات وغيرها[١].

ولذا سار عرب الأندلس في بداية أمرهم على هذا النهج، فلم يهتموا بالحرف والصناعات وتركوها لغيرهم من فئات المجتمع الأندلسي، وأشغلوا أنفسهم بشؤون الحكم والإدارة والجيش، ومن ثم عمل البعض منهم بالحرف التي تحظى بمكانة اجتماعية رفيعة، كالوزارة والكتابة عند الملوك، وولاية الأقاليم، والإشراف على الأسواق (ولاية الحسبة)، وتدريس العلوم والوراقة، ونسخ الكتب، وتعليم الصبيان في الكتاتيب، وإمامة المساجد وصيانتها وإصلاحها، وقبض أجرة الحوانيت الموقوفة عليها.[٢]

وعندما انخرط العرب في المجتمع الأندلسي مارسوا مختلف أنواع الصناعات والحرف[٣]، فقد احترفوا التجارة[٤]، والدباغة[١]، والفخارة[٢]، والخياطة[٣]، والخوازة[٤].

---

[١] ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص٩٢٩؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢٥٩.

[٢] مؤلف مجهول، كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم أو " بيوتات فاس الكبرى "، تحقيق عبد القادر زمامة، مجلة البحث العلمي، يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ع٣، ٤،٥، س١،٢، ١٩٦٤-١٩٦٥م.ص٥٥، سيشار لهذا المصدر فيما بعد: مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى؛ Shatzmiller . Maya, Professions and Ethnic Origin of Urban. Labourers in Muslims spain: Evidence From a Moroccan source. مجلة أوراق يصدرها المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ع٥-٦، ١٩٨٢-١٩٨٣، ص١٥٠-١٥١.

[٣] المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص٨٣؛ المكناسي، الإكسير، ص١٦١.

[٤] ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢، ص٣٥٤؛ ابن الأبار، المقتضب، ص١٨٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥٨.

وعملوا في صناعة الديباج[5]، والقنازع[6]، وتسفير (تجليد)الكتب والمصاحف[7]. واشتغلوا بالزراعة والبستنة، ومارسوا صناعة سبك الشمع وغزل الكتان ونسج الحرير وبيعه كمادة خام. كما اشتهروا ببيع الأقمشة والمنسوجات، وبيع العطور والخضار والفواكه والخبز ومشتقات الحليب[8].

ب. البربر

أما البربر، فكان أهل القرى والأرياف منهم يحترفون الفلاحة وتربية المواشي والنحل والدواجن. ولذا اشتهروا بإنتاج الصوف كمادة خام والعسل ومشتقات الحليب. كما احترفوا صناعة عصر الزيتون وطحن الحبوب، واستخراج الملح، وعملوا في قطع الأخشاب وإعداد الفحم.وأما أهل الحاضرة من البربر، فقد احترفوا العمل بصناعة السلال والأطباق والبراذع* (المكانس) والحبال والشطاطيب لكنس أرضيات البيوت[9]. ومارسوا صناعات أخرى مختلفة، فكان منهم: خرّازون، وبناؤون، وسقاؤون،

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق1، ص63؛ الضبي، بغية الملتمس، ص491؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص68.

(2) المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ق1، ص323؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص35، 91.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق1، ص186؛ المراكشي، الذيل والتكملة، س5، ق1، ص306؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص239؛ المقري، نفح الطيب، مج2، ص213.

(4) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق2، ص494؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص130.

(5) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق2، ص37.

(6) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3، ص726؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1 ن ص166.

(7) ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص24؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص45-46؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص164-165.

(8) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص55؛

.Shatzmiller . Professions and Ethnic origin of Urban.P151

* البراذع، أي المكانس التي تستعمل للكنس تحت الحيوانات، واللفظة عامية مغربية، مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص55.

(9) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص55؛

.Shatzmiller,Professions and Ethnic origin of Urban.P.151-153

وقبّابون* وصيادو طيور، وطبّاخون للجير والجبص، وحمالون يعملون في الأسواق، ويقومون بنقل السلع والبضائع من مدينة إلى أخرى(١).

ج. أهل البلاد الأصليون

أما أهل البلاد الأصليون من الإسبان الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح، وكانوا من سكان البادية وأهل الجبال، فقد احترفوا العمل في زراعة الحدائق والبساتين، وفي تربية المواشي، وإنتاج العسل. وعملوا أيضاً في قطع الأخشاب وإنتاج الفحم. وأما سكان المناطق الساحلية منهم، فقد اشتهروا بصناعة السفن والمعدات اللازمة لها. ومارس بعضهم حرفة صيد الأسماك، فكان صيادو السمك يجلبون الحوت والسردين من الساحل إلى المناطق الداخلية(٢)، حيث كان يباع في أسواق المدن الأندلسية(٣).

د. الموالي

وقام الموالي بمختلف الحرف والصناعات السائدة في المجتمع الأندلسي، فكانوا يحترفون الدباغة والحياكة والنجارة والحدادة والفخارة والخرازة وبيع النعال المخروزة والخراطة؛ ويقصد بها صناعة أواني الخشب المخروطة(٤). وكانوا يعملون بصناعة الصابون(٥)، وصناعة المنسوجات والأقمشة، وصناعة الأسلحة والمعدات الحربية، والسروج، والأدوات النحاسية، وطحن الحبوب(٦).

---

* القباب: هو صانع القباب الخشبية المستعملة عادة في الحمامات زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١٢٣.

(١) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص٥٦،٨٤-٨٥؛ Shatzmiller . Professions and Ethinc origion of Urban. P.153-154.

(٢) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص٥٦.
Shatzmiller. Professions and Ethnic origin of urban.P. 154

(٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٩٦؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ١٠٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨٥؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص١٦٨.

(٤) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص٥٦.

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٦٨٢.

(٦) مؤلف مجهول، بيوتا فاس الكبرى، ص٥٦؛
Shatzmiller, Professions and Ethnic origion of urban.P154.

واحترفوا كذلك العمل بالحجامة والجزارة وحفر القبور وحمل الموتى وتسمير البهائم وعلاج المرضى.وصيانة المساجد وحراسة الأسواق والفنادق. وكان من بينهم حمالون ينقلون السلع والبضائع بين المدن الأندلسية[١].

هـ الصقالبة

أما الصقالبة، فالمقصود بهم في المصادر العربية، "سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى، التي امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتي. على أن كلمة صقلب (Esclave) فرنسية قديمة، ومعناها عبد أو رقيق: وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية عامة، لأن بعض الجرمان دأبوا على سبي تلك الشعوب السلافية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب إسبانيا، ولذا أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة، ثم توسع العرب في استعمال هذا الاسم فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أية أمة مسيحية، واستخدموهم في القصر الخليفي "[٢]. وقد جاء أغلب الصقالبة إلى الأندلس أطفالاً. وربوا فيها تربية إسلامية، ودربوا على أعمال القصر، وهم وإن كانوا رقيقاً، إلا أنهم لم يستخدموا في الحرف الممتهنة، بل تطور الأمر إلى استخدامهم في الحرس والحاشية والجيش. واستطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي، فصار منهم الأدباء والشعراء وأصحاب المكتبات الكبيرة[٣]. واحترف بعضهم صناعة الأدوية والعقاقير الطبية، فقد كان في قصر الخليفة الحكم المستنصر إثنا عشر صبياً من الصقالبة يعملون في صناعة المعاجين والأشربة[٤].

---

(١) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص٥٦.

.Shatzmiller, Professions and Ethnic origin of urbon.P.151

(٢) أحمد مختار العبادي، الصقالبة في إسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٣م. ص٨-٩، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: العبادي، الصقالبة في إسبانيا.

(٣) العبادي، الصقالبة في إسبانيا، ص٢١.

(٤) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص١١٢-١١٣؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٨٧.

وقد تولى كثيرون منهم مناصب إدارية رفيعة المستوى منها الإشراف على مصانع ومخازن الأسلحة[1] وعلى معامل الطراز، حيث كانت تنسج ثياب الأمراء والخلفاء وأعيان الدولة من الديباج والحرير المختَّم المرقوم بالذهب المختلف الألوان[2]. ومن بين الصقالبة الذين تولوا مهمة الإشراف على معامل الطراز في عصر الخلافة: " فائق الفتى الكبير الصقلبي "[3]، و " ريان الفتى " و " خلف الفتى الكبير "[4].

و. اليهود

وكان اليهود الذين دخلوا الإسلام يحترفون الحجامة والبلاجة* والخرازة وبيع وإصلاح النعال المخروزة، وخياطة ثياب الملف، وصناعة الأقمشة والمنسوجات، ونسج القلانس (القبعات) وتبطنيها وصبغها وتصفيتها. وعمل بعضهم وسطاء تجاريين وسماسرة أي دلالين في الأسواق يتوسطون في البيوع التجارية[5].

وأما اليهود من أهل الذمة، فقد عملوا في بداية أمرهم بالحرف (الممتهنة)، كالصباغة والدباغة والصبارة والميارة، وكان أكثرهم حمالين وخياطين وكيالين.[6] وقد ازدهرت هذه الطائفة أي اليهود فيما بعد وعلت منزلتها في المجتمع الأندلسي، فتقلدوا مناصب رفيعة في الدولة، كالكتابة عند الملوك، والوزارة. وتولى الكثير منهم الشؤون المالية والإدارية[7]. ومارسوا الطب والترجمة[1] واشتغلوا بالتجارة والصيرفة

---

(1) التهامي الراجحي، نظم وإدارة أمية، ص٣٩٨.

(2) ابن خلدون، العبر، مج٤، ص٣٠٠؛ التهامي، الراجحي، نظم وإدارة بني أمية، ص٣٨٥.

(3) ابن حيان، المقتبس في أخبار أهل الأندلس، ص٦٦، ١١٧.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٤٨، ١٩١.

* البلاجة: حرفة كانت من مقيمات النجارة؛ وهي حرفة صنع المغاليق الخشبية لأبواب المساجد والحوانيت والمنازل وغيرها. وكان يطلق على محترف هذه الصناعة اسم البلاج. عبد القادر زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١٠٤.

(5) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص٥٦.

.Shatzmiller , Professions and Ethnic origion of urban.P.451

(6) الحكيم، الدولة المشتبكة، ص١١٥-١١٦.

(7) الصنهاجي، كتاب التبيان، ص٣١-٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٤٤٢-٤٤٧.

والصياغة[2]. ويشير أحد الأمثال الأندلسية إلى أن معظم الصاغة كانوا من اليهود، وإذا تعاطى مسلم هذه الحرفة احتقره الناس وازدروه[3].

ز. موالي اليهود

وأما موالي اليهود، فقد احترفوا العمل بالصباغة وصناعة الخبز والزيت والصابون، وصناعة الحلي، ومناسج الحياكة، وآلات الصفُر، وأدوات المطبخ، وتسفير الكتب، وسك النقود، كما اشتغلوا في خدمة الحمامات، وحفر الآبار، ومعالجة المعادن، وتزويق الخشب، وقطع الرخام، وزخرفة البيوت بـ " الزليج "؛[4] وهو نوع من الخزف المتعدد الألوان[5]. وعملوا ببيع السمك والصوف والكتان والأدوية والآلات الموسيقية. وبرعوا في صناعة القلائد والعقود المرجانية[6] وفي تحضير أنواع الأطعمة والمأكولات الشهية، كالثرائد والعجائن واللحوم المشوية والمقلوة، حيث ظهر من بينهم الطبّاخون والسفّاجون والشّواؤون والقلاّؤون المهرة[7].

ح. المرأة الأندلسية

ومارست المرأة الأندلسية حرفاً متنوعة، إذ تجد الطبّاخة والخبّازة والرقّامة[8] واللبّانة[1]، " والطبيبة، والحجّامة، والسرافة، والدلالة، والماشطة، والنائحة، والمغنية،

---

(1) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، ص23؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص117-118؛ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص246.

(2) الزجالي، أمثال العوام، ق1، ص215، الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص116؛ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص246.

(3) الزجالي، أمثال العوام، ق1، ص216.

(4) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص56؛ Shatzmiller . Professions and Ethinc origin of urban.P.154.

(5) المقري، نفح الطيب، مج1، ص202.

(6) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص56؛ Shatzmiller, profession and Ethnic of urban.P155.

(7) مؤلف مجهول، بيوتات فاس الكبرى، ص56.

(8) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص56.

والكاهنة، والمعلمة، والمستخدمة، والصناع في الغزل والنسيج "[٢]. وعملت المرأة في صناعة الطراز[٣] (التطريز)، وصناعة غزل الصوف والقطن والكتان[٤] فقد ذكر الزهري في معرض حديثه عن مدينة المرية أن " أهلها كلهم رجالاً ونساءً صناع بأيديهم، وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سومة "[٥] هذا، وقد كانت في أسواق المدن الأندلسية أماكن خاصة للنساء يجتمعن فيها لبيع الغزل أو شرائه، ولم يكن يخالطهن في عملية البيع والشراء إلا الشيوخ الثقات المعروفون بأمانتهم وفضلهم[٦].

ومن مظاهر اهتمام المرأة الأندلسية بصناعة الغزل والنسيج؛ اهتمامها الزائد بتحضين بيض دود الحرير ورعايته من شهر شباط الذي يوضع فيه البيض إلى شهر آذار، إذ يتولد فيه دود الحرير[٧]. ولا يخفى أن لدود الحرير دوراً فاعلاً في إنتاج مادة الحرير الخام التي تدخل في صناعة المنسوجات الحريرية.

ومن بين الحرف الأخرى التي مارستها المرأة الأندلسية:

القبالة (التوليد)، وتربية أولاد العائلات الميسورة وإرضاعهم، وخدمة البيوت[٨]، والرقص في الحفلات والأعراس[٩]، وكتابة المصاحف. وفيما يتعلق بهذه الحرفة الأخيرة، ذكر ابن أبي الفياض (ت٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) في تأريخه أنه كان " بالربض

---

(١) اللبّانة، هي المرأة التي تختص بصناعة اللبن وبيعه، ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج٢، ص٦٦٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٠٩.

(٢) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، (٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق، صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق عربية "، الدار التونسية للنشر، العراق، بغداد، ص٩٧، سيشار له فيما بعد: ابن حزم، طوق الحمامة.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٧.

(٤) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٥؛ ابن عبد الرؤوف، في آدب الحسبة، ص٨٧.

(٥) الزهري، الجعرافية، ص١٠٢.

(٦) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٨٧.

(٧) القرطبي، تقويم قرطبة، ص٤٩، ٦٣.

(٨) الود خيري، ملامح من المجتمع الأندلسي، ص١٧٠؛ فائزة عباس، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة، ص٧٣-٧٤.

(٩) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥١.

الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف يجمع جهاتها ؟"[١]

وقد وردت إشارات في بعض المصادر، تؤكد مزاولة المرأة الأندلسية لحرفة الطب[٢]. وتبين مسؤوليتها عن سجن النساء، فقد ذكر ابن عبدون، أنه "يجب أن يسجن القاضي من وجب عليها السجن من النساء، في حكم من المحكومات، عند امرأة قابلة خيرة قد عرف القاضي فضلها، إلى أن تنطلق؛ ويجعل لها القاضي أجرة على ذلك من بيت مال المسلمين"[٣].

---

[١] المراكشي، المعجب، ص٣٧٢.

[٢] انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٥٢٤.

[٣] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص١٩؛ فائزة عباس، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة، ص٧٤.

الفصل الثاني

الوضع الاجتماعي لأهل الحرف والصناعات

أ. التسمي بالحرف والصناعات والانتساب إليها

انتسب كثير من الأشخاص إلى الحرف والصناعات التي كانوا يمارسونها، وقد ظهر مثل هذا الانتساب في المجتمع الأندلسي في القرن الثالث الهجري[١]/ التاسع الميلادي، ولكنها كانت أوسع إنتشاراً في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ نجد في بعض كتب التراجم والأدب والتأريخ القاباً تدل على التسمي بالحرف والصناعات. فقد لقِّب الأديب أبو بكر محمد بن عيسى الداني بـ " ابن اللبّانة نسبة إلى والدته التي كانت تعمل ببيع اللبن، " حتى غلب اسم اللبن عليها، ونسب أولادها به إليها "[٢]، وكذلك لقّب الفقيه المقرىء أحمد بن سهل (ت٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) بـ " ابن الحداد"[٣]. ولقّب الفقيه محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سعيد الأموي (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) بـ" ابن العطّار"[٤]، ولقب قاضي القضاة أبو الوليد يونس بن عبد الله بـ " ابن الصفّار "[٥]، "والصّابوني" كان لقب عبد الله بن محمد المعروف بابن بركة (ت ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)، إذ كان له في مدينة قرطبة " دكاكين يصنع فيها خدمته الصابون ومنه عيشه "[٦] و" الدبّاج" لقب عبيد الله بن أيوب الذي كان يتعاطى عمل الديباج في مدينة قرطبة[٧]، و" ابن البنّاء " لقب الكاتب أبي بكر محمد بن أحمد الإشبيلي (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، و" ابن الحصّار " ؟ لقب أبي المطرف عبد الرحمن ابن بشر إذ كان أبوه حصاراً[٨]، و" الخرّاز" لقب الأفوه البسطي إذ " أنه كان خرازاً ببسطة[٩] " وبنت التياني " لقب لمهجة القرطبية إذ كان أبوها يبيع التين في مدينة قرطبة[١٠]، وكان أحمد بن عبد الوالي الرعيني

---

[١] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١٠، ١١، ق٢، ص١٨٥.

[٢] وهو من أهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كان معاصراً للمعتمد بن عباد. ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج٢، ص٦٦٧؛ انظر كذلك: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٠٩.

[٣] الضبي، بغية الملتمس. ص٢١٦.

[٤] ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢، ص٤٨٤.

[٥] من أهل القرن الرابع الهجري، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٥٥.

[٦] القاضي عياض، ترتيب المدراك، ج٣، ص٦٨٢.

[٧] وهو من أهل القرن الرابع الهجري، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٣٧.

[٨] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢٥٤؛ ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ص١١٨.

[٩] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٧٩. رواية: (الحجاري في المسهب).

[١٠] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٤٣. رواية: (الحجاري في المسهب).

(ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) يعرف بـ " العوّاد" صنعة أبية الكاتب الصالح،[١] وكان الفقيه أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون الأنصاري (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) يلقب " بالقنازعي " نسبة إلى صنعته[٢]، وكان علي بن يحيى بن عمريل الكناني (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) المعروف بـ"ابن الفخّار يعمل مع أبيه في صناعة الفخارة[٣]. وكان علي بن محمد بن هيصم الرعيني (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) يلقب بـ"ابن الفخار" نسبة إلى صنعة أبيه، الذي حرص على تعليم ابنه صناعة الفخارة[٤] وهذا يدل على أن الحرف والصناعات كانت تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، ويؤكد انتساب الأبناء إلى حرف آبائهم، إذ التصق كثير من هذه الحرف بأسماء بعض العائلات الأندلسية. وفي نظرة استعراضية غير مستقصية للتسميات بالحرف والصناعات نلحظ أكثر من نسبة لأشخاص عرفوا بصناعاتهم وحرفهم كما تكشف عنه كتب التراجم والأدب والتاريخ؛ مثل الزجّاج[٥]، والقلاّس[٦]، والصوّاف[٧]، والغزّال[٨]، والبزّاز[٩]، والخرّاز[١٠]، والخرّاط[١١]، والشوّاش[١٢]، والخيّاط[١٣]، والطرّاز[١٤]، والقطّان[١٥]، والفحّام[١٦].

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٢٠٠-٢٠١.

(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٧٢٦.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص٤٢٠-٤٢١.

(٤) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص٣٢٣.

(٥) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص٣٢٣.

(٦) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢، ص٣٦٧.

(٧) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٥٥.

(٨) ابن الزبير، أبو جعفر أحمد (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، كتاب صلة الصلة، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص١٨٤، سيشار لهذا المصدر فيما بعد، ابن الزبير، كتاب صلة الصلة.

(٩) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١٠٨.

(١٠) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق١، ص١٨.

(١١) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص٥٠٣.

(١٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٤٥.

(١٣) ابن الفرضي،تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٦٣.

(١٤) ابن الخطيب، الإحاطة، مج٣، ص٤١.

(١٥) المصدر نفسه، مج٣، ص٢٤١.

(١٦) ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص١٣٢.

والنشّار[1]، والخشّاب[2]، والسكّاك[3]، والرقّام[4] وقد ينتسب الشخص إلى حرفة أبيه، كابن القزّاز[5]، وابن الحائك[6] وابن الجبّان[7]، وابن الدبّاغ[8]، وابن الزرّاد[9]، وابن الحذّاء[10]، وابن الصّائغ[11]، وابن الصبّاغ[12]، وابن النقّاش[13]، وابن القبّاب[14]، وابن القرّاق[15]، وابن الكتّاني[16] وابن الخبّاز[17] وابن الزيّات[18].، وابن الملاّح[19]، وابن الطحّان[20]، وابن القنازعي[21]، وابن القفّال[22]، وابن الشوّاش[23]، وابن التراس[24]، وابن الفرّاء[25]، وابن الطرّاز[1].

---

[1] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣٣٨.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص١٧٧.

[3] المقري، نفح الطيب، مج٦، ص٢٥٧.

[4] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٢٨٣.

[5] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١٠.

[6] المصدر نفسه، ص١١.

[7] المصدر نفسه، ص٣١.

[8] المصدر نفسه، ص١٣٧.

[9] ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص١٨٦.

[10] ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق٢، ص٥٠٥.

[11] المصدر نفسه،ص٥٥٣.

[12] الضبي، بغية الملتمس، ص٢١٦.

[13] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٤٣٢.

[14] ابن الزبير، كتاب صلة الصلة، ٢٠٦.

[15] ابن الزبير، كتاب صلة الصلة، ٢٠٦.

[16] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٢١١.

[17] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٤٠٠.

[18] ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٣٠٤.

[19] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٥٤.

[20] المصدر نفسه، ص٥٠.

[21] المصدر نفسه، ص٥٤.

[22] ابن الزبير، صلة الصلة، ص٢٠٦.

[23] ابن الأبار، المقتضب، ص٨٣.

[24] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٩٥.

[25] المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٢.

ويلاحظ مما تقدم أن هذه النسب تمثل المجتمع الأندلسي بعصوره المختلفة وفئاته المتعددة، إذ لم تقتصر الألقاب الملتصقة بالحرف والصناعات على شريحة معينة من شرائح المجتمع بل كانت تشمل شرائح مختلفة، من بينها شريحة العلماء والقضاة والفقهاء والمحدثين والأدباء، والتي تحظى بمكانة رفيعة في المجتمع الأندلسي، الأمر الذي يدل على احترام المجتمع للعاملين في الحرف والصناعات.

ب. التعصب للحرفة والإعتزاز بها

ويلاحظ أن الإنتساب للحرف والصناعات بلغ حد العصبية للحرفة والاعتزاز بها؛ فقد حض الأندلسيون على التمسك بصنعة الآباء ولو كانت حقيرة، فقالوا في أمثالهم: (صنعة والدك، ولو كان حشّاش)، وقد يكون فيه ما يعبر عن نظرتهم إلى المهن وعدم احتقارها[٢]. وقد أشاروا إلى ما يكون من عداوة بين المشتركين في صنعة واحدة، فقالوا: (صاحب صنعتك، عدوك، ولو كان أخوك)[٣]، وهذا يدل على غرس روح التنافس بين أصحاب الصنعة الواحدة.

ومن مظاهر تماسك أهل الحرف وقوفهم كوحدة في وجه المحتسب[٤]، ومن ذلك " محتسب نبه على سوء عمل الخرّازين فتألبوا عليه بعد ذلك وأرادوا إخراجه من سوقهم، ومنعه من التصرف فيه، وأظهروا عقداً بأذاه لهم، وإضراره بهم، وتسلطه عليهم، وأنه أهل أن يخرج من السوق "[٥]. ومن مظاهر ذلك نجد أن أصحاب الحرفة الواحدة كانوا يخلون السوق لأحدهم يبيع فيه يوماً أو يومين إذا كان محتاجاً أو أراد أن يتزوج[٦]. وهذا يدل على التعاون بين الحرفيين وشعورهم بالإرتباط الوثيق مع بعضهم.

ومما يؤكد تماسك أبناء الحرفة الواحدة، وتعصبهم لحرفهم واعتزازهم بها، أن أبا بكر يحيى بن محمد المعروف " بالجزار السرقسطي " كان يتعاطى العمل بالجزارة في

---

[١] ابن القاضي، درة الحجال، ج٢، ص٥٠.

[٢] الزجالي، أمثال العوام، ق١، ص٢٤٨.

[٣] المصدر نفسه، ق١، ص٢٤٨.

[٤] الجرسيفي، في الحسبة، ص١٢٥.

[٥] الفاسي، خطة الحسبة، ص١٣٣، رواية: (ابن سهل الأسدي).

[٦] يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص٧١-٧٢.

مدينة سرقسطة، ثم تعلقت نفسه بقول الشعر فبرع فيه وصدرت له أشعار مدح بها الملوك من بني هود ووزراءهم، ثم ترك الأدب والشعر وعاد إلى ممارسة مهنته، فأمر الحاجب ابن هود وزيره أبا الفضل بن حسداي الإسرائيلي* أن يوبخه على رجوعه إلى الجزارة[١] فخاطبه بأبيات منها:

تركت الشعر من قلة الإصابة وعدت إلى التحرف بالقصابة

فأجابه الجزّار بقصيدة تتألف من واحد وستين بيتاً[٢]، مدافعاً فيها عن القصابة:

تعيب علي مألوف القصابة ومن لم يدر قدر الشيء عابه
ولو أحكمت منها بعض فن لما استبدلت منها بالحجابة
لعمرك لو نظرت إلي فيها وحولي من بني كلب عصابة
لهالك ما رأيت وقلت هذا هزبرٌ صيّر الأوضام غابة[٣].

والمتتبع للقصيدة يرى أن أبا بكر الجزار يتفنن في عرض محاسن مهنته بأسلوب ساخر، فيصف " مهنته أجّل وصف، في معرض المباهاة، وكأنه يسطر ملحمة من ملاحم القتال والبأس بأسلوب بارع، ولغة رشيقة "[٤]، ويمدح جماعته وعصابته، وينعتهم بالبسالة والنجابة، ويفضل صناعتهم على الحجابة[٥].

* أبو الفضل، حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي، أسلم وعمل في بلاد المقتدر بن هود، (٤٣٨-٤٧٤هـ/ ١٠٤٦-١٠٨١م) بسرقسطة. ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص١٥٦.

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج٢، ص٩٠٥؛ ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص١٣، ١٥٦؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٤٤٥.

(٢) للإطلاع على القصيدة، انظر: ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص١٥٦-١٦٣.

(٣) ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٤١-٤٢.

(٥) ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص١٦٤.

وفي محاورة جرت بينه وبين أبي الحسن على بــن عبــد الرحمــن الــبرجي[١] (ت٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)، على إثر خصومه وقعت بينهما، نرى الجزار السرقسطي يذكــر محاسن القصابة مفتخراً بها على الفراية، ويذكر مثالب الفرائين، لأن أبا أبـــي الحســن البرجي كان فراء يتجر في الفراء[٢]، واتخذ الجزار من هذه الخصومة ذريعة للســـخرية من الفرائين، والكشف عن عوراتهم، وترصد معايبهم، وتولى ذلك في قصيدة ميميمـــة، حيث يحدثنا حديث العارف الخبير وهو ليس ببعيد عن مهنة الفرائين، فيذكـــر أســـاليب الغش والتدليس التي يلجأون إليها، ويتهمهم بالتدليس في إبتياع الفراء، وأنها ليســـت ذات جدوى في دفع غائلة البرد أو شدة الحر، ورائحتها كريهة لا تطاق. ويفصل القول فـــي أساليب بيعها وشرائها، إذ تخرج إلى ضروب محرمة تقوم على أساس الاستغلال يلجـــأ إليها الفراؤون[٣]. ويتجاوز الأمر لدى الجزار هذا، حيث يجعل معظم ذوي المهن عالـــة عليه وتبعاً له، إذ يقول: " فقد جعلنا الله سبباً لمعاش أمم كثيرة، وجعلكم مشـــاركين مـــع الذباب والكلاب بافتقاركم إلينا، وطلاب معاشكم عندنا، فنحن أقوى أسباب هذا الـــرزق، لأكثر هذا الخلق[٤] ويذكر هنا أكثر مهن عصره في قصيدة من تسعة أبيات يقول فيها:

فمنهـــــــم الكـــرّاش والســلاّخ	إليهـــــــم الســــبّار والطبّـــاخ
والصّنـــــع المـــألوف والجــــلاد	ودابــــــــغ الجلــــود والحـــداد
اليـــهم الـــــــرواس والبَلاجَـــي	ثـــم الفتـــى المـــدعو بالســــرّاج
ومنـــهم الفــــــــرّان والزّقـــــاق	يليـــهم الرقّـــــــــاق والمَـــواق
وبائـــع الأخفــــــاف والخفّـــاف	وبعــــــده الكبّــــــار والدفّـــاف
ومنـــهم القــــــرّان والخــــرّاز	اليـــهم الغربــــــال والشكّـــــاز
وصانــــــع الأوتـــار للعيـــدان	بيـــن مثـــــالث إلـــى مثانــــي
وصـــانع المصحـــف والسقّـــــاء	ثم بغـــــــايا القفّـــه الفـــــراء
ثـــم الكـــلاب الكـــثر والذبـــــاب	لامين فـــي قـــــولي ولا ارتيـــاب

---

(١) أبو الحسن علي بن البرجي نسبة إلى برجه من أعمال سرقسطة، وكان البرجي لغويـــاً وأديبـــاً، روايـــة للحديث، تصدَّر للأقراء بمدينة سرقسطة، وتوفي بوادي آش. المصدر نفسه، ص١٦.

(٢) المصدر نفسه، ١٧، ١٨، ٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٢-٤٣، ١٠٦، ١١٧-١٢١.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٢، ١١٣-١١٤.

ويقول للفراء "فهؤلاء أتباعنا، حاشى من لم نذكره، فمن أتباعكم، يابغاث الـــورى، واضغاث الكرى"[١].

ج. أعداد العاملين في الحرف والصناعات

لا تزودنا المصادر بمعلومات وافرة عن أعداد العاملين في الحرف والصناعـــات، ولكن ما تزودنا به قد يزيل شيئاً من غموض هذا الموضوع، فقد قُدّر عدد الذين يعملــون يومياً في بناء مدينة الزَهراء (٣٢٥-٣٥٠هـ/ ٩٣٦-٩٦١م) بعشرة آلاف رجل[٢]، كما كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة، منهم ثلاثمائـــة بناء، ومائتا نجار، وخمسمائة من الأجراء وسائر أهـــل الصنــائع[٣]، وذكــر النويـــري (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) أنه كان يعمل يومياً في بناء الزهراء ألف رجل مـــن البنـــائين[٤] وكان عدد عمال النسيج والحياكة في مدينة قرطبة يقدر بثلاثة عشر ألفاً[٥]، وكان عـــدد العاملين في استخراج الزئبق من حصن أبال يزيد على ألف شخص[٦].

ومما يدل على كثرة أعداد العاملين في الحرف والصناعات، وبخاصة في القـــرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أرسل فـــي سـنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) " محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين لديه، مع ثلاثيـــن بنـــاءً وعشرة من النّجارين، وخمسة عشر من الحفّارين، وستة من الجيّارين المحسنين لعمـــل الجير، وستة من الأشارين لأشر الخشـــب، ورجليـــن مـــن الحدّاديـــن، ورجليـــن مـــن الحصّارين، تخيروا من حذاق طبقاتهم " إلى المغرب لمساعدة حليفه موســـى بـــن أبـــي العافية في إقامة بعض المنشآت الدفاعية[٧].

---

[١] ابن مطروح السرقسطي، روضة المحاسن، ص١١٤-١١٥.

[٢] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٦.

[٣] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٦٤. رواية: (ابن الفرضي)؛ انظر كذلك المقري، أزهار الريـاض، ج٢، ص٢٦٥.

[٤] النويري، تاريخ المغرب الإسلامي، ص١١٦. رواية: (ابن الرقيق).

[٥] ريسلر، الحضارة العربية، ص١٥٣؛ شاكر مصطفى، الأندلس، ص٦٦.

[٦] الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٨١؛ انظر كذلك: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٠.

[٧] ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٨٧-٣٨٨. رواية: (ابن حيان).

كما نستطيع أن نتبين أعداد الطبقة العاملة من عدد الأسواق والحوانيت التي كان يعمل الحرفيون فيها[1]، فقد كانت الحوانيت منتشرة على نطاق واسع بين المدن الأندلسية، فحيثما سار المسافر " يجد الحوانيت في الفلوات والشعاري والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة "[2]، وذكر أن عدد الحوانيت في مدينة قرطبة لوحدها بلغت (٨٠٤٥٥) حانوتاً،[3] وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ومهما تكن المبالغة في هذه الأرقام، فإنها تدل على سعة الطبقة العاملة، وكثرة الصنّاع في المجتمع الأندلسي.

د. أجور العاملين في الحرف والصناعات

أما معلوماتنا عن أجور العامليين في الحرف والصناعات فتكاد تكون نادرة، ومع ذلك تزودنا المصادر بمعلومات يمكن أن نستنتج منها أن أجرة العاملين في بناء مدينة الزهراء كانت تتراوح بين درهم ونصف ودرهمين وثلاثة دراهم في اليوم[4]. وكانت أجرة الرّخامين في عهد الخليفة الناصر تتراوح بين ثلاثة وثمانية وعشرة دنانير، وذلك عن كل رخامة أو سارية يجلبونها إلى مدينة الزهراء، إضافة إلى ما كان يلزم من النفقة على قطعها ونقلها ومؤنة حملها[5]. وكانت المسامير في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، تصنع بأحجام مختلفة وأوزان متنوعة، فمثلاً مسمار ربع رطل كان يأكل " من الفحم عدلاً واحداً فحامياً، وأجرة الضرابين عليه والكيّار ثلاثة دراهم، وأجرة المعلم على عمله درهمان[6] إما العاملون في إنتاج الخبز فكانت أجورهم متفاوتة، فالعجّان كان يتقاضى نصف درهم، والرقّاد ثلاثة أثمان الدرهم، والوقّاف نصف درهم[7].

---

(1) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص٨٨.

(2) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٢٦.

(3) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٤١.

(4) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٦.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٥٢٧.

(6) السقطي، في آداب الحسبة، ص٧١-٧٢.

(7) السقطي، في آداب الحسبة، ص٢٨.

وكان كيّال الحنطة يتقاضى ثمن درهم على القفيز الواحد[١].

ويبدو مما تقدم أن وضع الصنّاع بصورة عامة لم يكن جيداً، إذ كـــانت أجورهـــم قليلة، ومستواهم المعيشي متدنياً، ويؤكد ذلك ابن حوقل (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، الذي أشار إلى الأسواق الأندلسية، ووضع العاملين بها، فقال: " وقل سوق بها يصير إليه أهلـــه إلا على الفاره من المركوب، ولا يعرف فيهم المهنة والمشي إلا أهل الصنائع، والأراذل"[٢].

هـ لباس أهل الحرف

وأما لباس أهل الحرف فتحول قلة المعلومات دون تقديم أية تفاصيل عنـــه.وإنمـــا وردت بعض الإشارات التي تؤكد أنه كان "لكل عمل ثوب،ولكل مهنة زي "[٣] خـــاص بها،وأن أهل الصناعات لم يكونوا يتميزون بلبس مختلف فحسب،بل إن أهـــل الصنعـــة الواحدة،قد يتميزون بلباس مختلف من منطبقة إلى أخرى، فقد أشار ابن صاحب الصـــلاة (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م) إلى أن لباس زيّاتي قرطبة يختلف عن لباس زيّاتي إشبيليه[٤].

---

[١] كان القفيز يساوي ستين رطلاً، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٤٠؛ ابن عبدون، في القضـــاء والحسـبة، ص٤١..

[٢] ابن حوقل، صورة الأرض، ق١، ١٠٩.

[٣] ابن الخطيب،الإحاطة،مج ٣،ص ٣٤.

[٤] ابن صاحب الصلاة،المن بالإمامة،ص ٦٧؛عز الدين موسى،النشاط الاقتصادي،ص ٢١٦.

الفصل الثالث

علاقة الدولة بأصحاب الحرف والصناعات

أ. تنظيم الأسواق على أساس التخصص الحرفي

اهتم الأندلسيون منذ وقت مبكر بأهل الحرف والصناعات،وحرصوا على أن يكون لأهل كل حرفة سوق خاصة بهم(١)، ولذا اشتهرت مدن الأندلس في العصر الإسلامي بازدهارها متاجرها وكثرة أسواقها المتخصصة(٢). وكانت هذه الأسواق تقام بجوار المسجد الجامع، إذ يعتبر هذا المكان هو مركز الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية(٣).

ولقد تميزت مدينة قرطبة في العصر الأموي بتعدد أسواقها وتخصصها، حيث نجد لأهل كل حرفة سوقا خاصة بهم، فهنالك سوق للقصابين والحصارين(٤) والكتانيين(٥)، وسوق للمشاطين والخراطين(٦) والصوافين والعطارين والحرارين* والشقاقين*(٧) والبزارين، والصرافين والخبازين والفرانين(٨)، والخياطين(٩) والسراجين(١٠)، والخشابين والجزازين والعنازين(١١).

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٥٧، ١٠٧.

(٢) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢١٧.

(٣) ليفي بروفنسال، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية، القاهرة،١٩٥١، ص ٩٨، سيشار إليه فيما بعد: بروفنسال، سلسلة محاضرات؛ سالم في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢١٩.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩١.

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٤٢٤. رواية: (الرازي).

* المشاط: صانع المشط من قرون البقر والكباش، وسوق المشاطين شهيرة، زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١٢٧.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص١٤٢.

* الحرار: بائع خيوط الحرير في سوق الحرارين.والحرار: أيضا ناسج الثياب الحريرية في الطراز، والجمع الحرارة. زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١٠٨.

(٧) ابن حيان، المقتبس، ج٥، ص٣٨٣.

* والشقة:بالضم: معروفة من الثياب السبيبة المستطيلة والجمع شقاق وشقق. والشقة: جنس من الثياب. ابن منظور، لسان العرب، مج١٠، ص١٨٤.

(٨) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٩٢.

(٩) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٠٨.

(١٠) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٢٠٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٩.

(١١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٥٦-٥٧.

وكانت هنالك سوق للحديد(١)، وسوق للدواب(٢). ووجدت في قرطبة سوق خاصة للطعام والشراب، إذ تخصص أهلها في "المطاعم والمشارب"(٣).

واهتم الخلفاء الأمويون بتنظيم الأسـواق وترتيبـها علـى أسـاس التخصـص الحرفي،ففي سنة(٣٤٣هـ/٩٥٤م) أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر دارا لصناعة السـفن في مدينة المرية، وجعلها قسمين، قسما للمراكب الحربية والآلة والعدة، وقسما للقيسارية. وفي هذا الأخير نظم حوانيت الصناع على أساس التخصص، فقد "رتب كل صناعة منـها حسب ما يشكل لها"(٤).

وفي سنة (٣٦١هـ/٩٧١ م) كلف الخليفة الحكم المستنصر "صـاحب الشـرطة والسوق" أحمد بن نصر بنقل البرد التي بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمـى إلى دار الزوامل* التي بالمصارة طرف قرطبة،وأمره بإقامة حوانيت للـبزازين بـدار البرد التي تم اخلاؤها لينفسح بهم سوقهم وتتوسع صناعتهم(٥). كما أمره "بتوسيع المحجـة العظمى بسوق قرطبة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامـهم فيـها، وهـد الحوانيـت المتحيفة لعرضها المضيقة لسبيلها، كيما ينفسح الطريق ولا يضيق بالورادين والصادرين نظرا منه لكافة المسلمين واهتبالا بمصالحهم"(٦).

وفي سنة(٣٦٤هـ/٩٧٤ م) حبس الحكم المستنصر حوانيت السـراجين بسـوق قرطبة على المعلمين الذين اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين(٧).

وأقيمت الأسواق المتخصصة فـي المـدن الأندلسـية فـي عـهدي المرابطيـن والموحدين، ويبدو أنها كانت أكثر تنظيما من سابقتها، إذ كان من واجبات المحتسب فـي

---

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص٤١٩.

(٢) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٤٤٤.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٧٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخ، ج٢، ص٣٧.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص٨٦.

* الزامل من الدواب: الذي كأنه يظلع في سيره من نشاطه.والدابة تزمل في مشيها وعدوها زمالا، إذ رأيتـها تتحامل على يديها بغيا ونشاطا، ابن منظور، لسان العرب، مج١١، ص٣٠٩، والمقصود بـ"دار الزوامـل" فيما يبدو أنها دار للدواب المتميزة بسرعة العدو، وتكون خاصة بالسلطان وحاشيته.

(٥) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٦٦.

(٦) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٧٠-٧١.

(٧) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٢٠٦، ابن عذاري، البيان المغرب ، ج٢، ص٢٤٩.

هذه الفترة أن "يرتب الصناع، ويجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة"[١]. ولعل أفضل ما يمثل ذلك مدينتا إشبيليه ومالقة.

ففي مدينة إشبيليه وجدت أسواق متخصصة، كان من بينها سوق الزجاجين، والفخارين[٢]، وحوانيت الطباخين والقلائين، والسفاجين، والهراسين، والخبازين والجزارين[٣] وسوق القصارين واللبادين، والفرائين، والصباغين، والغزالين، والحشائين[٤]، وسوق السقاطين* والنجارين والصرافين والكمادين* والصفارين[٥].

وكانت أغلب هذه الأسواق مقامة بجوار المسجد الجامع المعروف باسم "جامع ابن عدبس"،واستمرت على ذلك حتى عهد الأمير الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٢هـ/١١٨٤-١١٩٥ م) الذي استحدث بناء المسجد الجامع في إشبيليه[٦]، ثم أمر في سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥ م) بهدم الديار والحوانيت والفنادق التي كانت تحيط بساحة المسجد، كما أمر ببناء "الأسواق والحوانيت" وإعادة ترتيبها وتنظيمها، فابتنيت على أحسن وجه، وجعل لها أربعة أبواب كبار تحيط بها من جوانبها الأربعة، فلما كمل بناؤها بحوانيتها، نقلت إليها أسواق العطارين، والبزازين والخياطين، "وتزاحم الناس باعتباطهم في المزايدة في كرائها "[٧] وهذا يدل على أن أمراء الموحدين كانوا يعتنون بالأسواق، فيشيدونها على نفقة الدولة، ويؤجرونها للتجار والصناع بالمزايدة.

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٥، ٤٨، ٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٩، ٥٠، ٥٨، ٦٠.

• السقاط: يطلق على محترف إعداد معدات الفرسان من سراج ولجام وركاب. وهناك سوق السقاطين، ما زالت بها بقايا هذه الحرفة. زمامة، أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص١١٥.

• والكمد والكمدة: تغير اللون وذهاب صفاؤه وبقاء أثره. وكمد لونه إذا تغير، والكمدة: تغير اللون. يقال: أكمد الغسال والقصار الثوب إذا لم ينقه. وكمد القصار الثوب إذا دقه، وهو كماد الثوب. ابن منظور، لسان العرب، مج٣، ص٣٨٠-٣٨١.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص١٥، ٨٥.

(٦) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٩٥-٣٩٦.

(٧) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٩٦؛ سالم،في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص٢١٨.

أما مدينة مالقة فقد روعي التخصص الحرفي في تنظيم أسواقها. فقد كان فيها أسواق كثيرة متخصصة "في الربض والمدينة"[1]، ومن جملة ذلك سوق الخياطين، والقصارين والرفائين والطرازين والقطانين والحصارين والقراقين[2] واللبادين والحدادين والنشارين والنحاسين والفخارين والزجاجيين[3] والخبازين، والطحانين[4] والعطارين والصيادلة[5]. وكان في مالقة سوق خاصة لعمل "الخوص من الأطباق وما في معناها "[6]، وسوق مختصة بعمل "صنائع الجلد"، وسوق مختصة بعمل "صنائع الحديد، كالسكين والمقص ونحوهما "[7]. وفي أطراف مدينة مالقة نجد أسواق الصباغين والدباغين والجيارين والجباصين[8] إذ كانت هذه الأسواق تقام في العادة خارج أسواق المدن تفاديا للروائح الكريهة من جهة، واختيارا للمكان الفسيح من جهة أخرى.

ومن أسواق مالقة المتخصصة، سوق الغزل[9]، وسوق الجزارين وبائعي اللحم وأنواع المطبوخات[10]. وقد بلغ تنظيم الأسواق في مدينة مالقة درجة كبيرة من الإتقان والرقي، حتى أن التخصص الحرفي يبدو بين أصحاب الحرفة الواحدة، إذ نرى المتحسب يأمر بائعي اللحم بأن لا يبيع أحد منهم لحم ماعز وضأن في حانوت واحد، ولا في حانوت بين حانوتين، وإنما جعل لكل نوع من ذلك حوانيت تخصه، وتعلم به منفصلة عن غيرها، وأمر "بائع لحم العنز أن ينفخ جلد عنز ويعلق بأول الحوانيت المعدة لبيع العنز "[11] وغرض المحتسب من ذلك حماية المستهلك من غشهم وتدليسهم، كما سنرى.

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٨.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣-٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٥، ٦٧، ٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١-٢٢، ٢٦، ٦٩-٧٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى ج٥، ص٢١٢، رواية: (ابن السديد).

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢١٢، رواية: (مسالك الأبصار).

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣-٦٤.

(٩) ابن الخطيب، الإحاطة، مج١، ص٣٣٣.

(١٠) السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٢-٤٠.

(١١) السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٤.

واستمر الاهتمام بمراعاة التخصص الحرفي في تنظيم أسواق المدن الأندلسية، ويبدو ذلك واضحا في عهد دولة بني الأحمر، إذ نجد أن مدينة غرناطة كغيرها من المدن الأندلسية الأخرى، تزخر بالأسواق المتخصصة، فكان بها لأهل كل حرفة محل خاص في السوق، من مثل حوانيت الصاغة والقراقيين والحداديين[١] والعطارين[٢]. ومحال صناع وتجار المواد الغذائية، من جزارين وسماكين وطباخين وشوائين وقلائين[٣]. وكان بها أيضا محال أهل الحرف الذين يصنعون الآنية والأدوات تحت أعين مبتاعيها، مثل تجار المصنوعات الحديدية، وتجار المصنوعات النحاسية وتجار طقوم الخيل، وتجار السروج[٤]، إضافة إلى ما كان بها من حوانيت الفخارين[٥] والدباغين والطوابين[٦].

ب. الأسواق الجامعة

وإلى جانب الأسواق المتخصصة، وجدت في المدن الأندلسية "أسواق جامعة لكل صناعة ومتجر"[٧] يباع فيها مختلف أنواع البضائع والسلع، ونجد مثل هذه الأسواق في مدينة طرطوشة[٨]، ومالقة[٩]، وجيان[١٠]، ولورقة[١١] وبسطة[١٢] والجزيرة الخضراء[١٣].

---

(١) مولف مجهول، نبذة العصر، ص٤٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ٢، ص٢٨٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، المقري، نفح الطيب، مج٢، ص١٩٤.

(٣) بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص٦٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٦٦.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، مج ١، ص١٢٧، ١٣٧، ٢٠٠-٢٠١، مؤلف مجهول، نبذة العصر، ص١١٨.

(٦) القلنشدي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٧. رواية "مسالك الأبصار".

(٧) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٢٤، ١٦٢.

(٨) المصدر نفسه، ص١٢٤.

(٩) المصدر نفسه، ص١٧٨.

(١٠) الحميري، الروض المعطار، ص١٨٣.

(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٧٢.

(١٢) الإدريسي، نزهة المشتاق،ج٥، ص٥٦٨.

(١٣) الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٣.

كما وجدت أسواق أسبوعية جامعة، عرف باسم الذي تعقد فيه، ومثال ذلك سوق الثلاثاء في مدينة شوذر[١] وسوق الخميس في مدينة قرمونة[٢]، وسوق الخميس في مدينة قبرة[٣] وسوق الخميس في غرناطة[٤] ويبدو أن الدولة اهتمت بتنظيم هذه الأسواق الجامعة، حتى يتمكن التجار والصناع من بيع بضائعهم ومنتجاتهم وحتى يقوم المستهلك بشراء كل ما يحتاجه من هذه الأسواق، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الإنتاج، ويساعد على تنشيط الحركة الاقتصادية في البلد.

وتميزت الأندلس بصورة عامة بكثرة أسواقها المنتشرة بين المدن لتزويد المسافرين بما يحتاجون إليه من ضروب الأطعمة، فقد ذكر الزهري أن من بركة الأندلس "أنه لا يمشي الإنسان فرسخين دون ماء، ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره "[٥]، وذكر المقري في رواية أخرى أن المسافر "حيثما سار من الأقطار يجد الحوانيت في الفلوات والشعاري والأودية ورؤوس الجبال، لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك"[٦].

ويلاحظ مما تقدم اهتمام الدولة بإنشاء الأسواق وتنظيمها وترتيبها على أساس التخصص الحرفي، بهدف تسهيل علمية الرقابة والإشراف فيما يبدو، وربما كانت الدولة تهدف إلى إثارة روح التنافس بين أصحاب الحرفة الواحدة، حتى تضمن الدقة والجودة في الصناعة.كما يبدو أن الحرفيين أنفسهم كانوا يحرصون على أن يتجمع أهل كل حرفة منهم في سوق خاصة بهم، لأن هذا يقوي الرابطة بينهم ويزيد من تماسكهم وتعاونهم وتكتلهم.

---

[١] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١١٧.

[٢] المصدر نفسه، ص١٥٩.

[٣] الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٣.

[٤] وثائق عربية غرناطية، ص٣٤.

[٥] الزهري، الجعرافية، ص٨٠.

[٦] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٢٦.

ج. التنظيمات الحرفية

كان الحرفيون في الأندلس يتجمعون في أحياء وأماكن خاصة بهم، تحمل أسماء صناعاتهم، كربض الرقاقين وربض حوانيت الريحاني، وباب العطارين في قرطبة[١]، وربض الفخارين، وباب الدباغين، وباب الفخارين في غرناطة[٢]. ومما يؤكد تجمع أهل الحرف وتكتلهم في أحياء خاصة وجود بعض المساجد تحمل أسماء حرفهم وصناعاتهم مثل مسجد الصباغين، ومسجد التبانين[٣]، ومسجد الفخارين[٤] في إشبيليه، ومسجد الجزارين في سرقسطة[٥]، ومسجد الجزارين في الجزيرة الخضراء[٦]. وأن دل هذا على شيء فإنما يدل على مظهر من مظاهر التنظيمات الحرفية في الأندلس، حيث كان لأهل كل طائفة أو جماعة حرفية سوق خاصة بهم، كما كان لهم أحياء خاصة يتجمعون فيها.

ومن مظاهر تنظيمات الحرفيين أن أهل كل صناعة كانوا يتخذون يوم الجمعة منذرا يسمعهم التكبير إذا كبر الإمام.وكان أهل الأسواق عامة، يرتبون منذرا يشعرهم بأذان الظهر والعصر في كل يوم وكانوا "يجمعوا له كل يوم جمعة شيئا يستعين به في معيشته، يجبرهم على ذلك القاضي والمحتسب "[٧].

أما المقصود بالتنظيم الحرفي، فيرى المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بأنه "مؤسسة نقابية، تقوم بتنظيم الحرفة وحفظ أسرارها وتثبيت أسعار عادلة للمنتجات الصناعية والحفاظ على مستوى الصناعة البشرية "[٨].ويرى بروفنسال أن "أساسها عقد تأسيسي يحدده العرف، ويسلم به الداخلون في الجماعة، ويقسمون على احترامه"[٩]. وقد استعملت مصطلحات متنوعة للدلالة على التنظيمات الحرفية في المجتمع الأندلسي.

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ص٣؛ مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، ص١٦٨.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٠٧. رواية: (مسالك الأبصار).

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، س٥، ق١، ص٣٢، ٢٠٦.

(٤) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٢٦.

(٥) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٣٩٦.

(٦) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص٨٧٩.

(٧) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٢٣.

(٨) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص٦٩.

(٩) بروفنسال، سلسلة محاضرات ص٨٩؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص٦٩.

فكان يشار لأهل الحرف بـ"أهل الصنائع "[١] و"أصحاب الصناعات "[٢] و"أرباب الصنائع"[٣] و "أصحاب الصنايع والمهن "[٤] و"أهل الصناعات والمهن "[٥] و"أهل الحرف والصنائع "[٦] و"أهل الصنائع والحرف "[٧].

كما كان يشار إليهم بـ"الأصناف" * فهذا السقطي يقول عن ذابحي الجزور وبائعي اللحم وأنواع المطبوخات أنهم:"أصناف ولكل صنف منهم نوع يخصه وطريق يجري عليها "[٨].وذكر ابن صاحب الصلاة أنه اجتمع في مدينة إشبيليه سنة(٥٦٧هـ/١١٧١ م) "من أصناف النجارين والنشارين والفعلة لأصناف البناء أعداد، من كل صنف صناع مهرة في كل فن من الأعمال أفراد "للمشاركة في بناء "الجامع الكبير "[٩].

كما اجتمع في مدينة شريش سنة(٦٨٤هـ/١١٨٨ م) "جميع أصناف الصنائع والتجارة، فأخبر من تفقد أسواقها أنه رأى فيها أصناف الصناع،كل قد تلبس بصناعته واحترف بحرفته "[١٠]. وكان يشار إليهم أيضا بـ"الطوائف"[١١] فقد ذكر أن الموحدين حين شرعوا في تجليد(تسفير) المصحف العثماني حشروا " له الصناع المتقنين والمهرة المتفننين،... فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض. ق١، ص١٠٩؛ المقري، نفح الطيب، مج٣، ص١٥٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٢٠، ٤٩.

(٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص٩.

(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مج، ج٥، ص١٣.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ج٣، ص١٣.

(٦) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص٥٥؛ المكناسي، الإكسير، ص٨٣.

(٧) المكناسي، الإكسير، ص١٦١.

* صنف: الصنف والصنف، النوع من الشيء، والجمع أصناف وصنوف. والصنف طائفة من كل شيء، وكل ضرب من الأشياء صنف على حدة. ابن منظور، لسان العرب، مج٩، ص١٩٨-١٩٩.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٢.

(٩) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٣٨٣-٣٨٤.

(١٠) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٣٥٢.

(١١) بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص٨٩؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ص١٣١.

والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين "[1].

ونستدل من ذلك على أن أهل كل حرفة كانت تجمعهم طائفة واحدة مستقلة عن غيرها، لها أصولها ونظمها الخاصة بها. وقد جعل عل رأس كل طائفة منها رئيس من أهلها يسمى "الأمين"[2]،فكان هنالك أمين للعطارين[3]، وأمين للجزارين[4]، وأمين للوزانين، وأمين لسوق الدواب[5]، وأمين لسوق الغزل[6]، وأمين لدار الطراز[7]. وقد أكد المحتسب على ضرورة أن يكون في كل صناعة أمين[8].

ويشترط في الأمين أن يكون عارفا بصنعته خبيرا بالجيد والرديء من حرفته مشهورا بالثقة والأمانة[9].ولهذا كان ينتخب باقتراح يقدم للمحتسب، إذ جرت العادة أن يكون تعيينه من قبل القاضي أو المحتسب[10]. وكان من أهم واجباته أن يحل الخلافات التي تقوم بين أهل الحرف وعملائهم،وأن يبلغ المحتسب مطالب الجماعة فيما يخص تقدير تكاليف السلعة وتحديد ثمن بيعها[11]، كما كان يرجع إليه عند الاختلاف في أمر من أمور الحرفة[12]، وربما يقوم بدور المعلم لأهل صنعته، فيعلمهم طرقها وسننها إذا اقتضت الضرورة ذلك[13].ومن واجباته منع الغش والتدليس بين أهل حرفته ومراقبة

---

[1] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٦١١. رواية "أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل".

[2] حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٥م، ص٤٦٤، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: مؤنس، فجر الأندلس.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، مج٢، ص٢٨٧؛ المقري، نفح الطيب، مج٢، ص١٩٤.

[4] ابن عبدون، في القضاء والحسبة،ص٤٤؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ٩٣.

[5] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٩-٤٠، ٥٣.

[6] ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص١٨٥.

[7] ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٩١-٩٢.

[8] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٣.

[9] المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص٥٥-٥٦.

[10] بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص٨٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢١٦.

[11] بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص٨٩؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص١٦٩.

[12] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٣.

[13] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٣.

الدقة والجودة في الصناعة، فكان يحتفظ بنماذج من المصنوعات الجيدة يرجع إليها عند الضرورة، وكان لديه طابع خاص يختم به على المنتجات الصناعية بعد التأكد من دقة صنعها ومطابقتها للمقاييس والمواصفات المتعارف عليها بين الصناع[١].

وإلى جانب الأمين نجد في التنظيم الحرفي في الأندلس رتبة "العريف".ويكون في العادة من الأستاذة المهرة في الصناعة[٢]، ويختار من بين ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع[٣].ويشترط فيه أن يكون فقيها عالما خيرا، مشهورا بالثقة والأمانة والتقوى، وأن يكون حاذقا متقنا لصنعته عارفا بصيرا بأسرارها[٤].

وقد كان لأهل كل صناعة عريف من صالح أهلها[٥]، يعينه القاضي أو المحتسب[٦]. فكان هنالك عريف للخياطين[٧]،وعريف للجزارين وبائعي اللحم، وعريف للطباخين، وعريف للعطارين، وعريف للصيادلة[٨]، وعريف للبنائين[٩]، وعريف للجيارين، وعريف للنجارين[١٠].

وكان من أهم واجبات العريف، مراقبة أهل حرفته وتفقد أحوالهم والبحث عن أخبارهم ومعرفة أسرارهم.كما كان يكشف عن أساليب غشهم ومكرهم وتدليسهم، وينبههم على ذلك في السر والعلن[١١]. وكان يأمرهم بتنظيف حوانيتهم وأسواقهم، ويحثهم على العناية بنظافة المنتج وأدوات الإنتاج، وعلى إتقان الصنعة وجودة المصنوعات[١٢]. ومن اختصاصات العريف أيضا، أن يساعد المحتسب في تنظيم طرق العمل بين أهل الأصناف[١]، وأن يقوم بحل الخلافات التي تقع بين أهل صنفه، ويحكم

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٩-٤٠، ٥١، ٥٣، ٥٨.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٦٤؛ الشخيلي،الأصناف في العصر العباسي، ص١٧٠.

(٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص٩.

(٤) ابن عبدون، في القضاء و الحسبة، ص٢٤، ٥٨؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٩، ٣٣ ٣٤، ٤٣.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، مج١، ص ٢١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ١٦٠.

(٦) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٢٣ ٢٤؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٣، ٣٧.

(٧) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ١٦٢؛ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص٢٥.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٣، ٣٧، ٣٩ ٤٠، ٤٣.

(٩) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٨٦، ٣٧٦، ابن خلدون، العبر، مج ٤، ق ٢، ٣١٢؛ المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٥٧٨.

(١٠) ابن صاحب الصلاة، المن الإمامة، ص ٨٥ ٨٦.

(١١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩، ٣٣، ٣٧، ٤٣.

(١٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣٣، ٤٠.

الأصناف[١]، وأن يقوم بحل الخلافات التي تقع بين أهل صنفه، ويحكم بها دون إبلاغها إلى الحاكم[٢]. وكان للعريف دور في تثبيت العرف الذي يتبعه أهل الصناعة. ويؤكد ابن عبدون ذلك حين يقول: "يجب للقاضي أن يجعل في كل صناعة رجلا من أهلها، فقيها، عالما، خيرا، يصلح بين الناس إذا وقع بينهم الخلاف في شيء من أمورهم، ولا يبلغون إلى الحاكم،.. وذلك أن يرجعوا إلى حكمه ورأيه؛ فهو أرفق وأستر لانكشافهم"[٣].

ويلحظ أن التنظيم الإداري للحرف والصناعات كان في غاية الدقة والإتقان، فإلى جانب ما كان يسمى بـ " الأمين " و " العريف " نجد في كل مهنة المعلم، والعامل المدرب، والمتعلم(الصبي)[٤]. وقد أوجدت الدولة جهازا خاصا للإشراف والرقابة على الأسواق، كان يطلق عليه اسم " الحسبة "، وكان يرأسه موظف خاص يدعى " صاحب الحسبة " أو " المحتسب ". وكان عليه أن يبحث عن أساليب الغش و التدليس التي كان يمارسها "أهل الحرف و الصنائع" المختلفة، كما سنرى.

د. الإشراف و الرقابة على الأسواق

خضعت الأسواق في المجتمع الإسلامي منذ وقت مبكر للإشراف و الرقابة. فقد روي عن الرسول(ص) أنه "مر بصبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال: ما هذا يا صاحب الطعام، فقال: أصابته السماء يا رسول الله، أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش ليس منا"[٥]. كما نجد في أحاديثه ووصاياه (ص) اهتماما واضحا بالسوق[٦]. وقد فوض أمر الإشراف على الأسواق إلى موظف خاص، فاستعمل سعيد بن

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥؛ الشخيلي، الأصناف في العصر العباسي، ص١٧٠.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٤.

(٣) ابن عبدون، في القضاء و الحسبة، ص ٢٤؛ عبد العزيز الدوري، نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، مستل من مجلة كلية الآداب ببغداد، ع ١، حزيران، ١٩٥٩. ص ١٢، سيشار لهذا المرجع فيما بعد: الدوري، نشوء الأصناف.

(٤) السقطي، في آداب الحسبة، ٢٤ ٢٦؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٦.

(٥) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤ ٥.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٣ ٤؛ ابن الأخوة، محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م) معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه: روبن ليوى، مطبعة دار الفنون، كيمبرج، ١٩٣٧م. ص ٦٥ ٦٦، سيشار لهذا المصدر فيما بعد، ابن الأخوة، معالم القربة، الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص١٣٩.

سعيد بن العاص بعد الفتح، على سوق مكة، واستعمل عمر بن الخطاب على سوق المدينة. كما ذكر عن سمراء بنت نهيك الأسدية أنها أدركت الرسول(ص) وكانت تمر بالأسواق تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر بسوط معها[١]. كذلك اهتم الخلفاء الراشدون بمراقبة الأسواق، إذ أنهم كانوا " يباشرونها بأنفسهم لعموم مصلحتها، وعظيم ثواب الله عليها"[٢]. فقد باشر الخليفة عمر بن الخطاب، أمر الإشراف والرقابة على الأسواق. فكان يتفقدها بنفسه، ويراقب الموازين و المكاييل، وذكر أنه عين للمهمة نفسها امرأة أنصارية تدعى الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية القرشية، وكان يقدم هذه الصحابية الجليلة في الرأي، ولعله ولاها مهمة خاصة بشؤون النساء[٣]. كما كان يعين موظفا خاصا للإشراف على السوق، فقد جعل السائب بن يزيد عاملا على سوق المدينة، وكذلك عبد الله بن عتبة. وعين على السوق أيضا سليمان بن أبي حثمة، وكان من فضلاء المهاجرين[٤].

واستمر الإشراف على الأسواق في عهد الخليفة عثمان بن عفان، إذ ذكر أن الحارث ابن العاص كان عاملا على السوق يشرف على المباع والمشترى فيه، ويرعى الموازين ويأخذ العشور[٥]، أما الخليفة علي بن أبي طالب، فكان يشرف على مجريات البيع والشراء، ويحث الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كان يحوص على مراقبة الموازين والمكاييل، فقد ذكر أنه كان يطوف بسوق الكوفة وبيده الدرة ليرى أن الأوزان و المكاييل الصحيحة هي التي تستخدم[٦].

واستمرت الرقابة على الأسواق طيلة العصر الأموي، حيث يرد ذكر عامل على سوق البصرة لزياد بن أبيه[٧]. وكان للخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، اهتمام بالسوق، فقد كان يمر على البقال فيسأله عن السعر الذي يبيع به، ويطلب منه أن يزيد

---

(١) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٣٩؛ الفاسي، خطة الحسبة، ص ٩.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٢.

(٣) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٤٠؛ الفاسي، خطة الحسبة، ص ١٠.

(٤) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ١٤٠، الفاسي، خطة الحسبة ص ١٠.

(٥) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٤٠؛ الفاسي، خطة الحسبة، ص ١٠.

(٦) الفاسي، خطة الحسبة، ص ١٠ ١١.

(٧) تولى البصرة سنة ٤٥هـ/٦٥٥م. الدوري، نشوء الأصناف والحرف، ص ٦؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٤١.

في الوزن، وكان قد عين ابن حرملة وهو مولى لعثمان بن عفان عاملا على سوق المدينة[١]. وتولى مهدي بن عبد الرحمن وإياس بن معاوية على التعاقب وظيفة "العامل على السوق" في واسط زمن ابن هبيرة[٢] (١٢٩ ١٣٢هـ/٧٤٦ ٧٤٩).

ومما تقدم يتضح لنا أن الرقابة على الأسواق وجدت منذ صدر الإسلام، واستمرت خلال العصر الأموي، وقد أطلق على الموظف الذي يشرف على الأسواق اسم "العامل على السوق"، وجعلت من مهامه: مراقبة الأوزان والمكاييل، وجباية بعض الضرائب التي فرضت على الأسواق. ويبدو أن هذه الوظيفة كانت النواة لوظيفة المحتسب في المجتمع الإسلامي[٣].

ولدينا أول إشارة صريحة إلى الحسبة من زمن المنصور العباسي، فقد كان عاصم ابن سليمان الأحوال محتسبا على المكاييل والأوزان في الكوفة، كما كان لهذا الخليفة محتسب ببغداد، يدعى أبا زكريا بن عبد الله، وذلك سنة(١٥٧هـ/٧٧٣م)[٤].

أما في الأندلس، فقد كان يتولى أمر الرقابة والأشراف على الأسواق موظف خاص يدعى "صاحب السوق"[٥] "وكان يعرف بصاحب الحسبة، لأن أكثر نظره إنما كان فيما يجري في الأسواق من غش وخديعة وتفقد مكيال وميزان وشبهه"[٦]. وقد عرفت خطته باسم "ولاية السوق"[٧] أو "أحكام السوق"[٨]، ثم أصبح يقال لها "ولاية الحسبة"[٩]، وأحيانا "خطة الإحتساب"[١٠]. ويبدو أن اسم الحسبة لم يكن شائعا في الأندلس قبل القرن

---

(١) الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٤١.

(٢) الدوري، نشوء الأصناف والحرف، ص ٦.

(٣) الدوري، نشوء الأصناف والحرف، ص ٦ ٧؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٤١ ١٤٢.

(٤) الدوري، نشوء الأصناف والحرف، ص٧؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص ١٣٤.

(٥) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ٥٤٨؛ الونشريسي، المعيار المغرب ج ١٠، ص ٧٧؛ الفاسي، خطة الحسبة، ص ١٣٥، ١٣٧-١٣٨، رواية (ابن سهل)

(٦) الونشريسي، المعيار المغرب، ج ١٠، ص ٧٧. رواية: (ابن سهل).

(٧) ابن حيان، المقتبس، ج ٥، ص ١٠٣؛ ابن بشكوال، الصلة، ق ١، ص ٣٠٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٤٦.

(٨) ابن بشكوال، الصلة، ق ٢، ص ٥٢٢، ٥٥٢.

(٩) الفاسي، خطة الحسبة، ص ١٧.

(١٠) المقري، نفح الطيب، مج ١، ص ٢١٨، الفاسي، خطة الحسبة ص ١٧.

السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ومما يؤكد ذلك أن ابن بشكوال (ت٥٧٨ هـ/١١٨٢م) عند ترجمته لعبد الله بن محمد بن أحمد الرعيني المعروف بابن المشاط (ت٣٩٧ هـ/١٠٠٦م)، يذكر أن الحاجب المنصور "ولاه أحكام الحسبة المدعوة عندنا بولاية السوق"[١].

وكان يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة أن يتحلى بصفات وخصائص تميزه عن غيره حتى يستطيع القيام بعمله على خير وجه، فلا بد أن يكون رجلا، مسلما، عفيفا، خيرا، ورعا، غنيا، محنكا، فطنا، عالما، فقيها في الدين، قائما مع الحق، نزيه النفس لا يميل ولا يرتشي، عالي الهمة، معلوم العدالة، عارفا بجزئيات الأمور، وسياسات الجمهور، ذا أناة وحلم وتيقظ وفهم ووقار، وأن يكون حازما لا تأخذه في الله لومة لائم[٢]. ويجب أن يكون عارفا بأصناف الصناعات والمعايش وحيل الباعة، إذ بذلك " يتوصل إلى معرفة الغش والتدليس، ويميز بين التحقيق والتلبيس"[٣].

هذا، وقد أنشئت خطة الحسبة أو " ولاية السوق " في وقت مبكر من تاريخ الأندلس، ورغم أن المصادر الأندلسية لم تشر إلى ذلك صراحة، فإنه يمكننا أن نستشف ذلك من خلال بعض الإشارات التي وصلتنا. فقد ذكر أن الأمير عبد الرحمن الأوسط(٢٠٦-٢٣٨/٨٢١-٨٥٢م)، كان أول من " ميز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، وصير لواليها ثلاثين دينارا في الشهر ولوالي المدينة مائة دينار "[٤]. وهذا يدل على أن ولايتي السوق والشرطة، قد كانتا تسندان لشخص واحد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، واستمر الأمر على ذلك حتى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، حيث فصل بين الوظيفتين وميز بينهما، فأصبح لكل خطة منهما مهمات وواجبات خاصة بها تميزها عن الأخرى.

ويبدو أن الفصل بين الوظيفتين استمر خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، والنصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إذ نرى الخليفة

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، ق ١، ص ٣٠٨.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٢٠؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٥؛ الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٠؛ المجيلدي، التيسير في أحكام التعسير، ص ٤٤.

(٣) الجرسيفي، في الحسبة، ص ٤٤.

(٤) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ٢٨٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ١، ص ٤٦.

عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، يعزل موسى بن محمد بن حدير عن ولاية المدينة، ويولي مكانه محمد بن عبد الله الخروبي، حيث نقله من ولاية السوق إليها، وولى السوق مكانه أحمد بن حبيب بن بهلول "[١].

ونلاحظ اعتبارا من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، أن ولايتي الشرطة والسوق قد اصبحتا تجمعان في الغالب في يد وال واحد بهدف تحقيق التكامل بين هذين الجهازين المشرفين على النظام والأمن، ولدينا أمثلة عديدة على ذلك: فهذا أحمد بن نصر من أهل قرطبة ولي أحكام الشرطة والسوق في عهد الخليفة الحكم المستنصر[٢]، وهذا أبو العباس أحمد بن يونس الجذامي المعروف بالحراني، ولي خطتي الشرطة والسوق في زمن الخليفة هشام المؤيد[٣]. كما ولي محمد بن محمد إبراهيم القيسي (ت ٤٣٢هـ/١٠٤٠ م) أحكام الشرطة والسوق في مدينة قرطبة[٤]، وولي الفقيه عبد الرحمن بن مخلد أحكام الشرطة والسوق في عهد أبي الوليد بن جمهور، ولم يزل متقلدا لهذه الوظيفة حتى وافته المنية سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م)[٥]. وكان ممن تولى "أحكام الشرطة والسوق" حسن بن محمد بن دكوان القرطبي، يكنى أبا علي (ت٤٥١هـ/١٠٥٩م)[٦]، ومحمد بن مكي بن مختار القيسي، من أهل قرطبة يكنى أبا طالب (ت٤٧٤هـ/١٠٨١ م)[٧]، وعبد المنعم بن محمد الخزرجي الغرناطي، (ت ٥٩٨هـ/١٢٠١ م)[٨].

وشهدت الحسبة في الأندلس تطورا وازدهارا كبيرا، إذ أولى الأندلسيون فقه الحسبة عناية كاملة، فكانت "لهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها، كما تتدارس أحكام الفقه، لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات"[٩]. ووصفت خطة

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج ٥،ص ١٠٣.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٥٠.

(٣) الفاسي، خطة الحسبة، ص٧٢.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ٥٢٢.

(٥) الفاسي، خطة الحسبة، ص٧٢.

(٦) الفاسي، خطة الحسبة، ص٧٢.

(٧) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٥٥٢.

(٨) الفاسي، خطة الحسبة، ص٧٢.

(٩) المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢١٩.

الحسبة بأنها من أعظم الخطط الدينية، وهي بين خطة القضاء وخطة الشرطة[١]. كما اعتبرت نوعا من أنواع القضاء المتميز بسرعة البت في القضايا، وعهد بولايتها إلى كبار الفقهاء من طبقة القضاة، وكان متوليها يتقاضى راتبا معينا من بيت المال[٢].

وكانت الحسبة في عهد دولة بني أمية تدخل ضمن اختصاصات القضاة، ويؤكد ذلك ابن خلدون(ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦ م) بقوله:وقد كانت الحسبة "في كثير من الدول الإسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب، والأمويين بالأندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره"[٣].وكان القاضي يتولى بنفسه عملية تعيين وعزل المحتسب، ولكن بعد الرجوع إلى صاحب الأمر(الخليفة أو السلطان) في الدولة،فقد ذكر ابن عبدون إنه "يجب للقاضي أن لا يقدم محتسبا إلا أن يعلم الرئيس بذلك لتكون للقاضي حجة عليه إن أراد أن يعزله أو يبقيه"[٤]. ويفهم من ذلك أن الخليفة هو الذي يمتلك أمر تعيين وعزل المحتسب، وإنما القاضي ينسب من يراه مناسبا لتولي هذا المنصب. وهذا يدل على أهمية الحسبة في الأندلس، حيث أوليت عناية خاصة، وأدرجت تحت اهتمامات القضاة لما تتطلبه من عدل وحسن تدبير، وخاصة إذ ما عرفنا أن القضاة كانوا يرتبطون مباشرة بالولاة والحكام، وأن عملية تكليفهم بالقضاء تتطلب علما وفقها ومعرفة في مختلف مجالات الحياة.

ومما يدل على أهمية الحسبة في الأندلس، ويؤكد ارتباطها الوثيق بالقضاء قول ابن عبدون: "والاحتساب أخو القضاء؛ فلذلك يجب أن يكون إلا من أمثال الناس، وهو لسان القاضي وحاجبه ووزيره وخليفته؛ وإن اعتذر القاضي، فهو يحكم مكانه فيما يليق به وبخطته. ويضرب له أجره من بيت المال تقوم به فينصفه القاضي؛ فمن ذلك أن يعضده، ويحميه، ويشده، ويقوم معه، ويمضي أحكامه وأفعاله، ولا يعكس عليه أمرا، ولا يسلمه، ويمنع عليه جهده، لأنه يكفي القاضي أمورا كثيرة مما عسى أن يكون نظرها للقاضي؛ فيكفيه التعب والشغب والامتهان مع عامة الناس وخساسهم والعتاة والجهال من

---

(١) المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، ص٤٢.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٢٠؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢٠٤، ٢١٨.

(٣) ويتابع ابن خلدون فيقول: "ثم لما انفردت وظيفة السلطان على الخلافة وصار نظره عاما في أمور السياسة اندرجت في وظائف الملك وأفردت بالولاية ".واصبح تعيين المحتسب من حق الإدارة المدنية لا من حق القضاء، ابن خلدون، المقدمة، ج٢، ص٧٤٦-٧٤٧؛ بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص٨٦.

(٤) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٢٠.

ضروب الصناع والعمال"[1].كما تتضح لنا أهمية المحتسب من خلال الاختصاصات والمهام الموكولة إليه، إذ أنها شملت مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية، والذي يهمنا هنا هو الجانب الاقتصادي الذي يتعلق بالحرف والصناعات.

كان على المحتسب أن يتفقد الأسواق، ويراقب المكاييل والموازين ويتأكد من دقتها[2] ويبحث عن أساليب الغش والتدليس التي كان يمارسها أصحاب "الحرف والصنائع " المختلفة، فيراقب الطحانين لئلا يخلطوا القمح الطيب بالرديء[3]، ويراقب الحناطين لئلا يغشوا بخلط الدقيق الطيب بالرديء، ويأمرهم بتغطية الدقيق بين أيديهم حتى لا يتساقط فيه ما يفسده[4]، وينهاهم عن غربلة القمح في الأسواق والأماكن الضيقة لما فيه من الإضرار بالناس[5]، وكان يلزم الخبازين بأن يتخذ كل واحد منهم طابعا ينقش فيه اسمه ويطبع على خبزه ليتميز خبز كل واحد بطابعه وتقوم الحجة به على صاحبه[6]، ويطالبهم بإنعام طبخ الخبز[7]، وبغسل قصاري العجين كل يوم، وجرد الألواح ومسحها[8]، ويحثهم على غسل مناديلهم، وعلى الإغتسال في أكثر الأوقات وغسل رؤوسهم لا سيما في فصل الصيف، ويمنعهم من العمل قبل الفجر[9]، وينهاهم عن خلط البارد من الخبز بالحار وعن رش وجه الخبز قبل الطبخ بالماء وبعد الطبخ بالزيت، ويأمرهم أن يفرقوا بين خبزة الرطلين وخبزة الرطل ونصف، وأن لا يعملوا خبزة من خبزتين، وكان المحتسب يلتفت داخل الخبز لئلا يكون معقدا أو مردوفا أو مقلسا، وكان يختبر الخبز عليهم بالوزن[10] لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان والأسعار، فقد ذكر المقري أن المحتسب كان "يمشي بنفسه راكبا على الأسواق وأعوانه معه،

---

(1) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٢٠.

(2) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص٣٢، ٣٥-٤٠؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٣٩-٤٢؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص١١-٢٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٦-١٠٧.

(3) السقطي، في آداب الحسبة، ص٢١.

(4) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٨٨.

(5) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص١٠٦-١٠٧؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٨٨.

(6) السقطي، في آداب الحسبة، ص٢١.

(7) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٨٩.

(8) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٨.

(9) السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٠.

(10) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٠.

وميزانه الذي يزن به الخبز بيد أحد الأعوان، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم، وكذلك للثمن"[١]. ولذا نجد المحتسب يأمر باعة الخبز أن يتخذوا موازين على رؤوسهم أو أن تكون معهم في حوانيتهم ليختبروا بها الخبز بالوزن إذا وصلهم،فإن وجدوه مطابقا للوزن باعوه، وإن كان ناقصا تركوه لمن عمله، ومن باعه منهم واكتشف أمره استحق العقوبة[٢].

وكان على المحتسب أن يمنع الفرانين من حرق ما يحتطب من الأزقة والمواضع القذرة التي لا تؤمن من نجاستها وإضرارها بالمطبوخ، وينهاهم عن كشف الخبز قبل إدخاله في الفرن لئلا يسقط عليه ما يفسده، ويأمرهم بحفظه وتعهده بعد إدخاله في الفرن وأن يميزوا بين خبز القمح وغيره وأن ينظفوا البالة التي يفرنون بها، وأن يكنسوا الفرن من الرماد والتراب، ويحرقوا الأحطاب الجبلية كلها[٣].

وكان يشدد على الجزارين بأن "يتولى الذبح من يوثق به ويعلم فضله إن وجد، وإلا جعل أمينا عليهم، يقف عليهم ويعلمهم سنة الذبح "، ويأمرهم أن يفرقوا بين لحوم الماعز والضأن، وأن لا يخلطوا بين لحم البطون والرؤوس، وأن يقوموا بتنظيف حوانيتهم وأسواقهم[٤]. وأما باعة اللحم، فيأمرهم بغسل الحصر التي يضعون اللحم عليها، وأن يعرضوا موازينهم في أوجه الحوانيت حتى يتبين للمشتري ما يوزن له، وأن لا يترك أحدا منهم يبيع لحم ضأن وماعز في حانوت واحد حتى لا يلتبس الأمر على الجاهل[٥].ومن الجدير ذكره هنا أن أسعار اللحوم في الأسواق الأندلسية كانت تحدد من قبل المحتسب، فـ"اللحم تكون عليه ورقه بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حد له المحتسب في الورقة "ومن خالف ذلك تعرض للعقوبة الرادعة المتمثلة، بالضرب والتجريس في الأسواق ومن ثم النفي من البلد، إن كثر ذلك منه ولم يتب[٦].

وكان من واجبات المحتسب مراقبة الطباخين، فاشترط في مطابخهم أن تكون مجصصة مسطحة ليتمكن من غسلها في كل الأوقات، وطلب منهم أن يقوموا بعملهم في

---

[١] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢١٨.

[٢] السقطي، في آداب الحسبة، ص١١،٣١.

[٣] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩١.

[٤] السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٣-٣٤.

[٥] السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٣-٣٤.

[٦] المقري، نفح الطيب، مج١، ص٢١٨-٢١٩.

ضوء "المصباح، وبحيث لا يخفى شيء من أمورهم حتى يشاهد الثقة المقدم عليهم تنظيفهم اللحم وضمه في القدور ورفعها على النار بعد وضع الأبازير فيها وما لا بد منه لطبخها"[١] وحثهم على ضرورة تنظيف أبدانهم وملابسهم وتنظيف الأواني والقدور المستعلمة في عملية الطبخ، وتنظيف اللحوم وسائر المأكولات قبل طبخها وتغطيتها بمنديل نظيف[٢]، وكان المحتسب يتفقدهم في الصباح والمساء، فأما بالصباح فيقف على اللحم الذي منه يطبخون لئلا يكون لحما رديا،وأما بالمساء فلئلا تبقى لهم بقية فيزيدوا عليها غيرها ويخلطوها ثم يعيدوا طبخها، وكان يأمرهم أن يضعوا ما طبخوه في الصحاف والقدور الواسعة ليراه المشتري ولا يخفى عليه منه شيء[٣]، وأن لا يطبخوا في الليل ولا في السحر ولا في الديار الخالية[٤].

وكان على المحتسب أن يتفقد الهراسين والسفاجين والقلائين والشوائين وبائعي العسل والسمن واللبن وصانعي الكعك والمسمنات وأصناف الحلوى والمجبنات[٥]، ويتفقد العطارين والصيادلة الذين يكثر غشهم ويلحق الناس منهم ضرر بليغ، لأن "الكشف عنهم صعب المرام وغش مفسديهم لا يكاد يحصر ولا يرام"[٦].

ويراقب الزياتين لئلا يخلطوا الزيت الطيب بالردي، ولا يغشوا فيه بماء أو غيره، ويأمرهم بتجربة الكيل للمشتري، وأن يتصدقوا بما يجتمع في الصحاف من بقايا مكايلهم من الزيت، لأن ذلك من حقوق الناس[٧]، ويمنع معاصر الزيتون أن يعصر فيها زريعة الكتان لئلا تعلق رائحته بالزيت[٨].

---

(١) السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٥.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٥؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٧؛ مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ، ص٧٨-٧٩.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٦-٩٧.

(٤) السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٥.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ٤٢، ٤٥، ٥٥ ؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٣٦، ٣٩؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٢، ٩٧، ١٠١، ١٠٥؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٣٣-١١٤.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة، ص٤١-٤٧؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٨٦-٨٧.

(٧) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٥.

(٨) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٨.

وينبغي على المحتسب أن يتدخل في شؤون الخياطين، فيأمرهم بجودة التفصيل وأن لا يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم وحوائجهم لأنهم يتضررون بالتردد إليهم، وأن تكون الخياطة درزا لاشلا، وألا يكون الخيط طويلا لأن الخياط لا يتمكن من شده لطوله فتكون الخياطة به غير متقنة[١]، ويتفقد تفصيلهم للثياب لأن من "مفسديهم من يفصل الثوب كاملا ويخرط في الخواصر فيعطي القياس في التربيع وهو ضيق، وقد سرق منه بقدر الخرط، وكذلك يضيقون أكمام أثواب الكساء ويضربون خياطتها طلب التوفير، فإذا لبس الثوب قليلا تفلتت خياطته وانفصلت أجزاؤه وخسر مشتريه، وكذلك يوسعون أطواق أثواب الكتان لتظهر عند القياس كاملة"[٢]. وكان المحتسب يراقب الكتانيين لئلا يرشوا الماء على الكتان ليثقل وزنه، ويأمر بائعي الغزل بتجفيفه تحت الشمس لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ليحسن وجهه ويزيد في وزنه[٣]، ويتفقد أحوال القطانين ويأمرهم بتخليص القطن من الشوائب العالقة به[٤]. ويمنع حاكة الديباج وغيرهم من تصبيغ الديباج لئلا يتصفق ويشتد[٥]، ويفرض على الصباغين أن لا ينشروا الثياب المصبوغة المبلولة على الطرقات لكي لا تلحق الضرر بملابس الناس[٦]، وأن يصبغوا المنسوجات القطنية والكتانية باللون السحابي، لأن الألوان الأخرى لا تثبت عليها[٧]، وأن يختاروا الألوان المناسبة للملابس الجاهزة المراد صبغها[٨] ويلزم القصارين بأن لا يلبسوا ثوبا يعطى للقصارة، ولا يلبسوه أحدا ويحلفون على ذلك[٩] وأن يكتبوا على كل خرقة اسم صاحبها لئلا تختلط أقمشة الناس ببعضها[١٠]، وألا يستعملوا المفتل لعصر الثياب، وأن لا يقصروها بالمرازب لأن ذلك يضر الثياب ويوهن قوتها[١١]

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٢-٦٣؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٣٧.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٨٧.

(٤) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٤؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٤٢.

(٥) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٨٦، ١٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ص١١١.

(٧) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣.

(٨) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٠.

(٩) السقطي في آداب الحسبة، ٦٣؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٣٩.

(١٠) ابن الأخوة، معالم القربة، ص١٣٩.

(١١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٩؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٣.

ويمنع الرفائين أن يرفوا خرقا في ثوب لقصار إلا بعد موافقة صاحبه، ويمنع الطرازين أن يغيروا رسم الثوب عند قصار[١]. ويجب عليه أن يحد للحشائين والفرائين أن لا يوسعوا فتح أطواق الثياب كثيرا، ويفرض على الحشائين أن يطولوا مقادم المحاشي، وأن يعدلوا القطن فيها[٢]، وينهى الفرائين عن تتريب وجوه الفراء، لأن التتريب يستر عيوبها[٣]، ويوصيهم أن لا يستعملوا الخزف لتخمير الفراء البالية، فإنها دلسة عندهم[٤]، وكان المحتسب يتصدى لعمال المرط* فيأمرهم أن لا يعملوا أفواهها واسعة، وكذلك كان يفرض على اللبادين أن لا يعملوا اللبود من صوف الميتة[٥]، ويأمرهم بتحسين عملهم لأنهم يعملونها محولة قليلة الصوف لا ينتفع بها[٦]. أما الحصارون، فكان المحتسب يمنعهم من عمل الحلفة القصيرة في كل ما يعمل منها، وينهاهم عن طبخ الحلفة لئلا يوهموا الناس أنها مدبوغة، ويأمرهم بتحسين ما يخيطونه من حصير أو غيره[٧]، إذ لم يسمح لهم ببيع قفف الطين والتراب إلا أن تكون مصلبة ومقابضها مطوية الأطراف، وكذلك أقواس الغرابيل يجب أن تكون قوية القصب مقروضة الأطراف، مشدودة على القرضات[٨].

وكان المحتسب يأمر صانعي(غرابيل الشعر) بغسل الشعر جيدا، وأن لا يستعملوا شعر الميت فيها[٩]، ويمنع الجلادين من بيع جلود الميتة نية، وإنما يبيعونها مدبوغة للإنتعال والطحين عليها وما كان من منافع البيت، وكذلك الذين يفصلون الجلد النـي يمنعون أن يحدوا على موضع القطع بقفا السكين أو بحديدة يتخذونها لهذا الغرض ليخفوا

---

[١] السقطي، في آداب السحبة، ص٦٣.

[٢] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٨.

[٣] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص١٠٣-١٠٤.

[٤] المصدر نفسه، ص٥٠.

* المرط: كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل: هوالثوب الأخضر، والجمع مروط، والمرط: كل ثوب مخيط. ابن منظور، لسان العرب، مج٧، ص٤٠١-٤٠٢.

[٥] السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٨-٦٩؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٢٢٩.

[٦] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٠.

[٧] ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١٠٢.

[٨] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٤.

[٩] السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٨؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٢٢٨.

بذلك رقة الجلد، وليظهر غليظا في رأي العين[١]، ولا يسمح للدباغين أن يخلطوا جلد الماعز مع جلد الضأن، وأن يبيعوا جلدا إلا أن يكون مدبوغا[٢]، ولا يسمح لصناع الأقراق (نوع من النعال) في عمل قرق "إلا أن تتصل حاشيتا جلده خرزا واحدا في ظهره أو بوصل من الجلد صغير لا يبلغ سعة الظهر، ويكون مجموعا بالخرز لا بالتشبيك "[٣] ويمنعهم من حشو الخرق البالية والطين داخل أجزاء الحذاء[٤].

وحرص المحتسب على أن يكون لأهل كل حرفة سوق خاصة بهم، بحيث "يجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة "[٥]. ومنع الخبازين من مجاورة " أهل الحرف القذرة "، كالسماكين والبياطرة والحجامين وما أشبه ذلك[٦]. وكان على الفرانين أن يتخذوا أفرانهم بعيدا عن الطرق لكي لا يلحقوا الضرر بالناس[٧]. وطلب من بائعي السمك أن يتخذوا مكانا يكون فيه سوقهم بعيدا عن الطريق، وذلك لما ينشأ عنه من روائح كريهة[٨]، وجعل أسواق الصباغين والدباغين خارج أسوار المدن تفاديا للروائح الكريهة[٩]، كما أمر أن تكون مواضع صناع القرميد والآجر خارج أبواب المدن، حيث تكون هذه المواضع واسعة[١٠].

وكان المحتسب يتفقد أهل الترياق والأدهان والأكحال وتختبر عليهم؛ فان وجدت مغشوشة عوقبوا عليها ومنعوا من الجلوس لبيعها[١١]. وكان عليه أن ينهى الجباصين عن خلط التراب بالجبص عند الطبخ، ويأمرهم أن يغربلوا الجبص بالغربال الوسط، وأن يجيدوا طبخه[١٢]، وكذلك يأمر الجيارين أن يغربلوا الجير ويخلصوه من الحجارة

---

(١) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ١٠٢-١٠٣.

(٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٤) ابن عبدون، في القضاء و الحسبة، ص ٥٩، ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٤٩.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٣.

(٦) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٠.

(٧) المصدر نفسه، ص١١١.

(٨) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٩) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٩؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٢٩.

(١٠) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٤.

(١١) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١١٢.

(١٢) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٤؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١١٢.

المختلطة به[١]، ويلزم عملة الآجر والقرميد أن يصنعوا أنواعا مختلفة منها، لتلبية رغبات الناس واحتياجاتهم، وأن يحسنوا عملها ويجيدوا طبخها، وأن تكون قواليهم مصنوعة من خشب صلب لا ينخره السوس، وأن يتقيدوا في أعمالهم بالمواصفات والمقاييس الموضوعة من قبل المحتسب[٢]، ويفرض على عملة اللبن أن يقللوا من الرمل عند عملها وأن ينتخبوا التراب الطيب لها[٣]، ويأمر الفخارين بتليين ترابهم وتطييبه، وأن يقللوا من الرمل فيه، وأن يخلطوه جيدا قبل بدء العمل[٤]، وكذلك يأمرهم بأن يوسعوا أفواه أقداح الوضوء، وقيعان القلال ويوطئوها بشكل جيد لئلا تقع[٥].

وتركزت رقابة المحتسب على ضرورة توافر الدقة والجودة في أعمال البنائين[٦]، والدهانين[٧]، والرقاقين، والكغادين[٨]. وكان يطلب من الكغادين أن يزيدوا في قالب الكاغد وفي دلكه[٩]، وأن يختاروا الخرق الجيدة ـ من القطن والكتان ـ ويهتموا بغسلها وتنظيفها من الشوائب العالقة بها[١٠].

وكان من واجبات المحتسب أن يمنع الزجاجين من إخراج الزجاج من أفران التبريد إلا بعد يوم وليلة، لكي يكسب القوة والمتانة[١١]، ويفرض عليهم أن لا يصنعوا آنية مشاكلة لآنية الخمر[١٢]، ويختبر عليهم رماد الأفران لئلا يبسطوا التراب في مستوقداتها[١٣].كما يمنع الحدادين من طرق المسامير البالية وبيعها على انها جديدة، ويأمرهم أن لا يخلطوا المسامير المختلفة الأحجام والأوزان مع بعضها، وأن يجيدوا

---

(١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٤.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٤- ٣٥؛ ابن عبد الرؤوف. في آداب الحسبة. ص ١١٢.

(٣) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١١٢.

(٤) ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص ١١٢؛ الجرسيفي، في الحسبة، ص١٢٤.

(٥) السقطي، في آداب الحسبة، ص٦٧.

(٦) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٤ ــ ٣٥.

(٧) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٨.

(٨) الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٤.

(٩) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٨.

(١٠) الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٤.

(١١) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٧.

(١٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٤٣.

(١٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٧.

طبخها لئلا تتكسر عند الاستعمال[١]. ويتقدم المحتسب إلى عملة المفاتيح أن لا يعملوا مفتاحاً على آخر لأي شخص غير موثوق به، ولا على رسم في طين أو عجين[٢]، ويطلب من عملة الخزائن والأكواب أن تكون وافرة الخشب والحديد، وأن تكون ألواح الطبقات من الخزائن والصناديق على أضلاع مسمرة، وأقفالها متقنه الصنع، ويكون النظر في ذلك إلى رجل مثيل في صناعة النجارة[٣].

ومن مهام المحتسب أيضاً أن يحد لصناع الأمقاص والمساس والقوادم وشبه ذلك، أن لا تصنع إلا مذكّرة[٤]، وأن يتفقد أسواق الصيارفة، وينهاهم عن الربى، ويمنعهم من ترويج الدراهم والدنانير المزيفة وغش الناس بها[٥]، وعليه أيضاً أن لا يسمح بأن يتداول الناس عملة من غير عملة البلد، لأن اختلاف العملة يكون "داعية إلى فساد النقد، والزيادة في الصرف، واختلاف الأحوال، وخروجها عن عاداتها "[٦].

واهتم المحتسب بأن يكون للحمّالين في كل صنعة موقف خاص بهم[٧]، وأن يكون للحطّابين موقف يجتمعون فيه، ولا يدخلون الأسواق، فإنهم يؤذون الناس، وكذلك الأمر بالنسبة لبائعي الفحم والجير وما شابه[٨]. وأمر المحتسب بأن يرتب أهل الأسواق منذراً يشعرهم بأوقات الصلاة في كل يوم، وطلب من الكمّادين والصفّارين بالذات أن يتركوا العمل أوقات الصلوات المفروضة[٩].

وكان من واجبات المحتسب النظر في أمور الصنّاع، ومعرفة أحوال صنعائهم، ومنعهم من المماطلة والتسويف في أعمالهم[١٠]، وحثهم على اجتناب الغش والتدليس، ومعاقبة المخالفين منهم؛ بالردع والزجر والتوبيخ والتعزير والضرب والسجن والإخراج

---

[١] المصدر نفسه، ص ٦٥.

[٢] المصدر نفسه، ص ٦٥.

[٣] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٦،٥٩.

[٤] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٥٩.

[٥] يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص٣٣-٣٥، ٧٢، ٧٧، ٨٥-٨٦؛ ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٤٦، ٥٨؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٤٣-١٤٤.

[٦] ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص٥٨.

[٧] المصدر نفسه، ص ٤١.

[٨] المصدر نفسه، ص٣٨، ٥٩.

[٩] المصدر نفسه، ص ٥٨.

[١٠] السقطي،في آداب الحسبة، ص ٦٢.

من السوق والنفي من البلد[١] كما ذكرنا إذ للمحتسب أن يقدّر العقوبة التي يراها مناسبة.

ولكثرة مسؤوليات المحتسب التي يباشرها، فقد جرت العادة على أن يتخذ له أعواناً يساعدونه في عملية ضبط الأسواق، وملاحقة المخالفين من أصحاب الحرف والصناعات. فكان المحتسب كما أشرنا سابقاً - " يمشي بنفسه راكباً على الأسواق، وأعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان "[٢]. وكان لزاماً أن يتوافر في أولئك الأعوان صفات وخصائص يتميزون بها عن غيرهم، فلا يستعمل المحتسب من الأعوان " من كان غائظاً، ولا شريباً، ولا غضوباً، ولا مهذاراً كثير الكلام واللدد "[٣]، وإنما يستعمل من كان خيراً، عفيفاً،ورعاً، لا يميل ولا يرتشي، مشهوراً بالثقة والأمانة، عارفاً بصنعته، خبيراً بالجيد والرديء من حرفته[٤]. وقد جرى العرف على أن يكون لهؤلاء الأعوان أجرة معلومة يتقاضوها يومياً[٥].

وكان من أهم أعوان المحتسب "العريف"، الذي كان يُختار من بين ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع[٦]. فقد جعل المحتسب على كل حرفة عريفاً من صالح أهلها، مشهوراً بالثقة والأمانة، عارفاً بصنعته بصيراً بأسرارها[٧] وكان من أهم واجباته أن يبحث عن أخبارهم ويطّلع على أسرارهم،وينبههم على غشهم وتدليسهم بالسر والعلانية، ويأمرهم بتنظيف حوانيتهم وأسواقهم، وأن يطلعوه على خفي أسرارهم وخبيث سرائرهم، حتى "لا يخفى من أمورهم كثير ولا قليل، ولا يستتر من شأنهم دقيق ولا جليل، فيزول مكرهم، ويرتفع على المسلمين غشهم وضرهم "[٨]، ومن واجباته أيضاً أن

---

(١) يحيى بن عمر، أحكام السوق، ص ٣١-٣٢، ٣٨، ٥٧-٦٠؛ ابن عبد الرؤوف، في آداب الحسبة، ص٩٢؛ الجرسيفي، في الحسبة، ص ١٢٦-١٢٧؛ المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٢١٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، مج١، ص ٢١٨.

(٣) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ١٢.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢؛ المجليدي، التيسير في أحكام التسعير، ص٥٥-٥٦.

(٥) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ١١.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩،٣٣.

(٧) المصدر نفسه، ص٣٣، ٣٥، ٣٧.

(٨) المصدر نفسه، ص ٩، ٣٣-٣٤، المجيليدي، التيسير في أحكام التسعير، ص٥٦.

يساعد المحتسب في تنظيم طرق العمل بين أهل الحرف[1] وأن يقوم بحل المنازعات والخصومات التي تقع بين الحرفيين، ويحكم بها دون إبلاغها إلى الحاكم، لأن ذلك "أرفق لهم وأستر لانكشافهم"[2].

وكان على المحتسب أن لا يعين أحدا من أعوانه للقيام بواجب محدد، كوزن الخبز على الخبازين مثلا، لئلا يتغاضى عن غشهم وتدليسهم لقاء الرشوة، وعليه أيضا أن لا يخبر أحدا من أعوانه بموعد خروجه للتفتيش على الأسواق، حتى لا يسارع أحدهم إلى تنبيه أهل الغش ليأخذوا حذرهم[3].

ومما تقدم تبدو لنا أهمية الحسبة ومكانة المحتسب في المجتمع الأندلسي، وأثرها البالغ في الحياة الاقتصادية. ومما يدل على أهمية المحتسب في الأندلس من الناحية العملية، أن ملوك إسبانيا المسيحيين كانوا كلما استردوا من المسلمين إقليما أبقوا فيه المحتسب، ولهذا نجد لفظ المحتسب، يدخل في اللغة القشتالية فيصير "الموتاس" ليدل على الوالي المكلف بضبط الموازين والمكاييل[4].

---

(١) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٣٥؛ الشيخلي، الأصناف في العصر العباسي، ص١٤٩.

(٢) ابن عبدون، في القضاء والحسبة، ص ٢٤.

(٣) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٩؛ الفاسي، خطة الحسبة، ص ١١١-١١٢.

(٤) بروفنسال، سلسلة محاضرات، ص ٨٨.

الخـــاتمة

تناولت هذه الدراسة: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، حيث تتبع الباحث جميع هذه الحرف والصناعات مبتدئاً بخاماتها الأولية، ومناطق انتشارها، وأنواعها، والحالة الاجتماعية للعاملين فيها، وقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

١- يعتبر مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، إذ يدخل في نطاق الحرفة كل عمل يقوم به الإنسان، بينما الصناعة عمل يرتكز على تحويل المواد الخام الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها وهي بمفهومها هذا تدخل في نطاق الحرفة، ولذا أطلقنا عليها تجاوزاً اسم "الحرف الصناعية".

٢- اهتم الأندلسيون بتوفير المواد الأولية اللازمة للصناعات المختلفة، ولذا برعوا في مجال الزراعة، وقامت على المحاصيل الزراعية بأنواعها المتعددة بعض الصناعات المهمة. كما اهتموا بتربية الحيوانات واستفادوا من لحومها،وأصوافها وجلودها في صناعات عديدة ومتنوعة، ونشطوا في استغلال ثروات البلاد الطبيعية، كالغابات التي وفرت المادة الخام اللازمة من الأخشاب، والثروة المائية إذا استخرجوا الأسماك والعنبر والمرجان واللؤلؤ من مجاري الأنهار ومن سواحل البحار المحيطة بالأندلس. واستغلوا المناجم والمواد المعدنية المنتشرة في الأراضي الأندلسية وأحسنوا استثمارها في مجال الصناعة مستفيدين في ذلك من خبرة سكان البلاد ثم مشاركتهم العمل في مختلف المجالات، مما كان له أكبر الأثر على نمو وتطور الحرف والصناعات في المجتمع الأندلسي على مر العصور.

٣- كانت صناعة المنسوجات من الصناعات الأندلسية المتميزة، والتي حظيت باهتمام ورعاية الأمراء والخلفاء، فازدهرت ازدهاراً كبيراً في عصر الخلافة والطوائف وعصري المرابطين والموحدين، ودولة بني الأحمر.وكانت بجانة وقرطبة ومالقة والمرية ودلاية وغرناطة من أهم المراكز التي اهتمت بهذه الصناعة. وقد حظيت صناعة الطّراز خاصة باهتمام الأمراء إذ كانت تنسج فيها ثياب الأمراء والخلفاء وأعيان الدولة من الديباج المختّم المرقوم بالذهب. وانتقلت صناعة المنسوجات من الأندلس

الإسلامية إلى بلدان أوروبا الغربية وبخاصة فرنسا وإيطاليا وانجلترا مما يعكس فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية.

كما اشتهرت الأندلس بالصناعات الجلدية، وتميزت بجودة مصنوعاتها، ومنها انتقلت هذه الصناعة إلى ممالك إسبانية المسيحية وإلى فرنسا وانجلترا، وقد أطلق الأوروبيون على النوع الممتاز من الجلد اسم الجلد القرطبي، مما يدل على أثر الحضارة الأندلسية في الحضارات المجاورة.

٤- هذا، وقد استفاد مسلمو الأندلس من خبراتهم في ميدان الكيمياء وسخروها لخدمة الصناعة، فبرعوا في صناعة الأصباغ، وأنتجوا الألوان المتعددة، مما أكسب ملابسهم الألوان الزاهية الفاخرة، كما برعوا في صناعة الزجاج والخزف والزيوت والصابون، وصناعة الورق، وكانت الأخيرة من الصناعات المتطورة، حتى أن الأندلسيين توصلوا في عهدي المرابطين والموحدين إلى صناعة الورق الملون وكانت الأندلس في عهد الدولة النصرية هي الدولة الوحيدة إلى جانب فاس التي تستعمل الورق الإسلامي، بينما كانت بقية بلدان المغرب تستعمل الورق الرومي. وانتقلت صناعة الورق من الأندلس إلى ممالك إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وانجلترا وألمانيا.

٥- كانت الصناعات الخشبية من بين الصناعات الأندلسية المتطورة وخاصة ما يتعلق منها بصناعة المنابر والمقصورات الخشبية والآلات الموسيقية والأثاث والأدوات المنزلية، وكانت المقصورات الخشبية في العصر الموحدي تصنع بطريقة فنية متطورة إذ كانت تعمل على حركات هندسية وميكانيكية فريدة من نوعها.

٦- كان للضرورة العسكرية أثر بالغ في اهتمام الدولة بصناعة السفن والأساطيل الحربية، فنمت وتطورت بالتدريج، وبلغت درجة كبيرة من التقدم والازدهار، حتى تعددت قطع الأسطول الأندلسي وتنوعت من حيث الحجم والوظيفة، ووصلت البحرية الأندلسية إلى أوْج عظمتها وقوتها.

كما اهتمت الدولة بصناعة الأسلحة والمعدات الحربية إذا أنتجت معامل الأسلحة كميات كبيرة منها، وبلغت قمة التطور في هذه الصناعة في القرن الثامن الهجري/

الرابع عشر الميلادي، إذ توصل الأندلسيون إلى صناعة الأسلحة النارية واستخدموها في حروبهم مع النصارى الإسبان.

٧- استخرج المسلمون كميات وفيرة من معادن الذهب والفضة واستثمروها في تزيين المساجد والقصور،وفي صناعة الحلي والآنية والتماثيل والتحف الفنية، مما يدل على الرفاه والرخاء الاقتصادي الذي كان ينعم به أهل الأندلس.

٨- كان المسلمون في بداية الفتح يتعاملون بما يحمل إليهم من دارهم أهل المشرق، إضافة إلى استعمال النقود المضروبة في إسبانيا قبل الفتح، وفي عهد الإمارة لم يضربوا الدنانير، بل اكتفوا بضرب الدراهم والفلوس من الفضة، في حين ضربت الدنانير والدراهم من خالص الذهب والفضة في عصر الخلافة، وأكدت الدراسة طابع المركزية في سك النقود. وكان من مميزات عصر الطوائف أنه بالرغم من تمزق الأندلس إلى دويلات، وكثرة الأمراء المتغلبين على سائر أجزائها، فإن النقد كان موحداً. وكانت العملة الذهبية والفضية المضروبة في أيام المرابطين مختلفة ومتعددة. وضرب الموحدون الدنانير والدراهم المربعة، وكانت الدراهم تضرب في مختلف أرجاء الدولة الموحدية، وكشفت الدراسة عن أنواع العملة المتداولة في الأندلس في القرن الثامن والتاسع الهجري /الرابع والخامس عشر الميلادي، وأكدت أنها كانت تضرب من خلص الذهب والفضة، وأنها مربعة الشكل لا مستديرة.

٩- يلاحظ بصورة عامة ازدهار الصناعات الأندلسية على اختلاف أنواعها، ووصولها إلى درجة كبيرة من الإتقان والرقي وبخاصة في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي. ويعود السبب في ذلك إلى وحدة الدولة وقوتها واستقرارها السياسي، واهتمامها بمظاهر النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة، وتشجيع الخلفاء للصنّاع وحثهم على العمل وضرورة إتقانه، يضاف إلى ذلك اهتمام الدولة بمظاهر الأبهة والترف، وحرصها على تشييد المساجد والقصور وتزيينها بكل مظاهر الروعة والجمال.

كما يلاحظ ازدهار الصناعات في عصر الطوائف نتيجة للتنافس الذي جرى بين ملوكها، إذ بذل كل واحد منهم قصارى جهده لإحاطة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة تشبهاً بما كان يفعله خلفاء قرطبة.

١٠- اتضح أن الحرف والصناعات في الأندلس لم تكن مقصورة على فئة اجتماعية معينة دون الأخرى، وإنما كان يتعاطها الأندلسيون بفئاتهم المتعددة، وشارك فيها العلماء والفقهاء والأدباء والقضاة وغيرهم. وقد التصقت أسماءُ كثيرٍ من الحرف بأسماءِ بعض العائلات المشهورة، إذ تبين أن الحرف كانت تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، كما لاحظنا أن التماسك بين أهل الحرف قد بلغ حد العصبية للحرفة والاعتزاز بها. وقد أكد كل ذلك على نظرة المجتمع الإيجابية للعاملين في الحرف والصناعات.

١١- بينت الدراسة مدى اهتمام الدولة بإنشاء الأسواق وتنظيمها على أساس التخصص الحرفي، إذ نجد لأهل كل حرفة سوقاً خاصة بهم. كما اهتمت الدولة بإقامة الأسواق الجامعة الأسبوعية والدائمة لتشجيع الصنّاع والتجار على بيع منتجاتهم وبضائعهم، وبالتالي تنشيط الحركة الاقتصادية.

١٢- كان التنظيم الإداري للحرف والصناعات في غاية الدقة والإتقان؛ إذ نجد في كل صناعة ما يسمى بـ"الأمين" و "العريف"، كما نجد المعلم، والعامل المدرِّب، والمتعلم.

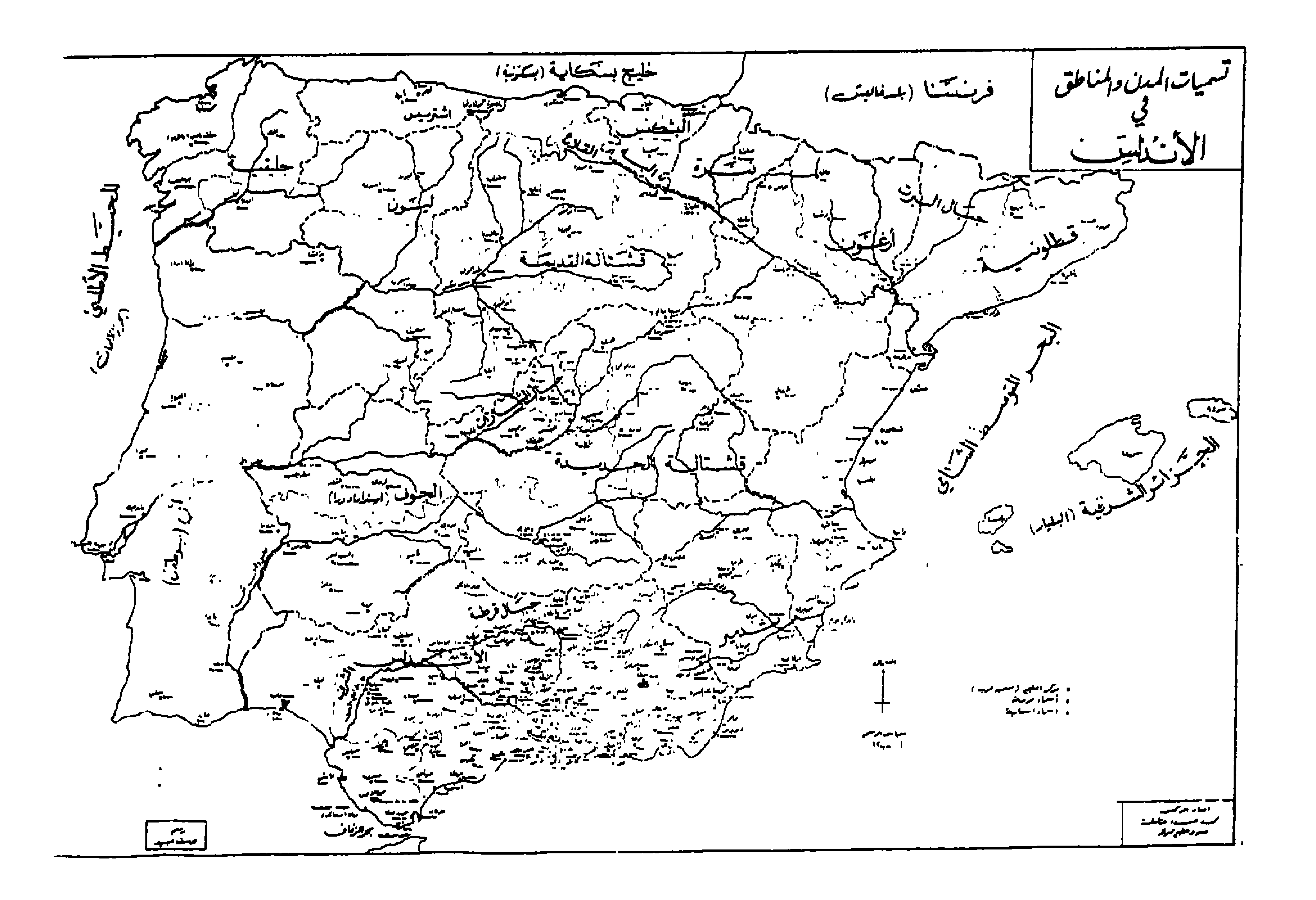
١٣- أوجدت الدولة جهازاً خاصاً للإشراف والرقابة على الأسواق، كان يطلق عليه اسم الحسبة، وكان يرأسه موظف خاص يدعى "صاحب الحسبة" أو "المحتسب"، وكان عليه أن يبحث عن أساليب الغش والتدليس التي كان يمارسها أهل الحرف والصناعات ويقوِّمها، وأن يراقب الدقة والجودة في الصناعة، وأن يحث الصنّاع على نظافة المنتج وأدوات الإنتاج. وكان له اختصاصات ومهام كثيرة ومتنوعة، ولذا جرت العادة على أن يتخذ له أعواناً يساعدونه في عملية ضبط الأسواق وملاحقة المخالفين من أصحاب الحرف والصناعات ومعاقبتهم. ومما يدل على أهمية المحتسب في المجتمع الأندلسي، أن الإسبان، كانوا كلما استردوا إقليماً أبقوا فيه المحتسب.

١٤- أكدت الدراسة على نظرة المجتمع الإيجابية للعاملين في الحرف والصناعات، وعلى سعة الطبقة العاملة،وكثرة الصناع في المجتمع الأندلسي، وبينت أن وضع الصناع بصورة عامة لم يكن جيداً، إذ كانت أجورهم قليلة، ومستواهم المعيشي متدنياً.

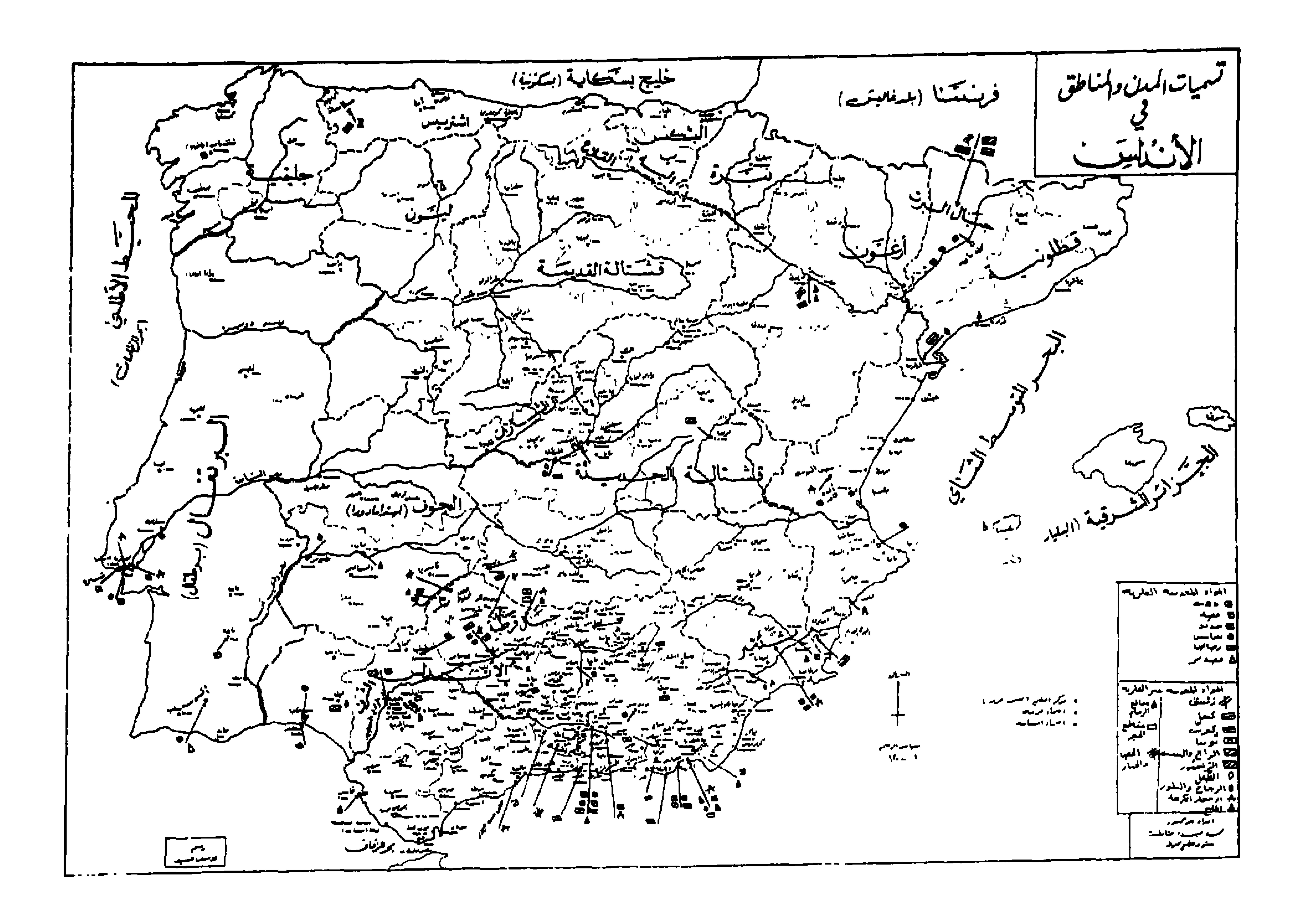
الخرائط

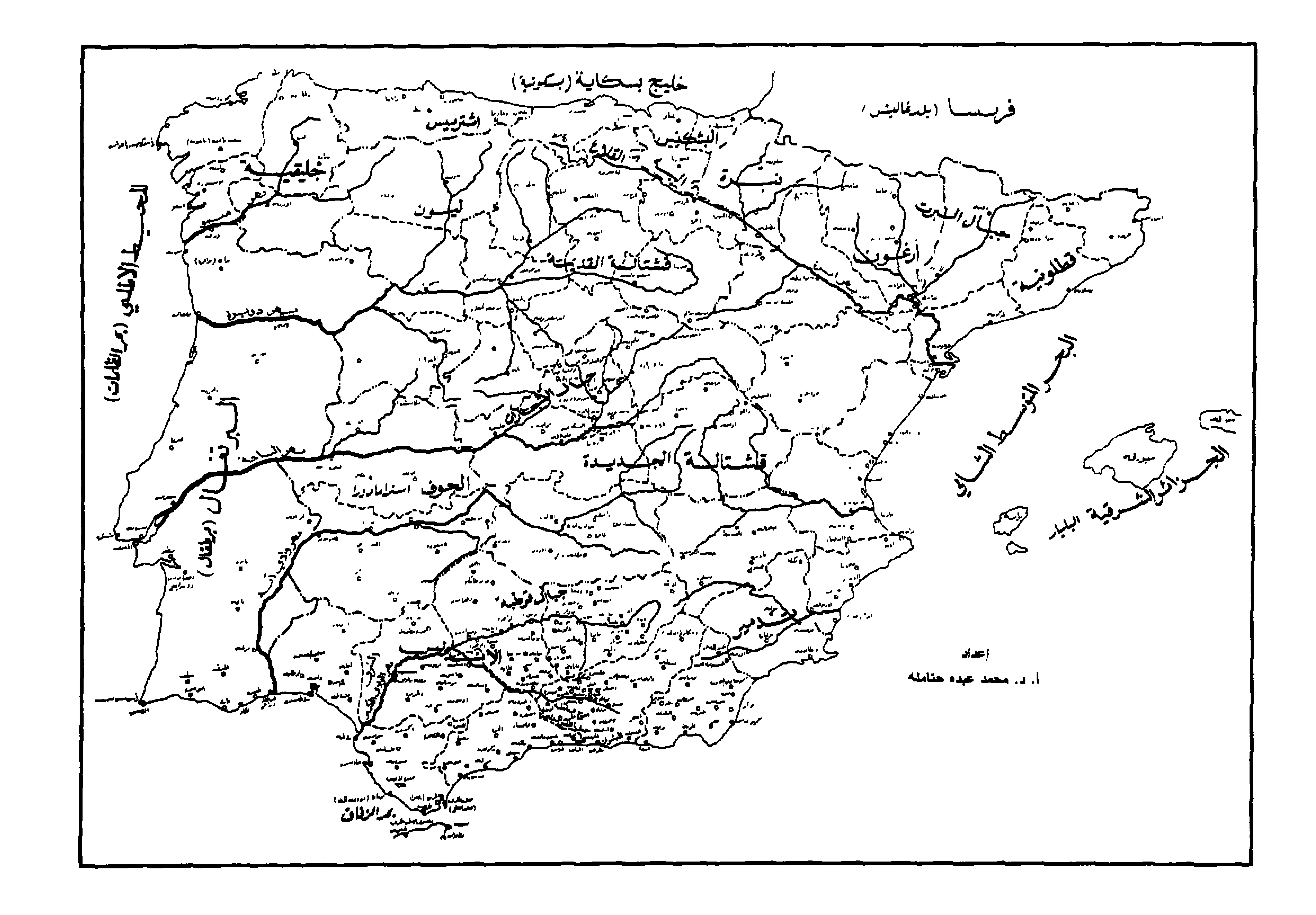
تسميات المدن والمناطق في الأندلس

المعادن، مناطق توزيعها وانتشارها في الأندلس



تسميات المدن والمناطق
في
الأندلس
فرنسا (بلد فاليش)
خليج بسكاية (بسكونية)
جليقية
ليون
البشكنس
نبرة
أرغون
جبال البرت
قطلونية
قشتالة القديمة
قشتالة الجديدة
الجوف (استرامادورا)
جبال قرطبة
تدمير
البحر المتوسط الشامي
الجزائر الشرقية (البليار)
المحيط الأطلسي
بحر الزقاق


تسميات المدن والمناطق في الأندلس
خليج بسكاية
فرنسا
جليقية
قشتالة القديمة
قشتالة الجديدة
قطلونية
أرغون
البحر المتوسط الشامي
الجزائر الشرقية البليار
البرتغال
المحيط الأطلسي
الجوف


خليج بسكاية (بسكونية)
فرنسا (بلد غاليش)
اشتريس
البشكنس
القلاع
جليقية
ليون
نبرة
جبال البرت
أرغون
قطلونية
قشتالة القديمة
قشتالة الجديدة
الجوف
اسطرمادورا
المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)
البرتغال (برطقال)
البحر المتوسط الشامي
الجزائر الشرقية البليار
جبال قرطبة
الأندلس
تدمير
بحر الزقاق
إعداد
أ. د. محمد عبده حتاملة

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ- المخطوطات:

ابن السباهي، محمد بن علي زادة (ت ٩٩٧هـ/١٥٨٨م):

١- أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، مكتبة الجامعة الأردنية،عمان، ميكروفيلم، شريط رقم (٥٥٩).

ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢، مخطوط في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، ميكروفيلم، شريط رقم (٢١٣٧).

٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٥، مخطوط في مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، ميكروفيلم، شريط رقم (١٠٣٨).

ب- المصادر المطبوعة:

ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م):

١- التكملة لكتاب الصلة، جزءان، عني بنشره: عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٦ م.

٢- الحلة السيراء، ط١، جزآن، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ م.

٣- المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢،دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م.

إخوان الصفاء:

٤- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ٤ مجلدات، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧ م.

ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م):

٥- معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه: روبن ليوى، مطبعة دار الفنون، كيمبرج، ١٩٣٧ م.

الإدريسي، عبد الله بن محمد الحسيني (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م):

٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٨ أجزاء، تحقيق: شيرولي وآخرون، نابولي، بروستات ابود ي.ج.بريل.لوجدوني باتا فورم، ١٩٧٥ م.

الإدريسي، محمد بن علي السنوسي الخطابي (ت ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م):

٧- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٨ م.

الأزدي جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م):

٨- بدائع البدائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠ م.

الأزهري، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م):

٩- تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الله درويش، مراجعة: محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).

الإشبيلي، الشيخ بكر بن إبراهيم (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م):

١٠- كتاب التيسير في صناعة التسفير، تقديم: عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج٧-٨، ١٩٥٩-١٩٦٠ م.

الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (المتوفي في النصف الأول من ق ٤هـ/١٠م):

١١- كتاب الأقاليم، EDIDIT. DE. J. H. MOELLER GOTHAE مكتبة المثنى بغداد (د.ت).

١٢- مسالك الممالك، EDIDIT. M.J. DEGOEJE لوجدوني باتا فورم، ابودي، ج، بريل، ١٩٢٧ م.

الأصفهاني، العماد الكاتب (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

١٣- خريدة القصر وجريدة العصر "قسم شعراء المغرب والأندلس"، ٣ أجزاء، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي وآخرون، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١ م.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م):

١٤- عيـــون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥ م.

أورسيوس باولوس (ولد بين ٣٧٥-٣٨٠م):

١٥- تاريخ العالم، ط١، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراســات والنشر، ١٩٨٢ م.

الباكوي، عبد الرشيد صالح بن نوري (عاش في ق ٩هـ/١٥م):

١٦- كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمه وعلق عليـــه: ضيــاء الدين ابن موسى بويناتوف، منشورات دار العلم، إدارة التحريـــر الرئيســية للآداب الشرقية، موسكو، ٩٧١ م.

ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م):

١٧- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط٢، ٤أقسام، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت،لبنان،١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م):

١٨-كتاب الصلة، قسمان، الدار المصرية للتــأليف والترجمــة، مطــابع ســجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦ م.

ابن بصال، عبد الله محمد بن عبد الملك (عاش في ق ٥هـ/١١م):

١٩- كتاب الفلاحة، عني بنشره: خوسيه مارية مياس بييكروسا، ومحمد عزيمــان معهد مولاي الحسن،تطوان،١٩٥٥.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٢٠- رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، ط١، شرحه: طلال حرب، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):

٢١- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١،٣ أجزاء، تحقيق: علـــي محمد البجـــاوي، ومحمــد علــى البــاجي،دار إحيــاء الكتــب العربيــة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤ م. ١٣٧٤هـ/١٩٥٥ م.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٦٤م):

٢٢- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، ط١،تحقيق: عبد الرحمن الحجي،دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م).

الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس (ت في النصف الأول من ق ٦هـ/١٠م):

٢٣- رسالة في الحسبة، منشور ضمن "ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ م.

ابن جلجل، أبو داود بن سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد ٣٧٧هـ/١٩٨٧م):

٢٤- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،١٩٥٥م.

الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م):

٢٥- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ط٣،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،١٩٨٤ م.

ابن حجاج الإشبيلي، أبو عمر أحمد بن محمد (عاش في ق ٥هـ/١١م):

٢٦- المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار، وجاسر أبو صفية، تدقيق وإشراف: عبد العزيز الدوري، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ /١٠٦٣م):

٢٧- رسائل ابن حزم الأندلسي، ط١،٤ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،١٩٨١،١٩٨٣ م.

٢٨- طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية".الدار التونسية للنشر، بغداد، العراق، (د.ت).

ابن الحشاء، أبو جعفر أحمد بن محمد. (د.ت):

٢٩- مفيد العلوم ومبيد الهموم، "جمعت من كتاب الطب المنصوري لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي "،مع مقدمة فرنسية، (د.ت).

الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (ت بعد ٧٥٩هـ/١٣٥٧م):

٣٠- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠ م.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

٣١- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ط٢،قسمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٤ م.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (عاش في ق ٩هـ/١٥م):

٣٢- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ودار القلم للطباعة،بيروت،لبنان،١٩٧٥ م.

٣٣-صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، عني بنشره، ليفي بروفنسال، دار الجيل،بيروت،لبنان،١٩٨٨ م.

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

٣٤- صورة الأرض، قسمان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م):

٣٥- المقتبس، ج٥، اعتنى بنشره: ب.شالميتا، ف،كورينطي وم صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة،كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩ م.

٣٦- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت).

٣٧- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، مطابع الأهرام التجارية،القاهرة،١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٣٨- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، ق٣، ملشورم، أنطونية، باريس، ١٩٣٥م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الإشبيلي (ت ٥٢٩هـ ١١٣٤م)

٣٩- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط ١، ٤ أجزاء، تحقيق: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

ابن الخرّاط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ/١١٨٦):

٤٠- كتاب اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي مدريد، ١٩٩٠ م.

الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى (ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧م):

٤١- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، ط١،تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥ م.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

٤٢- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١،ط٢،٤ مجلدات، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ١٩٧٤م، ١٩٧٥م، ١٩٧٧م وطبعة دار المعارف، مصر، (د.ت).

٤٣- تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الأحتلام من ملوك الإسلام، ط٢،تحقيق:ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، آذار ١٩٥٦م.

٤٤- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ط١، مجلدان، المطبعة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي،القاهرة،١٩٨٠م،١٩٨١ م.

٤٥- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت،لبنان،١٩٦٣ م.

٤٦- اللمحة البدرية في أخبار الدولة النصرية، ط٢، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م.

٤٧- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس "مجموعة من رسائله"، نشر وتحقيق: أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨ م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

٤٨- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ مجلدات، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م.

٤٩- مقدمة ابن خلدون، ط١،ط٢،٤. أجزاء، تحقيق: عبد الواحد وافي، وعلي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ١٩٦٠ م،١٩٦٥ م،١٩٦٦ م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٥٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ،بيروت،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ابو الخير الأندلسي (عاش في ق ٥هـ/١١م):

٥١- كتاب في الفلاحة، ط١،طبع بالمطبعة الجديدة بشارع الطالعة، ع٦٤، فاس، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨ م.

ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م):

٥٢- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخرون، مراجعة: طه حسين، دار العلم للجميع،(د.ت).

الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت بعد ٥٧٠هـ/١١٧٤م):

٥٣- كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض ورديها وغشوش المدلسين فيها، منشور ضمن كتاب "دراسة في الفكر الاقتصادي العربي للسيد محمد عاشور "، ط١، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٧٣ م.

الدينوري، أبو حنيفة بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):

٥٤- قطعة من الجزء الخامس من كتاب النبات، عني بنشره: ب.لوين، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٩٥٣ م.

-كتاب النبات، القسم الثاني من القاموس النباتي، اعتنى بجمعها: محمد حميد الله، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٣ م.

-كتاب النبات، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق: برنهارد لفين، منشورات فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤ م.

الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م):
٥٥- كتاب اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق: إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.
ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي المالكي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م):
٥٦- فتاوى ابن رشد، ط١،٣ أسفار، تقديم وتحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.
الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م):
٥٧- كتاب لحن العوام، ط١، تحقيق: رمضان عبد التواب، ١٩٦٤ م.
الزبيدي، محمد بن مرتضى الحسيني (ت ١٢٥٠هـ/١٧٩١م):
٥٨- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مراجعة مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦ م.
ابن الزبير، أبو جعفر أحمد (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م):
٥٩- كتاب صلة الصلة، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، (د.ت).
الزجالي، أبو يحيي عبيد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م):
٦٠- أمثال العوام في الأندلس، قسمان، دراسة: محمد بن شريف، مطبعة محمد الخامس،فاس،١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت بعد ٧٤١هـ/١٣٤٠م):
٦١- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،١٩٧٢ م.
الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٥٦هـ/١١٦٠م):
٦٢- كتاب الجعرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، ١٩٦٨ م.
ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
٦٣- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، ط٢، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني،بيروت،١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م

٦٤- بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: أخوان قرنيط خينيس، معهد مولاي حسن، مطبعة كريماديس،تطوان، المغرب، ١٩٥٨ م.
٦٥- كتاب الجغرافيا، ط١، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،١٩٧٠ م.
٦٦- المغرب في حلى المغرب، ط١، جزآن، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤ م.
السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي (ت في نهاية ق ٥هـ/١١ م أو أوائل ق ٦هـ/١٢م):
٦٧- في آداب الحسبة، باعتناء: كون وليفي بروفنسال، باريز، ١٩٣١ م.
ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):
٦٨- المخصَص، ٥ مجلدات، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، (د.ت)
السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ/١٥٠٥م):
٦٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية،صيدا،بيروت، لبنان، (د.ت).
٧٠- تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٢ م.
ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):
٧١- صلة السمط وسمة المرط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١ م.
الشّقندي، اسماعيل بن محمد (ت ٦٢٩هـ/١٢٣٢م):
٧٢- فضائل الأندلس وأهلها، لإبن حزم وابن سعيد والشقندي، ط١ نشرها وقدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨ م.
شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري الدمشقي، (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م):
٧٣ - كتاب نخبة الدهر في عجائب البر و البحر.
. Mehren 1923 .PUBI , Par . A

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد (ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م):
٧٤- المنّ بالإمامة "تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين"، ط٢، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ١٩٨٧م.
الصنهاجي، عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن مناد (ت بعد ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م):
٧٥- مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب "التبيان"، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥ م.
الضبّي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢م):
٧٦- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧ م.
الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري المالكي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م):
٧٧- سراج الملوك، ط١، المكتبة العربية و مطبعتها، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥ م.
ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى محمد (ت ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م):
٧٨- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله و قضى، ٣ مجلدات، تحقيق: صلاح جرار، دار البشير للنشر و التوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت في النصف الأول من ق ٦هـ/ ١٢م):
٧٩- رسالة في آداب الحسبة و المحتسب، منشور ضمن " ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ م.
ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبى (ت في النصف الأول من ق ٦هـ/ ١٢م):
٨٠- رسالة في القضاء و الحسبة، منشور ضمن " ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب "، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥ م.
ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م):
٨١- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، ٣ أجزاء، تحقيق: ج. س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب "قطعة من تاريخ المرابطيـــن"، ج٤، كتب التعليقات: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.

العذري، أبو العباس أحمد بن عمر المعـــروف بـــابن الدلائـــي (ت ٤٧٨هـــ/ ١٠٨٥م):

٨٢- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البســـتان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممــــالك، تحقيـــق: عبـــد العزيـــز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

ابن العطّار، محمد بن أحمد الأموي (ت ٣٩٩هـــ/ ١٠٠٨م):

٨٣- كتاب الوثائق والسجلات، اعتنـــى بتحقيقـــه ونشـــره: ب. شـــالميتا، وف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.

ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد (عاش في ق ٦هـــ/ ١٢م):

٨٤- كتاب الفلاحة، مدريد، ١٨٠٢م.

ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي (عاش في ق ٦هـــ/ ١٢م):

٨٥- قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس و مدنـــها بعـــد الأربعمائة، تحقيق: لطفي عبد البديع، مجلة معـــهد المخطوطـــات العربيـــة، مج١، ج٢، ربيع الأول ١٣٧٥هـــ/نوفمبر ١٩٥٥ م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـــ/ ١١١١م):

٨٦- إحياء علوم الدين، ٦ أجزاء، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنـــان (د.ت)

الغساني، محمد بن عبد الوهاب (ت ١١١٩هـــ/ ١٧٠٧):

٨٧- رحلة الوزير في إفتكاك الأسير، تحقيق: الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، ١٩٤٠م.

أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـــ/ ١٣٣١م):

٨٨- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه رينود، والبارون ماك كوكين ديســـلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.

ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـــ/ ١٣٩٦م):

٨٩- الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة، (د.ت).

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م):

٩٠- تاريخ علماء الأندلس، قسمان، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦ م.

ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م):

٩١- مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، ليدن المحروسة، (ت ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م)

ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٥٢هـ/ ١٦١٦م):

٩٢- ذيل وفيات الأعيان المسمى درّة الحجال في أسماء الرجال، ط١، جزآن، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، و المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠ م.

القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م):

٩٣- ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ٤ أجزاء، تحقيق: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت، و دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، (د.ت).

القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م):

٩٤- كتاب المجالس و المسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، الجامعة التونسية، كلية الآداب و العلوم الانسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٨ م.

القرطبي، عريب بن سعد (ت ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م):

٩٥- تقويم قرطبة، نشره مع ترجمة فرنسية: رينهارت دوزي، الطبعة الجديدة، بريل، ليدن، ١٩٦١.

القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م):

٩٦- آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، و دار بيروت للطباعة و النشر، ١٩٦٩م.
٩٧- عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات، ط٤، تحقيق: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):
٩٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط١، ١٤ جزءاً، تحقيق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):
٩٩- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.
الكتاني، الشيخ أبو عبد الله محمد الطبيب (ت حوالي ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م):
١٠٠- كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د.ت).
ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (عاش في آواخر ق ٦هـ/ ١٢م):
١٠١- قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
المالقي، أبو القاسم بن رضوان (ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م):
١٠٢- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ط١، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
مجهول المؤلف (عاش في ق ٤هـ/ ١٠م):
١٠٣- أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بها بينهم، مطبع ربدنير، مجريط، ١٨٦٧م.
مجهول المؤلف (من رجال ق ٩هـ/ ١٥م):

١٠٤- آخر أيام غرناطة، و هو كتاب نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، لمؤلف أندلسي من رجال القرن التاسع الهجري، معاصر لسقوط غرناطة، ط١، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤م.

مجهول المؤلف (من أهل ق ٨هـ/ ١٥م):

١٠٥- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري، ط١، تحقيق: سهيل زكار، و عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

مجهول المؤلف:

١٠٦- كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم أو " بيوتات فاس الكبري "، تحقيق: عبد القادر زمامة، مجلة البحث العلمي، يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ع٣، السنة الأولى، ع ٤-٥، السنة الثانية، ١٩٦٤ ١٩٦٥.

مجهول المؤلف (عاش في ق ٧هـ/ ١٣م):

١٠٧- كتاب الطبيخ في المغرب و الأندلس في عصر الموحدين، تحقيق: أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج ٩-١٠، ١٩٦١-١٩٦٢م.

مجهول المؤلف:

١٠٨- وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تقديم: حسن مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج١٣، ١٩٦٥ ١٩٦٦م.

المجيلدي، أحمد بن سعيد (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م):

١٠٩- كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم و تحقيق موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ١٩٧٠م.

المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م):

١١٠- كتاب الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة، السفر ٤، و السفر ٥، ق ١، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥.

المراكشي، محيي الدين بن محمد بن عبد الواحد بن علي التميمي (عاش في ق ٧هـ/ ١٣م)

١١١- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بهذه الفترة من أخبار الشعراء و أعيان الكتّاب، ط١، تحقيق: محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

المسعودي علي بن الحسن (ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م):

١١٢- مروج الذهب و معادن الجوهر، ٦ أجزاء، تحقيق: شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥م، ١٩٦٦م، ١٩٧٠م، ١٩٧٤م، ١٩٧٥م.

ابن مطروح السرقسطي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):

١١٣- روضة المحاسن و عمدة المحاسن ديوان أبي بكر يحيى بن محمد المعروف بـ " الجزار السرقسطي " و فصول من كتاب بادرة العصر و فائدة المصر "، تحقيق و دراسة: منجد مصطفى بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م):

١١٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ١٩٠٦م.

المقّري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م):

١١٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

-أزهار الرياض في أخبار عياض، ٣ أجزاء، تحقيق " مصطفى السقا و ابراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٣٩م، ١٩٤٠م، ١٩٤٣م.

المكناسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م):

١١٦- الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق: محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي،

الرباط، ١٩٦٥م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م):

١١٧- لسان العرب، ١٦ مجلداً، دار صادر للطباعة و النشر، و دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٥٦م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م):

١١٨- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط " إفريقية و المغرب، و الأندلس، و صقلية و أقريطش " (٢٧-٧١٩هـ/ ٦٤٧-١٣١٩م)، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، والدار البيضاء، (د.ت).

ابن هشام اللخمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٧٧هـ/ ١١٨١م):

١١٩- المدخل إلى تقويم اللسان، مجلدان، دراسة وتحقيق: خوسية بيريث لاثارو، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.

١٢٠- وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، تحقيق: لويس سيكودى لوثينا، مطبعة معهد الدراسات الأسلامية، مدريد، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

١٢١- خريدة العجائب و فريدة الغرائب، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

الونشريسي، أحمد بن يحيي (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م):

١٢٢- المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، ١٣ جزءاً، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):

١٢٣- معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

يحيي بن عمر، أبو زكريا يحيي بن عمر بن يوسف الكناني (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

١٢٤- أحكام السوق، تحقيق، حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م.

ثانياً المراجع الحديثة

أرسلان، شكيب

١-تاريخ غزوات العرب في فرنسا و سويسرا و ايطاليا و جزائر البحر الأبيض المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (د.ت).

٢-الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ٣ أجزاء، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

باشا، نجاة.

٣-التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب و العلوم الانسانية، تونس، ١٩٧٦م.

بدر، أحمد

٤-الحضارة العربية الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢م.

بدوي، عبد الرحمن

٥-دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

البرقوقي، عبد الرحمن

٦-حضارة العرب في الأندلس، المكتبة التجارية، مصر ١٩٢٣م.

بروفنسال، ليفي

٧-حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

٨-الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط١، دار المعارف، القاهرة، محرم ١٣٩٩هـ/ ديسمبر ١٩٧٩م.

٩-سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس و تاريخها، ترجمة، محمد عبد الهادي شعيرة، و عبد الحميد العبادي، مطبوعات كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالأسكندرية،

المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م.

١٠-الشرق الإسلامي و الحضارة العربية الأندلسية، منشورات معـــهد الجـنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية، دار الطباعة المغربية، تطوان ١٩٥١م.

الجارم، علي

١١-قصـــة العرب في إسبانيا، مـــترجم عـــن . دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م.

الجراري، عبد الله بن العباس:

١٢-تقدم العرب في العلوم و الصناعات و أستاذيتهم لأوروبـــا، ط١، دار الفكــر العربي، ١٩٦١م.

جواد علي

١٣-المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، ٨ أجزاء، دار العلم للملاييـــن، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٢م.

حتاملة، محمد عبده

١٤-ملامح حضارية في الأندلس، منشور ضمن كتاب " بحوث و دراسات مـهداة إلى عبد الكريم غرايبة، بمناسبة بلوغــــه الخامســـة و الســتين "، الجامعــة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م.

حسين بك، طه

١٥-آراء حرة، عني بنشره قسم الخدمات العامة بالجامعة الأمريكيـــة بالقـــاهرة، المطبعة العصرية، (د.ت).

حمدي، عبد المنعم

١٦-تاريخ المغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دولـــة علـــي بـــن يوســـف المرابطي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيـــع، الإســـكندرية، ١٩٨٦م.

حمودة، علي محمد

١٧-تاريخ الأندلس السياسي و العمراني و الاجتماعي، ط١، دار الكتاب العربــي، مصر، ١٩٥٧م.

دورثي

١٨-إسبانيا شعبها و أرضها، ترجمة: طارق فوده، مراجعة و تقديم: عز الديـــن فريد، مكتبة النهضة المصرية، مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر، القـــاهرة، نيويورك، ديسمبر، ١٩٦٥م.

الدوري، عبد العزيز

١٩-تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابـــع الـــهجري، ط٢، دار المشـــرق، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

-نشوء الأصناف و الحرف في الإسلام، مستل من مجلة كلية الآداب ببغداد، ع١، حزيران ١٩٥٩م.

دوزي، رينهارت

٢٠-المعجم المفصّل باسماء الملابس عند العرب، ترجمـــة: أكـــرم فـــاضل، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩١هـــ/ ١٩٧١م.

رسيلر، جاك س

٢١-الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، مراجعة: أحمد فـــؤاد الأهوانـــي، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، (د.ت).

الرفاعي، أنور

٢٢-الإسلام في حضارته و نظمه الإدارية و السياســية و الأدبيـــة و العلميـــة و الاجتماعية و الاقتصادية و الفنية، دار الفكر، ١٩٨٢م.

أبو رميلة، هشام

٢٣-علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلـــس، ط١، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٤م.

سالم، السيد عبد العزيز

٢٤-تاريخ مدينة المرية الإسلامية " قاعدة أسطول الأندلـــس " مؤسســـة شـــباب الجامعة للطباعة و النشر، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

٢٥-في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعـــة و النشر، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

٢٦-قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس " دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي "، جزآن، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت ١٩٧٢م. و طبعة مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر الإسكندرية، ١٩٨٤م.

شاكر مصطفي

٢٧-الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٠م.

شبانة، محمد كمال

٢٨-يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، لجنة البيان العربي، ١٩٦٩م.

الشيخلي، صباح إبراهيم

٢٩-الأصناف في العصر العباسي نشأتها و تطورها، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦م.

طرخان، إبراهيم علي

٣٠-المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦م.

الطيبي، أمين

٣١-الإسلام في الأندلس و صقلية و أثره في الحضارة و النهضة الأوروبية، ط١، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٦م.

عاشور، سعيد عبد الفتاح

٣٢-المدينة الإسلامية، و أثرها في الحضارة الأوروبية، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م.

العبادي، أحمد مختار، و السيد عبد العزيز سالم

٣٣-تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، جزآن، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).

العبادي، أحمد مختار

٣٤-الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، منشور ضمن كتاب " دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية "، ط٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٥-الصقالبة في إسبانيا، لمحة عن أصلهم و نشأتهم و علاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٣م.

<u>عباس، إحسان</u>

٣٦-تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف و المرابطين، ط١، دار الثقافة، ١٩٦٢م.

<u>عباس، فائزة حمزة</u>

٣٧-دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية، (٩٢ ٤٢٢هـ/ ٧١١ ١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

<u>عبد الحليم رجب، محمد</u>

٣٨-العلاقات بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).

<u>عبد الوهاب، حسن حسني</u>

٣٩-ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ط٢، جزآن، مكتبة المنار، تونس (د.ت).

<u>عجيل، كريم</u>

٤٠-الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، (٩٢ ٤٩٤هـ/ ٧١١ ١١٠٢م) ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

<u>عز الدين موسى</u>

٤١-النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط١، دار الشروق، بيروت، القاهرة. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

<u>عنان، محمد عبد الله</u>

٤٢-الأعلام الجغرافية و التاريخية الأندلسية باللغتين الإسبانية و العربية مرتبة على حروف المعجم، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧٦م.

٤٣-نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين "وهو العصر الرابع من كتاب الإسلام في الأندلس" ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

الفاسي، عبد الرحمن

٤٤-خطة الحسبة في النظرية و التطبيق و التدوين، دار الثقافة، و الدار البيضاء، المغرب، (د.ت).

فالترهنتس:

٤٥-المكاييل والأوزان الإسلامية و ما يعادلها في النظام المتري، ط٢، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، آب، ١٩٧٠م.

فراج، عز الدين

٤٦-فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، (د.ت).

فرحات، يوسف شكري:

٤٧-غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ١٤٠٢ / ١٩٨٢م.

أبو الفضل. محمد أحمد

٤٨- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها، (٣٤٤ ٤٨٤هـ/ ٩٩٥ ١٠٩١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م.

فكري، أحمد علي:

٤٩- قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ و حضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر و التوزيع، الإسكندرية، (د.ت).

الفنجري، أحمد شوقي

٥٠- العلوم الإسلامية، ط١، ٣ أجزاء، إشراف صالح جاسم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، إدارة الثقافة العلمية، ١٩٨٥م.

كب، ستانوود

٥١- المسلمون في تأريخ الحضارة، ط٢، ترجمة: محمد فتحي عثمان، الدار السعودية للنشر و التوزيع، ١٩٨٥م.

كرد علي، محمد

٥٢-الإسلام و الحضارة العربية، ط٣، جزآن، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

كولان، ج. س

٥٣-الأندلس، ط١، لجنة ترجمة: دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم: خورشيد و آخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠م.

كيب، جوزيف ماك

٥٤-مدنية المسلمين في إسبانيا، ط٢. ترجمة: محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف و التوزيع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

مني محمود

٥٥-المسلمون في الأندلس و علاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

مؤنس، حسين

٥٦- تاريخ الجغرافيين في الأندلس، ط٢، مدريد، ١٩٨٦م.

٥٧- فجر الأندلس، (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية)، ط٢، الدار السعودية للنشر و التوزيع، جدة، ١٩٨٥م.

مورنيو، مانويل جوميت:

٥٨- الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، السيد محمود عبد العزيز، مراجعة: جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

النخيلي، درويش:

٥٩- السفن الإسلامية على حروف المعجم، ط٢، دار المعارف، ١٩٧٩م.

هياجنة، محمود حسين شبيب:

٦٠- الوضع الزراعي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، محرم ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

ثالثاً: الدوريات

برثي، بول

١- قصب السكر وصناعة السكر في المغرب القديم، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع١، السنة الأولى، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

بلونس، لويس

٢-الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة، (القرن ٦ ٧هـ/ ١١ ١٣م)، مجلة دراسات أندلسية، ع ٦، تونس، ١٩٩١م.

التهامي الراجحي:

٣-نظم و إدارة بني أمية بالأندلس من خلال " المقتبس لابن حيان "، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الشؤون الثقافية الرباط، المغرب، ع ٢٩، السنة الحادية عشرة، مارس ٩٨٤م.

خايمة لويس:

٤-ملاحضات حول سكة النقود الإسلامية بالأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج٤، ع١ ٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

ذنون طه، عبد الواحد

٥-تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي، مجلة المورد، مج١٧، ع١، بغداد، ١٩٨٨م.

ريبيرا، خوليان

المكتبات و هواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، جزآن، ترجمة: جمال محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤، ج١، مج٥، ج١، ١٩٥٨ ١٩٥٩م.

زكي، عبد الرحمن

٧-صناعة السيف الإسلامي، و مشاهير الصناع في العصور الوسطى، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، مج٢٠، ١٩٧٩ ١٩٨٠م.

زمامة، عبد القادر

٨-أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٤٨، ج١، ذو القعدة ١٣٩٢هـ كانون الثاني " يناير ". ١٩٧٣م.

٩-فاس و صناعاتها التقليدية، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية بفاس، جامعة محمد ابن عبد الله، ع٤ ٥، ١٩٨٠ ١٩٨١م.

السامرائي، ابراهيم خليل:

١٠-أثر العراق الحضاري على الأندلس في القرنين الثاني و الثالث للهجرة، (١٠١ ٣٠٠هـ/ ٧٢٠ ٩١٢م) مجلة المؤرخ العربي، ع٢٧، السنة الثانية عشرة، ١٩٨٦م.

الشويري، ظاهر خير الله:

١١-الحرفة و توابعها، مجلة المقتطف، مج٢٩، ج١، يناير، ١٩٠٤م.

عباس، إحسان:

١٢-اتحاد البحريين في بجانة الأندلس، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج١، السنة ٢٣، كانون الأول، ١٩٧٠م.

١٣-نوازل ابن رشد، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج١ ٤، السنة ٢٢، كانون أول، ١٩٦٩م.

١٤-أخبار الغناء و المغنين في الأندلس، (١٣٨ ٥٣٩ هـ)، الأبحاث، مجلة تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ج١، السنة ١٦، آذار، ١٩٦٣م.

عنان، محمد عبد الله

١٥-من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي، كتاب العز و الرفعة و المنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج١٦، ١٩٧١م.

أبو الفضل، محمد أحمد

١٦- التأثيرات الشامية في حضارة الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، (١٣٨ ١٧٢هـ/ ٧٥٦ ٧٨٨م)، مجلة المؤرخ العربي، ع٣٦، السنة ١٤، ١٩٨٨م.

كوركيس عواد

١- الورق أو الكاغد صناعته في العصور الوسطى، مجلة المجمع العلمي العربي، مج٢٣، ج٣، تموز، ١٩٨٤م.

محرز، جمال محمد

١٨- السجاد الإسلامي و مشتقاته في إسبانيا، المجلة التاريخية المصرية، مـج١١، ١٩٦٣م.

١٩- فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، مجلة " المجلة "، مـــج٢، ع١١، ربيع الثاني ١٣٧٧هـ / نوفمبر ١٩٥٧م.

مرزوق، محمد عبد العزيز

٢٠- صفحات من الفن الإسلامي في الأندلس، التحف المصنوعة من العاج، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج١٧، ج٢، ديسمبر، ١٩٥٥م.

المنجد، صلاح الدين:

٢١- معجم أشهر المدن الأندلسية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـــق، مـــج٤٧، ج٢، نيسان " أبريل " ١٩٧٢م.

الودخيري، عبد العلي:

٢٢- ملامح من المجتمع الأندلسي من خلال نصوص لحـــن العامـــة " مقارنـــة سوسيو لغوية "، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الربـــاط، ع٣٧، ١٩٨٧م.

المراجع الأجنبية

Imamuddin, S . M.

1- The Economic History of spain under the Umayyads (711-1031 .A.C), published by: Asiatic society of pakistan , Dacca . 1963 .

Grenville, freeman

2- The muslim and christian calendaers , London , Oxford university , press , new york , 1963 .

Shatzmiller , Maya

3- Professions and ethnic origin of urban laboures in muslim spain : evidence from amoroccan source .

مجلة أوراق، ع٥-٦، ١٩٨٢ ١٩٨٣م.

Williams, leonard .

4- The Arts and Crafts of older spain , 3 parts , chicago , 1908 .

ABSTRACT

The crafts and industries in Al-Andalus From the Islamic conquest until the Decline of Granada. 92-897A.H-711-1492A.C

By:
Jehad Ghaleb Mustafa Al-Zghool

The study investigated an important aspect of the economic life of the Andalusian society it aimed at elaborating the significance of Crafts and industries in that the society and the role that these Crafts played in promoting economy and establishing a prosperous and stable life.

The study also specified the raw materials used in Andalusian industries and their distribution including minerals Agriculture, Crops, Forests, Animals, and Water resources, marble and stone quarries. It was found that the Andalus-sites invested and utilized these resources very well in all types of industries.

The development of Crafts and industries in the Andalusian

this research.

The study investigated textile, industries such as, silk, cotton, wool, linen, fur, embroidery and carpet. Other industries were also investigated including hides industry, carpentry, wood work, ship manufacturing, and jewelry (gold, silver, copper, bronze), as well as black smithing, food industries, chemical industries (dyes, paper, oils, soap), china, weapon industry, coin mintage, ivory and marble.

The study also dealt with the social conditions of the workers in Crafts and industries and indicated workers formed organizations similar to what is known today as unions Those organizations played an important role in society. Further more, these organizations were considered vocational and industrial. The numbers wages and dress in these Crafts and industries were also discussed.

The study revealed the positive attitude of the community towards the workers in these Crafts and industries

The relationship between the government and the owners of these Crafts and industries was investigated, and it was shown that the government paid attention to establishing and organizing markets, taking into consideration vocational specialization, which reached a high level of perfection even among specialists in the same profession.

The study also dealt with shopping centers and vocational unions, which were highly organized. on the other hand, the government established a control and supervision department al-hisba al-muhtasib . A separate section was devoted to the functi al-muhtasib

لقد كثرت الدراسات التي تناولت تاريخ الأندلس، والحضارة الإسلامية فيها، وما يشمل ذلك من نواحي سياسية وعسكرية واجتماعية وأدبية. وأما الدراسات الاقتصادية فكانت نادرة، مما حرم المكتبة العربية من هذا النوع من هذه الدراسات الهامة، وجعلها مفتقرة إليه، وقد دفعني ذلك للقيام بدراسة علمية متخصصة تتناول جانباً من جوانب الحضارة الإسلامية في الأندلس ألا وهو الجانب الاقتصادي وتجتزئ الدراسة من هذا الموضوع الواسع: (الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة) .(٩٢-٨٩٧ هـ/ ٧١١-١٤٩٢م)، لتبحثها بدقة وعمق، وخاصة أن الحرف والصناعات كان لها دور مهم في حياة المجتمع الأندلسي، ولعبت دوراً مميزاً في تنشيط الاقتصاد، وإشاعة الرخاء والاستقرار بين الأندلسيين، مما مكنهم من السير قدماً نحو التقدم والازدهار.

مركز الافق للخدمات الجامعية

اربد - الاردن - مقابل البوابة الشمالية لجامعة اليرموك

